الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين – قسم التفسير وعلوم القرآن

الشـيطان
خطواتــه وغاياتــه
دراسة قرآنية موضوعية

رسالة ماجستير مقدمة لقسم التفسير وعلوم القرآن
استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير بكلية أصول الدين
في الجامعة الإسلامية بغزة

إعداد الطالب
وائل عمر علي بشير

إشراف الدكتور
عبد السلام حمدان اللوح

1426هـ – 2005م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : **(يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّاْ فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة : 168)**

قال الله تعالى : **(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوْهُ عَدُوًّا إِنَّمَاْ يَدْعُواْ حِزْبَهُ لِيَكُوْنُواْ مِنْ أَصْحَبِ ٱلسَّعِيْرِ) (** فاطر**: 6)**

قال الله تعالى : **(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيْسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (** سبأ **: 20)**

الإهـــــداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى والدَيَّ العزيزين ، وإلى زوجتي الفاضلة ، وإلى أهلي وإخــوتي فــي الله ، وأخــص بالإهداء العلماء والدعاة القابضين على لــواء هــذا الــدين ، المحاربين بكل جهدهم كيد الشياطين ، الصابرين على إيــذاء أولياء الشيطان ،وأهديه إلى كل مــسلم يطلــب النجــاة مــن الشيطان ، والاعتصام بالرحمن .

شكر وتقدير

يقول الله تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾ [1]ويقول عليه الصلاة والسلام : "من لا يشكر الناس لا يشكر الله " [2] ، فامتناناً لنعمة ربي ، واتباعاً لسنة نبيِّي أتقدم بخالص الشكر لأستاذي الفاضل الدكتور عبد السلام اللوح الذي ما وفر جهداً في نصحي وإرشادي وتقويم بحثي على طول فترة إشرافه عليه ، كما وأتقدم بجزيل الشكر للأستاذين الفاضلين المناقشين لهذا البحث : الدكتور رياض قاسم مناقشاً داخلياً ، والدكتور عبد السميع العرابيد مناقشاً خارجياً على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث .

كما لا أنسى أن أشكر كلية أصول الدين عميداً وأعضاء هيئة تدريس وإداريين كما وأشكر الجامعة التي أتاحت لي فرصة الالتحاق ببرنامج الدراسات العليا وكذلك الدراسات العليا عميداً وإداريين والمكتبة التي سهلت لي الحصول على المراجع المطلوبة وكذلك مكتبة ابن كثير في دير البلح .

ومن بعد أخص بالشكر كل من أعانني في كتابة هذا البحث وإخراجه بهذا الشكل ، وأبدأ شكري وامتناني وعرفاني بوالدي العزيز الذي لم يمنعه مرضه – ولو للحظة – عن تقديم كامل العون لي ، وأدعو الله له بالشفاء ، وبوالدتي الغالية التي قدمت لي الدعم والجهد ، كما أُثَنِّي وأخص بخالص الشكر وجزيل الامتنان ساعدي الأيمن ، ونور عيني زوجتي التي أجهدت نهارها ، وأسهرت ليلها معي في كتابة البحث وكانت معي من الصابرات ، فجزاها الله عني كل خير وإلى أختي العزيزة نهى بشير .

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للأخ منير بشير الذي ساهم في إخراج هذا البحث ، والإخوة فايز أبو عمرة ، وأحمد أبو لبدة ، وساهر جودة ، والأستاذ الفاضل محمد خلف الذي تكبد عناء تدقيق هذا البحث نحوياً وإملائياً .

ولا أنسى أن أخص بالشكر الجزيل كل من مد لي يد العون والمساعدة سواء بالدعم المادي أو المعنوي أو العلمي ، وهم كثر لا أستثني منهم أحداً .

---

1 - سورة إبراهيم ، الآية 7 .

2- موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – سنن الترمذي – كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك – ص 1848 - ح 1954 – قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام، ونور دربنا بالإيمان، وأيدنا بالقرآن، هدانا إلى صراطه المستقيم، وأعزنا باتباع منهجه القويم، أظهر لنا طريق الحق وبينه وحذرنا من خطوات الشيطان وطرقه، لم يترك صراط الإيمان لكل مدعٍ يلجه دونما امتحان، فأرسل الشياطين مزينين، مسولين، ليميز الخبثاء من الطيبين والصلاة والسلام على خير ولد آدم ، النبي العربي الأمي الأمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد بن عبد الله ، الذي أمضى عمره في سبيل إعلاء الحق والتحذير من الباطل ، حول الله السماء لمقدمه رجوماً لألد أعدائه ، شياطين الجن المسترقين السمع، بل هدى على يديه نفراً منهم إلى الحق ليكونوا إلى قومهم منذرين. أما بعد :

فقد هداني الله بمنه، وعنايته، إلى اختيار موضوع قرآني ذي أهمية كبيرة لأهل زماننا الذي كثر فيهم الإنسلاخ من صراط هذا الدين، والسير في خطوات الشياطين، ولقد سمَّيت هذا البحث (**الشيطان – خطواته – وغاياته – دراسة قرآنية موضوعية**) ، ولم يكن اختيار هذا الموضع بدافع الكتابة، أو اللذة العلمية بقدر ما هو بدافع إفادة وكشف الحقائق المخفية ، فلقد غُيِّبَ القرآن ــ وللأسف ــ عن الحكم على قضايا الناس ومسالكهم ، فأصبح المنهج عندهم في كثير من الأحيان مشوشاً ، والرؤية غير واضحة ، فانجرفوا وراء شياطين الجن والإنس يتبعون خطواتهم ، ويحققون غاياتهم ، وهم في بعض هذا يجهلون أعداءهم ، ويغفلون عن خطوات الشياطين ، ولا يميزون بين شيطان الجن ، وشيطان الإنس بل لا يقيمون لشيطان الإنس وزناً ، ولأجل هذا وغيره كثير ــ مما سأبينه بعد قليل إن شاء الله ــ وقع اختياري بتوفيق الله لي على هذا البحث الذي أسأل الله أن يكون قيماً مفيداً يؤتي أكله ، ولقد وجدت كتاب الله قد تناول هذا الموضوع بشكل شامل موسع كدأبه في مهمات الأمور فلقد وردت ألفاظ

(شيطان ، شياطين ، إبليس ، الطاغوت) مائة وثماني مرات ، متفرقة في هــذا الكتاب العظيم ، ذلك فضلاً عن الآيات الكثيرة التي أشارت إلـــى هــذه الألفــاظ بالضمير الظاهر أو المضمر ، وتلك التي تحدثت عن مضامين هذه الألفاظ .

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يهديني في اختياري هذا سواء الــسبيل، وأن يوفقني لتقديــم صــورة مرضية لمقصد القرآن من وراء هــذا الموضـــوع والله الهادي إلى سواء السبيل.

الدراسات السابقة

هذا باب مهم يجب على كل باحث طرقه بقدر استطاعته؛ ليقف على جهود من سبقه من باحثين حول الموضوع الذي ينوي الكتابة فيه ، أو ما يشبهه ليكون هو في بحثه إما مكملاً ، أو مبيناً ، أو مجدداً ، أو مؤصلاً ومقعداً أو يأتي بالجدة الخاصة فيه ــ وإن كان هذا نادراً ــ ، ولقد بذلت وسعي وطاقتي للوقوف علـــى ما كتب من أبحاث حول الموضوع الذي أنا بصدد الكتابة فيه فلم أجد فيما اطلعت عليه بحثاً يستوفي الأهداف التي من أجلها كتبت البحث ، ولقد بدأت البحث بمكتبة الجامعة ، ثم في بعض المكتبات العربية ، كمكتبة الملك فهد بالرياض ، وذلــك عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) ، وانتهيت بمركــز الملــك فيــصل للبحوث والدراسات الإسلامية ولقد حصلت في النهاية على هــذه القائمـــة مـــن الأبحاث ولكني للأسف لم أحصل على فهارس بعض الرسائل التي بدا عنوانهـــا مشابهاً لعنوان رسالتي حيث أخبرني المركز بأنه لا يملك منها سوى العنوان فقط

1- محاورة إبليس مع الله في القرآن - جميلة محمد الجوهر - جامعة الكويت ، ولقد راسلت الجامعة المانحة للدرجة أكثر من مرة بواسطة البريد الإلكتروني للحصول على خطة الدراسة أو فهرسها فلم أحصل علـــى جــواب مـــنهم . مستوى الرسالة - ماجستير - تاريخ المناقشة –2000 .

2- مسالك الشيطان إلى بني الإنسان في ضوء القرآن والسنة – حورية دغــيم بركات الديحاني- جامعــة الكويــت . مــستوى الرســالة – ماجــستير -

تاريخ المناقشة – 1999، ولقد راسلت الجامعة المانحة للدرجة أكثر من مرة بواسطة البريد الإلكتروني للحصول على خطة الدراسة أو فهرسها فلم أحصل على جواب منهم ، مع ملاحظة أن هذا البحث يتناول جانباً صغيراً من مباحث رسالتي فهو يتحدث عن تلك المسالك ، أو الخطوات التي ينتهجها الشيطان في حربه ضد الإنسان ، وهذا مبحث في فصل في بحثي ثم إن الباحثة لجأت إلى توسيع نطاق البحث ليشمل السنة ،كي تغطي صغر حجم البحث وبذلك يخرج البحث عن كونه قرآنياً موضوعياً بحتاً كالبحث الذي أنا بصدد الكتابة فيه .

3- الإنسان والشيطان في القرآن الكريم – منير أحمد قاضي – جامعة القاهرة كلية الآداب - قسم اللغة العربية وآدابها - تاريخ المناقشة : 1971 م - مستوى الرسالة - ماجستير.

والناظر إلى عنوان هذا البحث للوهلة الأولى يظنه بحثاً مماثلاُ للبحث الذي سأكتب ولكن بإلقاء نظرة فاحصة عليه يتبين لنا أن هذا البحث قد خرج من كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، أي هو بعيد عن الدراسة المتخصصة والتي يجب أن تخرج من كلية أصول الدين أو كلية الدراسات الإسلامية ، ويظهر أن هذا البحث ليس بحثاً موضوعياً بالمعنى الخاص بل يدخل في باب الدراسات الإسلامية ، ولقد حاولت مراراً الاتصال بالجامعة عن طريق بعض معارفي في مصر للحصول على معلومات حول الرسالة ، ولكني فوجئت أن جامعة القاهرة ترفض تصوير أي ورقة من البحوث العلمية لديها .

4- عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم – عبد المنعم بن حواس بن محمد الحواس – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . كلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه - مستوى الرسالة- ماجستير - تاريخ المناقشة - 1414هـ وقد راسلت الجامعة المانحة للدرجة فلم أحصل منهم على أي معلومات حول الرسالة ، وهذه الدراسة محصورة في جانب واحد هو العداوة .

وبالنظر في هذه الرسائل الأربعة ، ورغم تشابهها في العنـــاوين ، إلا أن وجود بعضها لم يمنع من الكتابة في البعض الآخر ، وذلك أنه من الـــصعب أن نجد موضوعاً لم يُكتب في جانب من جوانبه .

الأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع

تتلخص أهم أسباب اختيار هذا الموضوع فيما يلي :

1- حضور هذا الموضوع بشكل قوي ، وظاهر في القرآن الكريم ، فقــد لفــت انتباهي كثرة الآيات التي تحتوي على ألفاظ (شيطان ، شياطين ، إبلــيس ، طاغوت ، جن) فأردت أن أبــرز هــذا الموضــوع القرآنـــي من خـــلال هذه الآيات .

2- الرغبة في تأصيل هذا الموضوع من وجهة نظر قرآنية خالصة حيث لم يتم تأصيله قرآنياً بحسب إطلاعي ــ وتبرز أهمية هذا التأصيل إذا أدركنا مـــا لهذا الموضوع من أهمية في زماننا حيث كثر أتباع الـــشياطين ، وكثــرت مكائدهم بالمسلمين ، وقد وقفت في هذا الصدد على كلام قيِّم جــداً للأســـتاذ الدكتور أحمد شلبي – أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية – حيث يقــول : "وبعد الكلام عن إسرائيل ، التي كانت سبباً رئيسياً في تمهيد الطريق لمباءة عبادة الشيطان ، بعد هذا نجيء بسبب آخر قوَّى هذه الفتنة وذلك هو إهمـــال الدراسات الإسلامية في المدارس الإسلامية والجامعات والأندية والمجتمعات وقد سبق أن قلنا : إن صوراً من الضلال ظهرت في عالمنا قبــل الإســـلام وبعده ، والفكر الإسلامي كان يتصدى لهذا الضلال ويقضي عليه ، ولكــنّ الساحة الآن خالية تقريباً من الدراسات الإسلامية المـــستنيرة التـــي تجـــذب الشباب وتحرسه ، فمِثل هذه الدراسات نضبت في البيـــت ، وفـــي وســـائل الإعلام ، وفي المدرسة والجامعة والنادي ، ومن هنا لا عجب أن يستشري هذا الداء وأن نحتاج للقوى الفكرية لتحمينا منه " [3]

---

[3] - مجلة منبر الإسلام – شباب مصر وعبادة الشيطان – أحمد شلبي – العدد 11 – السنة 55 – ذو القعدة 1417 هـ .

3- استشراء خطر الشياطين ، والطغاة في العالم اليوم ، واستحواذهم على كثير من أهل الإسلام الذين صاروا يتبعون خطوات الشياطين وغاياتهم دونما وعي أو تمييز .

4- استهانة بعض الناس بالأثر الذي يحدثه شياطين الإنس ، والاعتقاد أن تـولي كِبْر الغواية يكون لشياطين الجن ، فدفعني هذا إلى بيان خطورة شـياطين الإنس ، وأنهم قد يفوقون شياطين الجن في الغواية والإضلال .

5- عجز بعض الناس أمام الشيطان وجعله مبرراً لذنوبهم وأخطـائهم ، دفعنـي لبيان وجهة النظر القرآنية في هذا الجانب ، حيث إن الشيطان ضعيف أمـام المؤمن القوي .

أهداف البحث

1- إظهار المفهوم الحقيقي لكلمة (الشيطان) ، حيث يخلط كثير من الناس هذه الأيام بين مفهومها ومفهوم الجن مما يلغي جانباً كبيراً من ملكة التعرف على هؤلاء الشياطين واتقاء شرورهم .

2- ظهر ما يسمى ــ عبدة الشيطان ــ في بلاد الإسلام ، فهدفت هنا إلى بيـان أن عبادة الشيطان ليست هي التي صورتها تلك المجموعات الصغيرة ، بـل إن كثيراً ممن حاربوهم هم واقعون في هذه العبادة .

3- إيضاح وإبراز الوسائل التي تتبعها الشياطين في إيقاع بني البشر في الغواية والضلالة وإظهـار السبل التي تتبعهـا الشياطين في إبعـاد النـاس عـن طريق الحق .

4- إبراز السلاح الرباني الذي أودعه الله في كتابه لمحاربة هذه الشياطين ، وتجنبها .

5- تعريف الناس بعدوهم الحقيقي ، ومدى شدة عداوته لهم .

6- بيان وإبراز أخطر غايات الشيطان التي يرمي إلى نـشرها بـين البـشر ، والتحذير الشديد من هذه الغايات التي هي مفتاح الشر على الفرد ، والمجتمع على حد سواء .

منهجي في البحث

1- جمعت الآيات التي وردت فيها لفظة الشيطان ونظائرها.
2- وضعت عنوان لكل مجموعة من الآيات التي تبحث في جزئية واحدة.
3- استخراجت معاني لفظة الشيطان ونظائرها من كتب اللغة وبيَّنت الصلة بين هذه الألفاظ المتقاربة، ثم ربطْت بين هذه الألفاظ ، وبين الموضوع القرآني الذي بحثته.
4- تتبعت تفسير الآيات من كتب التفسير القديمة ، والحديثة قدر المستطاع .
5- بيَّنت الأبعاد المعاصرة للآيات ، وذلك بما تتضمنه من إشارات ، وإيحاءات مرتبطة بحاجات ، ومشكلات العصر الحاضر .
6- استخلصت الدلالات ، والعبر ، واللطائف من الآيات ، وبيَّنت موطن ووجه الاستدلال والتركيز على الدلالات ذات البعد الاجتماعي ، والإنساني .
7- اطلعت على الدراسات ، والأبحاث القرآنية التي لها صلة بموضوع الشيطان وخطواته وغاياته.
8- اطلعت على الدوريات ، والنشرات المعاصرة لإثراء هذا البحث ، وربطه بالواقع المؤلم الذي تعيشه هذه الأمة ؟.
9- وثَّقت الآيات القرآنية الواردة في البحث.
10- خرّجت الأحاديث ،وحكمت عليها بما ورد عن العلماء المتخصصين.
11- عملت تراجم للأعلام غير المشهورة ، وكذلك عرَّفت الأماكن الغريبة ، ووثَّقت ذلك من المراجع المختصة .
12- وضعت فهارس عامة في نهاية البحث : للآيات ، والأحاديث ، والمراجع والموضوعات ، وذلك حسب الأصول .

وتحقيقاً للأهداف والأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع ، وانطلاقاً من المنهجية السابقة قد جعلت بحثي مشتملاً على مقدمة ، وخمسة فصول ، وخاتمة .

المقدمة

وفيها الدراسات السابقة والأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع ، وأهدافه والمنهجية التي اعتمدتها، و خطة البحث .

الفصل الأول

الشيطان تعريفه ونظائره وصفاته

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف لفظة الشيطان ونظائرها لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : لفظة الشيطان ونظائرها في السياق القرآني .

المبحث الثالث : صفات الشياطين وأصنافهم .

الفصل الثاني

عداوة الشيطان وأولياؤه

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : **العداوة بين الإنسان والشيطان**

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الاستكبار والعلو أصل العداوة بين إبليس وآدم وذريته.

المطلب الثاني : عداوة الشيطان وذريته للبشر.

المطلب الثالث : الشيطان ألد أعداء الأنبياء .

المبحث الثاني : **أولياء الشيطان**

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : ولاية الشيطان.

المطلب الثاني : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا والآخرة .

المطلب الثالث : أولياء الشيطان وصفاتهم .

الفصل الثالث

خطوات الشيطان

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

الفصل الأول

الشيطان تعريفه ونظائره وصفاته

وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف لفظة الشيطان ونظائرها

وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : تعريف لفظة الشيطان

المطلب الثاني : تعريف نظائر لفظة الشيطان

المبحث الثاني : لفظة الشيطان ونظائرها في السياق القرآني

المبحث الثالث : أصناف الشيطان وصفاته

وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : أصناف الشيطان

المطلب الثاني : صفات الشيطان

المبحث الأول

تعريف لفظة الشيطان ونظائرها

المطلب الأول : تعريف لفظة الشيطان :

أولاً : تعريفها لغة :

اختلف أهل اللغة في الأصل الذي يرجع إليه اشتقاق هـذه الكلمـة علـى قولين:

الأول : أنها ترجع في اشتقاقها إلى الجذر (شَطَنَ) .

الثاني : أنها ترجع إلى الجذر (شَيَطَ) .

وسنعرض إلى معاني هذين الجذرين عند أهل اللغة ، وذلك فيما يلي :

1- **الجذر الأول : (شَطَنَ)** : الشَطَن الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى بـه ، وشطَنت الدار إذا بعدت ، وغزوة شطون أي بعيدة ، والشَطْن مصدر شَطَنه يشطُنه إذا خالفه عن نيته ووجهه ، وبئر شَطون إذا استقي ماؤهـا بحبلـين لعوج فيها ، وحرب شَطون عسرة شديدة ، ورمح شَطون طويل أعـوج ، وأشطن أبعد ، والشيطان كل عاتٍ متمرد من الإنـس والجـن والـدواب ، والعرب تسمي الحية شيطاناً وقيل الحيـة ذو العـرف القبـيح ، ورُؤُوس الشياطين من النبت هـو الشَّفلَّح ينبت على سوق ، وتشيطن الرجـل فهـو شيطان وشاطن [1].

---

[1] - انظر المعاجم التالية :

* معجم العين – للخليل بن أحمد الفراهيدي – ص 479 .
* مجمل اللغة – لابن فارس – ج 2 – ص 502 .
* المحيط في اللغة – للصاحب بن عباد – ج 7 – ص 304 .
* لسان العرب – لابن منظور – ج 13 – ص 237 .
* مختار الصحاح – للفخر الرازي – ص 338 .
* المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصبهاني – ص 261 .
* المصباح المنير – للفيومي – ص 142 .

2- **الجذر الثاني** : (**شَيَطَ**) : شاط الشيء شيْطاً وشياطة وشيطوطة ، احترق ، وشاطت القدر شيطاً احترقت ، وقيل احترقت ولصق بها الشيء ، وتَشَيَّط الدم إذا علا بصاحبه ، وشاط دمه وبدمه وأشاط دمه وبدمه عرَّضه للهلكة ، واشتاط غضبا التهب في غضبه ، وشاط الرجل هلك ، والإشاطة الإهلاك وفي حديث زيد بن حارثة أنه قاتل براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم [1] ، أي هلك ، وشاطت الجزور إذا لم يبق فيها نصيب إلا قُسِم ، واستشاط الرجل من الأمر إذا خفّ له واحتدّ وتحرّق ، والشيطان فعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق [2] .

ومن هذا العرض نخلص إلى أن (شطن) جذر مضطرد يدل في أصل معناه على البعد ، و(شيط) أصل مضطرد يدل في أصل معناه على الهلاك والبطلان .

والحق أن الخلاف في اشتقاق لفظة الشيطان من أحد الجذرين ، إنما هو خلاف قديم وكبير بين أرباب اللغة ، كانت نشأته مع نشأة مدرستي البصرة والكوفة في اللغة [3] ، فلقد ذهب البصريون إلى ترجيح اشتقاقها من(شطن) ، في حين خالفهم الكوفيون مرجحين اشتقاقها من (شيط) ، ولقد كان أكثر أهل اللغة ، والمفسرون ممن جاء بعد نشأة المدرستين ، على رأي أهل البصرة ، فلم يؤيد الرأي الثاني إلا القليل من المفسرين وأهل اللغة .

---

[1] - أخرجه الحاكم في المستدرك – ج 3 – ص 237 – ح 4952 ، سكت عنه الذهبي في التلخيص ، وأخرجه الطبراني في الكبير – ج 5 ص 84 – ح 4656 .

[2] - انظر :

* معجم العين – للخليل بن أحمد - ص 503 .
* مجمل اللغة – لابن فارس – ج 2 – ص 518 .
* المفردات – للراغب الأصبهاني – ص 261 .
* لسان العرب – لابن منظور – ج 7 – ص 337 .
* المصباح المنير – للفيومي – ص 142 .
* المحيط في اللغة – للصاحب بن عباد – ج 7 – ص 358 .

[3] - انظر روح المعاني – للألوسي – ج 1 – ص 157

ومهما يكن مرجع هذه اللفظة ، سواء أكانت من (شطن) ، بمعنى بَعُـدَ عن الحق والخير ، أو من (شيط) بمعنى احترق وبطل ، فإن كـلا المعنيـين لصيق بمفهوم هذه اللفظة في اللغة والشرع فهو البعيد دائماً وأبـداً عـن الحـق والخير ، وهو الهالك الباطل .

بين العربية وغيرها من اللغات :

المعلوم لدينا أن لفظة الشيطان تأخذ أشكالاً لغوية متقاربة في لسان اللغات المنحدرة من أصول لاتينية ، وإغريقية ، فالإنجليز يطلقون عليه لفظ (satan)، وهي في لفظها شديدة القرب من كلمة الشيطان ، وكذا الفرنسيون ، فهـل أخـذ العرب هذه اللفظة عن ما سبقهم من اللغات اللاتينية والإغريقية ؟

إن كان الأمر كذاك فقد بطل كل ما قاله علماء اللغة من أن أصل اشتقاقها من كلمات عربية المنشأ ، ولكن الأمر يتعلق بأصول اللغات كلها بما فيها العربية – وهذا بحث يطول فيه السجال في غير هذا الموضع – وأرى مـن المفيـد أن نسوق كلاماً طيباً للأستاذ عباس محمود العقاد حيث يقول : " والآكـد عنـدنا أن الكلمة أصيلة في اللغة العربية القديمة فيها ، لا يبعد أن تكون أقدم من نظائرهـا في اللغة البابلية ، ففيها مادة (شطّ) ، و(شوط) ، و(شاط) ، و(شطن) وفي هذه المواد معاني البعد والضلال والتلهّب والاحتراق ، وهي تـستوعب أصـول المعاني التي تُفهم من كلمة الشيطان جميعها ، فالشطط من الغِلّة والذي يدخل في أخص خصائص الشيطنة ، والشطّ بمعنى الجانب المقابل ، قد تلحظ فيه مقابلـة الخير بالشرّ من جانب الشيطان ، وشاط بمعنى احترق وتلف ، وأشاطه بمعنـى أهلكه وأتلفه ، وانطلق شوطاً أي ابتعد واندفع في مجراه ... وقد كـان العـرب يسمون الثعبـان الكبير بالشيطان ، وفي بعض التفسيرات أن هذا المعنـى هـو المقصود من (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) ، وذكر الشراح اليهود المتأخرون أن الشيطان تمثل لآدم في صورة الحية حين أمره بالأكل من الثمرة المحرمـة ، والعلاقة بين الشيطان والحية لا تقف عند ذلك الحد ، وأُخذ من سفر أيوب أن ما يذكره المؤرخون أن الشيطان كان معروفاً بين العرب من ذلك العهد الذي كـان

فيه خروج بني إسرائيل من مصر ... ويرى بعض الغربيين أن الكلمة أصلها يوناني من كلمة (diablos) والتي تفيد معنى الاعتراض والدخول بين الشيئين كما تفيد معنى الوقيعة ، وأصلها في اليونانية من dia بمعنى أثناء ، و baline بمعنى يقذف أو يلقي ، ومعنى الكلمتين معاً قريب من معنى الاعتراض والدخول بين الشيئين ، وهو قريب من ثم إلى معنى الوقيعة ، وعندنا أن هذا التركيب أضعف من قول القائلين إن كلمة (devil) أي الشيطان في اللغة الساكسونية مأخوذة من فعل الشرّ do evil أي do بمعنى يفعل ، و evil بمعنى الشرّ ، وقد أجمع اللغويون والدينيون على نبذ هذه التراكيب مع أنه أقرب إلى صفة الشيطان من الصفة التي توحي بها الكلمتان اليونانيتان بعد التمحل والتكلف ... " [1]

ثانياً : تعريف لفظة الشيطان في مفهوم الشرع :

لم ألجأ في بحثي هذا إلى التسمية والعَنْوَنة بالمعنى الاصطلاحي ، فالاصطلاح كلمة تدل على خصوصية ارتضاها أهل فن من الفنون أو علم من العلوم لكلمة ذات معنى عام ، أما هنا فكلمات (شيطان ، طاغوت ، إبليس) إنما هي في معناها لا تحمل اصطلاحاً عند قوم دون قوم بل هي باقية على معناها اللغوي ، مع بعض القيود البسيطة أو الاحترازات الطفيفة التي أضافها الشرع إلى بعضها ، وقد وقع تعريف لفظة الشيطان في أكثر كتب اللغة على النحو التالي :

الشيطان : هو كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب .

وهذا تعريف صحيح ينطبق على مفهوم الشيطان في القديم والحديث ، ولكني سأضيف إليه محترَزَين كي ينطبق التعريف تمام التطابق مع مفهوم هذه اللفظة كما وردت في كتاب الله عز وجل ، وأول هذين المحترزَين هو تحديد الجهة التي يكون العتو والتمرد عليها ، فقد يصدق أن تقول : تمرد الرجل على الباطل ، فهل نعدّ هذا الرجل في هذه الحالة شيطاناً ! وأما المحترَز الثاني فهو إلغاء كون الشيطان من الدواب ، وذلك من جهة نظر قرآنية حيث لم ترد هذه اللفظة (شيطان) أبداً في كتاب الله بمعنى الدّواب ، وعليه يكون التعريف الأدق للشيطان هو : كل عاتٍ متمرد على أوامر الله من الجن والإنس .

---

[1] - إبليس – لعباس العقاد – ص 38 ، 39 .

المطلب الثاني : تعريف نظائر لفظة الشيطان :

أولاً: لفظة إبليس :

1- **لغة** : أبلس الرجل قُطِع به ، وأبلس سكت ، وأبلس من رحمة الله يئس وندم ومنه سُمِّي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله وقيل : إبليس لا ينصرف لأنه أعجمي معرفة ، والمبلس الساكت من الحزن أو الخوف ،والإبلاس الحَيْرة[1].

2- **في مفهوم الشرع** : لا يُوجد تعريف اصطلاحي لإبليس في الشرع ، إذ هو مخلوق معروف لدى الأديان الأخرى ، وهو رمزُ الشرّ عند كل شعب من الشعوب ودين من الأديان وطائفة من الطوائف ، أما إذا أردنا أن نعرّف إبليس في هذا البحث ، فسيكون تعريفه تعريفاً وصفياً على ضوء المفهوم الشرعي ، وعليه نعرّف إبليس بأنه :

الجانّ الذي أبى السجود لآدم حين خلقه الله ، فاستحق لعنته ، وطُرِد من جنته ، ووجبت له النار بعد إنظار الله له إلى يوم القيامة ، وأُوتِي من وسائل الإغواء ما لم يُؤتَ أحد من العالمين .

ثانياً : تعريف لفظة الطاغوت :

1- **لغة** : الجذر (طغَوَ) ، وكذلك (طغى) مثله ، فنقول : طغوت وطغيت طغياناً وطغواناً ، والمعنى : جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر ، وأطغاه المال : جعله طاغياً ، والطاغية : صيحة العذاب ، والبغي ، والكفر ، والطاغوت : الكهنة والشياطين ، وأصل وزنه طَغَيوت على فعلوت ثم قدِّمت الياء قبل الغين محافظة على بقائها فصارت طيَغوت على وزن فلعوت ، ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت طاغوت ، والطاغوت كل رأس في الضلال ، والطاغوت يكون للأصنام ، والطاغوت يكون من الجن والإنس ، والطاغوت رئيس النصارى ، والطاغية الجبار العنيد ، والطاغية الأحمق المستكبر الظالم .[2]

---

1 - لسان العرب – لابن منظور - ج 6–ص29- 30 –

2 - المرجع السابق - ج -15 – ص 7-9.

2- **في مفهوم الشرع** : تأتي الواو والتاء في ختام لفظة طاغٍ لتزيد المعنى الذي تحمله هذه الكلمة شدة وقوة واستمرارية ، فكيف إذا كان أصل الجـذر يـدل على مجاوزة الحد ، فإن هذه الكلمة بهذه الصيغة بالذات تثير في الذهن معنى فظيعاً من مجاوزة الحدود وبلوغ القمة في الظلم والجور والعصيان ، والمتتبع لسياق ورود هذه الكلمة في كتاب الله يجد أنها وردت في جميع مواضعها في مجال العبادة والطاعة المطلقة والتحاكم ، وهذه أمـور هـي مـن أخـص خصائص الله سبحانه ، فكيف إذا صُرفت إلى من يسموَّن بالطواغيت ، بهذا نجد أن الطاغوت يحتل مرتبة هي أعلى من مجرد كونه متمرداً أو عاتياً كما هو حال الشيطان ، بل هو في مرتبة تصل إلى قمة الكفر والطغيـان بحيـث يجترئ على خصائص ألوهية الله سبحانه حيث يدعو البشر لعبادته مـن دون الله ، فقد قال مالك بن أنس : " الطاغوت كل ما يعبد من دون الله " [1] ، ولقد جاء في بيان معنى الكفر بالطاغوت في قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ [2] : " أي مـن خلـع الأنـداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبـد من دون الله ووحّـد الله فعَبَده وحده وشهد أن لا إله إلا هو فقد استمسك بالعروة الوثقى " [3] .

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نخرج بالتعريف التالي للطاغوت في الشرع:
الطاغوت : هو كل ذي طغيان على الله فعُبِد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده ، إنساً كان ذلك المعبود أو جانّاً .

وأخص مظاهر هذه العبودية أن ينصب شيطان الجن أو الإنس نفسه حاكماً من دون الله يشـرّع للبشـر قوانيـن الكفر والضلال ، يقول تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِـنْ قَبْلِـكَ يُرِيـدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُـوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الـشَّيْطَانُ أَنْ يُـضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ [4] .

---

[1] - الدر المنثور – للسيوطي – ج 2 – ص 22

[2] - سورة البقرة ، الآية 256

[3] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 1 – ص 312

[4] - سورة النساء ، الآية 60 .

المبحث الثاني
لفظة الشيطان ونظائرها في السياق القرآني

أولاً : لفظة الشيطان في السياق القرآني:

لقد وردت لفظة الشيطان وتصريفاتها المختلفة (شيطاناً ، شياطين ، شياطينهم) [1] (ثماني وثمانين مرة) ، منها تسع وستون مرة معرفة ب(ال) أو بالوصف ، ومرة واحدة بلفظة (شيطاناً) نكرة ، وثماني عشرة مرة بلفظة (شياطين) معرفة ب(ال) أو بالإضافة .

أما على صعيد المكي والمدني من السور ، فلقد وردت لفظة الشيطان واشتقاقتها ثلاثاً وخمسين مرة في ثنايا السور المكية ، وخمساً وثلاثين مرة في السور المدنية .

وقد وردت هذه اللفظة وتصريفاتها في ثنايا ست وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم احتلت السور الواقعة في أول المصحف العثماني القدر الأكبر منها فأخذت البقرة ، والنساء ، والأعراف ثماني لفظات لكل سورة ، ثم تلتها في الترتيب الأنعام بست لفظات ، ثم الإسراء ، ومريم بخمس لفظات لكل سورة ، ثم الحج ، والمجادلة بأربع لفظات لكل سورة ، ثم آل عمران ، ويوسف بثلاث لفظات لكل سورة ، ثم المائدة ، والأنفال ، والنحل ، والنور ، والصافات ، وص والزخرف ، والشعراء بلفظتين لكل سورة ، ثم إبراهيم ، والحجر ، والكهف ، وطه ، والفرقان ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، ولقمان ، وفاطر ، ويس ، وفصلت ، ومحمد ، والحشر ، والتكوير ، والأنبياء ، والمؤمنون ، والملك بلفظة واحدة لكل سورة .

ثانياً : لفظة الطاغوت في السياق القرآني :

وردت لفظة (طاغوت) على صورة واحدة وهي : صيغة الإفراد في كتاب الله عز وجل [2] ثماني مرات .

---

[1] - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد بعد الباقي – ص 485

[2] - المرجع السابق – ص 541

وقد وردت هذه اللفظة في السور المكية مرتين فقط ، أما الألفاظ الست الباقية فجاءت في السور المدنية .

أما السور التي وردت فيها هذه اللفظة فخمس ، أخذت سورة النساء أكبر نصيب من هذه اللفظة فوردت فيها ثلاث مرات ، ثم تلتها سورة البقرة بلفظتين ، ثم المائدة ، والنحل ، والزمر بمرة واحدة .

ثالثاً : لفظة إبليس في السياق القرآني :

وردت لفظة (إبليس) في سياق آيات الكتاب العزيز على هيئة واحدة ، وكان ورودها أحد عشر مرة باللفظ الصريح ، ومرة واحدة بصفته (السفيه) كما أجمع على ذلك أهل التأويل [1] .

وقد أخذت السور المكية النصيب الأعظم من هذه اللفظة فوردت إحدى عشرة مرة فيها ، وبقيت لفظة واحدة لسورة مدنية واحدة .

أما عدد السور التي وردت فيها هذه اللفظة فعشر سور وهي : سورة الحجر ، وص حيث احتوت كل منهما على لفظتين ، ثم تلتها سورة البقرة ، والأعراف ، والإسراء ، والكهف ، وطه ، والشعراء ، وسبأ ، والجن بمرة واحد لكل سورة .

لطائف مستنبطة مما سبق :

يمكننا استنباط بعض المعاني ، واللطائف من الإحصائيات السابقة حول ورود لفظة الشيطان ونظائرها في كتاب الله وذلك على النحو التالي :

1- وردت ألفاظ (شيطان ، إبليس ، طاغوت) بمجموعها مائة وثماني مرات موزعة بين آيات وسور هذا الكتاب المنير ، وهذا العدد يدل على أهمية هذه القضية للبشر ، ذلك أن هذا القرآن هو كتاب هداية وإرشاد ، والشيطان هو عنصر ضلال وإضلال ، فوجب التحذير منه وبيان حقيقته .

---

[1] - أنظر: جامع البيان – للطبري – ج 29 – ص 107 و تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 4 – ص 429 .

2- ورود هــذه الألفاظ في السور المكية (66 مرة) أكثر منـــه فـــي الـــسور المدنية (42 مرة) دليل على اتخاذ هذا الموضوع أهمية أكبر فـــي العهــد المكي للدعوة ، حيث جاء القرآن على قوم جاهليين تمكن منهم الــشيطان ، واستحوذ عليهم ، وليس أدل على ذلك من واقعهم القائم على الكفر ، بحيث لم يبق إلا عدة نفر على دين التوحيد في الجزيرة ، فكان لزاماً أن يبين لهم القرآن خطر هذا الشيطان ، ويوضح لهم خطواته وغاياته .

3- لم يُذكر إبليس في السور المدنية إلا مرة واحدة ، وكان ذكـــره فـــي القـــرآن المكي هو الأغلب ، وهذا باب عظيم من حسن الوعظ حيث يُــذكِّر القـــرآن الناس بمنشأ الشياطين وقبح صفاتهم المتمثلة في إبلــيس عليـــه لعنـــة الله ، ويذكِّرهم بقبح صنيعه مع أبيهم آدم عليه السلام ، ويبين لهم العداوة القائمـــة أبداً بينهم وبينه ، ليكون ذلك حافزاً على التنفير من اتباعه ، فكان ذكره بشكل مكثف في السور المكية يناسب حال الناس مع الشيطان في ذلك الزمان ، أما لما تجلت حقيقة إبليس وموقفه من آدم عليه السلام وعُــرِف ذلــك للقاصـــي والداني ، لم يكن هناك حاجة لذكره في العهد المدني إلا على سبيل الإعــذار والتذكير فورد مرة واحدة في سورة البقرة .

4- في حين كانت ألفاظ (شيطان ، إبليس) ترد بشكل أكبر في السور المكيـــة ، لاحظنا أن لفظة (طاغوت) وردت في السور المدنية ثلاثة أضعاف ورودها في السور المكية ، فلماذا ؟

عرفنا أن الطاغوت هو مرتبة عليا في الكفر والطغيان يفوق الــشيطان فـــي الإجرام ، وهذا النوع من الشياطين لم يكن بارز الظهور في العهــد المكـــي حيث سذاجة العقول وجهالة الأحلام ، أما في المدينة فقد ظهر اليهود بمكرهم وخبثهم وتجرئهم على الله ، مع من اتبعهم من المنافقين ، فظهر التجرؤ على خصائص الألوهية من صرف العبادة ، والحكم فكانت الحرب على هؤلاء في المدينة أقوى وأعتى .

5- خلو سورة التوبة – على طولها – من هذه الألفاظ إشارة على ضعف وبطلان الشياطين ، وعدم صمودهم أمام الحق ، لا سيما ذلك الحق القوي بألفاظـــه ، القوي بمعانيه ، الشديد على الباطل ، والذي تمثل في سورة التوبة ، ففـــرت منها الشياطين خوفاً وفرقاً .

المبحث الثالث

أصناف الشيطان وصفاته

المطلب الأول : أصناف الشيطان :

لقد علمنا مما سبق أن الشيطان لا يقتصر وجوده على جنس معين من المخلوقات ، فهو من الجن كما أنه من الإنس أيضاً ، وعلى ذلك – وبناءاً على ما ورد من آيات قرآنية – فإن الشيطان يكون من هذين الجنسين المكلفين (الثقلين) ويظهر هذا جلياً في قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْأنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ [1] قال قتادة : " من الجن شياطين ومن الإنس شياطين ، يوحي بعضهم إلى بعض . وقال : بلغني أن أبا ذر كان يوماً يصلي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (تعوذ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن) . فقال : أوَ إنَّ من الإنس شياطين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم) [2].

وقد ذهب البعض إلى أن ما ورد في الآية لا يعني أبداً وجود شياطين من الإنس بل المقصود بقوله تعالى (شياطين الإنس والجن) [3] أي أن مع كل إنسي شيطان من الجن ، ومع كل جني شيطان من الجن ، وقد حُكي هذا القول عن عكرمة[4] والضحاك[5] والسدّي [6] والكلبي[7]، وقد استندوا على حديث رواه

---

1 - سورة الأنعام ، الآية 112 .

2- موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – سنن النسائي – كتاب الاستعاذة – باب : الاستعاذة من شر شياطين الإنس – ص20440 - ح 5509 .

3 - سورة الأنعام ، الآية 112 .

3- هو عكرمة مولى ابن عباس كان عبدا لعبدالله بن عباس فمات رضي الله عنه فورثه ابنه علي بن عبد الله فباعه من خالد بن يزيد بأربعة الآف دينار فأتى عكرمة عليا فقال ما خير لك بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار فاستقاله خالد وأعتقه وكان يكنى أبا عبد الله عالما بالقرآن ومعانيه وتوفي سنة خمس ومائة- طبقات المفسرين – للداودي – ج 1 – ص 12 .

5- الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير مات بخراسان سنة أربع ومائة بالمدينة – طبقات المفسرين – للداودي – ج 1 – ص 10 .

6- السدي الكوفي المشهور المفسر كان عالما بالتفسير وكانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائة - طبقات المفسرين - الداودي ج1/ص15

7- هو محمد بن السائب بن بشر وقيل مبشر بن عمرو أبو النضر الكلبي الكوفي صاحب التفسير وكان إماما في التفسير وكان من أصحاب عبد الله بن سبأ وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق وسكن الكلبي دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي توفي سنة ست وأربعين ومائة - طبقات المفسرين - الداودي ج1- ص17.

ابن عباس في تفسير هذه الآية حيث قال : " مع كل جني شيطان ، ومع كل إنسي شيطان ، فيلقى أحدهما الآخر فيقول : إني قد أضللت صاحبي بكذا فأضلَّ صاحبك بمثله ، ويقول الآخر مثل ذلك ، فهذا وحي بعضهم إلى بعض وهذا الحديث في إسناده ضعف " [1] .

وقد رد الإمام ابن جرير الطبري على هذا التأويل عند تفسير هذه الآية بكلام طويل نذكر طرفاً منه : " جعل عكرمة والسدِّي في تأويلهما هذا الذي ذكرت عنهما عدوَّ الأنبياء الذي ذكرهم الله في قوله : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً** ﴾ [2] أولادَ إبليس دون أولاد آدم ودون الجن ، وجعل الموصوفين بأنهم بعضهم يوحي إلى بعض زخرف القول غروراً ، ولدَ إبليس ، وأن مَن مع ابن آدم من ولد إبليس يوحي إلى مَن مع الجنّ من ولده زخرفَ القول غروراً ، وليس لهذا التأويل وجه مفهوم ، لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم ، فكل ولده لكل ولده عدو ، ولقد خص الله في هذه الآية الخبر عن الأنبياء أنه جعل لهم من الشياطين أعداء ، فلو كان معنياً بذلك الشياطين الذي ذكرهم السدّي ، الذي هم ولد إبليس ، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم أنهم جعل لهم الشياطين أعداء وجه . وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه مثل الذي جعل لهم ، ولكن ذلك كالذي قلنا من أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبي عدواً يوحي بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به " [3] .

أما القول الأول – الذي يجعل الشياطين من الجن والإنس على السواء – فقد رجحه أكثر المفسرين ، وهو الظاهر والأولى من الآية ، حيث ذهب إليه الطبري وابن كثير ، وابن عطية في تفاسيرهم وحسبنا بهؤلاء الأعلام الأفذاذ حجة لنا على هذا القول .

---

1 - الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 7 – ص 66

2 - سورة الأنعام ، الآية 112

3 - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 8 – ص 9

أما إذا أردنا أن نتلمّس مقصدنا في إثبات هذا المذهب من آيـــات الكتـــاب العزيز ، فهذا ظاهر في آخر سورة حيث يُثبت فيها الحق سبحانه أن الوســـواس الخناس – الذي هو الشيطان بلا نزاع في معناه – هو من الجِنَّة كما هـــو مـــن الناس على حد سواء : ﴿ **مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ** ﴾ [1].

ومن هؤلاء الشياطين إنسهم وجنهم تنبثق زمر من الشياطين المتخصـــصة بصفة من الصفات ومهمة من مهام الإغواء والإضلال ، وها هي تلك الأصناف كما وردت في سياق آيات الحق سبحانه وتعالى :

أولاً : مردة الشياطين :

(مَرَدَ) : المارد : العاتي ، وتمرّد : أقبل وعتى ، وقال ابن الأعرابي[2] المرْد : التطاول بالكبر والمعاصي ، والمريد : الخبيث المتمرد الشرير [3] .

وهذه المعاني بمجملها تصدق على مجموعة من الشياطين اتصفت بـــالعتو وتجاوز الحد في المعصية وإن كانت تشترك مع بقية الشياطين في أصل الكفـــر بالله والتمرد على أوامره ، ولكن هنا زيادة في التمرد والعـــصيان ولـــذلك فقـــد استحق رأس الشياطين إبليس عليـــه لعنة الله هذه الصفة حيث يقول رب العزة : ﴿ **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً** ﴾ [4] .

ولربما يسأل سائل هنا عن فائدة وصف الشيطان بالمريد إن كان معنى المرْد هو مجاوزة الحد في المعصية وهو ما يحمله معنى الشيطان ؟

والجواب يكمن في أن المرْد هو درجة متقدمة على الشيطان ، فالـــشيطان هو البعيد عن الحق ، أما المريد فذو البعد الكامل التام عن الحق ، يقول الرازي : " أما المريد فهو المبالغ في العصيان الكامل في البعد من الطاعة ويقال له : مارد

---

[1]- سورة الناس ، الآيات 4 – 6 .

[2]- هـــو : محمـــد بن زياد المعروف بابن الأعرابي أبو عبد الله ، علامة باللغة ، من أهل الكوفة ، تـــوفي سنة 231 هــ - الأعلام – للزركلي – ج 6 – ص 131 .

[3] - لسان العرب – لابن منظور – ج 3 - 400

[4] - سورة النساء ، الآية 117

ومريد ، قال الزجّاج : يقال حائط ممرّد أي مملّس ، ويقال شجرة مرداء إذا تناثر ورقها ، والذي لم تنبت له لحية يقال له أمرد لكون موضع اللحية أملس ، فمن كان شديد البعد عن الطاعة يقال له مريد ومارد لأنه مُملّس عن طاعة الله لم يلتصق به من هذه الطاعة شيء " [1] .ومن كان أمرداً عن الحق والخير فهو متجرد للشر والضرّ ، يقول ابن عطية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ** ﴾ [2] : " والمارد المتجرد ومنه شجرة مرداء لا ورق عليها "[3].

ومِنْ تتبع أقوال المفسرين في أصل معنى المارد والمريد من الشياطين نجد أنه يرجع إلى معنيين :

1- التجرد للشر .

2- البعد عن الخير تشبيهاً له بالأملس الذي لا يعلق به شيء .

وقد زاد البعض معنى ثالثاً فقالوا : "هو من ظهور الذقن بعد ذهاب الشعر أو ظهور عيدان الشجر بعد سقوط الورق وهذا المعنى يتفق مع مراد تشبيه الشيطان بالأمرد فالمقصود من هذا التشبيه هو ذهاب الخير عنه من جهة كذهاب الشعر وورق الشجر عن الذقن والشجر ، وهما اللذان يشكلان الخير لأصلهما اللذان هما عليه ، ومن جهة أخرى بقاء الأصل بلا خير فعلاهما الشر ، كحال الذقن بلا شعر والشجرة بلا ورق "[4] .

ثانياً : الطاغوت :

لم يكن حديثنا عن المارد ووصفه بتلك الشرور ليوصد الباب تماماً أمام استشاطة الشيطان في الشر والغواية والإضلال ، فلإن كان المارد مُملّساً عن الخير مجرداً للشر فإن هناك من الشياطين من جاوز هذا الوصف ، فبالإضافة إلى البعد التام الكامل عن الخير ، وإلى التجرد التام للشر والإضلال ، فقد تجرأ هذا الصنف زوراً وبهتاناً على أخص خصائص الألوهية

---

1 - التفسير الكبير – للرازي – م 6 – ج 11 – ص 36

2 - سورة الصافات ، الآية 7

3 - المحرر الوجيز – لابن عطية – ج 4 – ص 466

4 - روح المعاني – للألوسي – ج 5 – ص 218

والربوبية بتنصيب نفسه معبوداً من دون الله ، وهذا الصنف هو الطاغوت الــذي ورد ذكره في كتـــاب الله ثمانـــي مرات كلها في سياق العبودية لله والتبرؤ مـــن هذا الشيطان المتأله .

وقد عرّف الإمام الطبري الطـــاغوت تعريفـــاً جامعـــاً حيــث يقــول : " والصواب من القول عندي في الطاغوت : أنه كل ذي طغيان على الله فعُبِد مـــن دونه ، إما بقهر منه لمن عبـــده ، وإما بطاعـــة ممن عبـــده له ، إنساناً كان ذلك المعبود ، أو شيطاناً ، أو وثناً ، أو صنماً ، أو كائناً ما كان من شيء " [1] .

وقد عرَّفه ابن القيم رحمه الله بأنه : " ما تجـــاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع " [2] ، وهذا تعريف عام يحتاج إلى بعض الدقة كـــي يكـــون جامعاً مانعاً وهذا ما اقترب منه الإمام الطبري ، حيث إن تعريفه يعرض عليـــه إشكال إذ إنـــه جعل الأصنام والأوثان من الطواغيت مع أنها أحجار لا حول لها ولا قوة ولا ينطبـــق عليها بأي حال معنى الطغيان ومجاوزة الحد ، نعـــم هـــي عُبِدت وما زالت تُعبـــد من دون الله ، ولكن هـــذه العبادة لهـــا لا تجعلهـــا مـــن الطواغيت بل هي باطل بوصفها هذا ، وإن شئت فقل هي جبت كما وصفها رب العزة في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِـــنَ الْكِتَـــابِ يُؤْمِنُـــونَ بِالْجِبْـــتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْـــدَى مِنَ الَّذِيـــــنَ آمَنُـــوا سَبِيلاً** ﴾ [3] ، ففي هذه الآية دليل على خصوصية الطاغوت بالجن والإنـــس دون الوثن ، فلو كان الطاغوت جامعاً للمكلفين وغيرهم من الجمـــادات لاكتفـــى رب العزة بذكرها دون الجبت ، ولما كان لذكر الجبت بعد الطاغوت فائدة ، ذلـــك أن معنى الجبت يتعدى المكلفين إلى الجمادات والأمور المعنوية ، فهذا ابن الخطاب رضي الله عنه يعرف لنا الجبت والطاغوت فيقول : " الجبت السحر ، والطاغوت الشيطـــان ، " [4] والسحر معنى غيـــر عاقل ، وقـــد ورد عن ابـــن عبـــاس :

---

1 - جامع البيان – للطبري – م 3 – ج 3 – ص 27

2 - التفسير المنير – ج 3 - 26

3 - سورة النساء ، الآية 51

4 - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 4 - ص512

"الجبت : الشرك ، وعنه الجبت الأصنام " ، أما الطاغوت فلم يخرج تأويله عند أهل التفسير عن كونه إما الشيطان على العموم ، أو أحداً من الناس على الخصوص كما ورد عن ابن عباس " الطاغوت : كعب بن الأشرف[1] ، والجبت : حُيَيّ بن أخطب " [2] .

وبناءً على ما سبق يكون تعريف الطاغوت على ما اخترناه في بداية هذا الفصل .

والمتتبع لمواضع ورود لفظة الطاغوت في القرآن الكريم يجدها تأتي في سياق العبادة والإيمان ، فهذه آية البقرة تعلن أن الإيمان بالله يستلزم التبرؤ من الطاغوت ومن عبادته ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ ([3]) .

يقول الألوسي : " الطاغوت أي الشيطان ، وهو المروي عن عمر بن الخطاب ، والحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم – كذا قاله مجاهد وقتادة – وعن سعيد بن جبير وعكرمة أنه الكاهن ، وعن أبي العالية أنه الساحر ، وعن مالك بن أنس : كل ما عبد من دون الله تعالى ، وعن بعضهم الأصنام ، والأولى أن يقال بعموم سائر ما يطغى ، ويجعل الاقتصار على بعض في تلك الأقوال من باب التمثيل " [4] ، يقول ابن كثير رحمه الله : " ومعنى قوله في الطاغوت (إنه

1- هو : كعب بن الأشرف الطائي ، من بني نبهان : شاعر جاهلي كانت أمه من بني النضير فدَان باليهودية وكان سيداً في أخواله ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وهو من أكثر من هجوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وحرض القبائل عليهم بإيذائهم ، خرج إلى مكة بعد بدر ، فندب قتلى قريش فيها ، وحضّ على الأخذ بثأرهم ، وعاد إلى المدينة ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصنه وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة السنة الثالثة للهجرة – الأعلام للزركلي – ج 5 – ص 225 .

2 - هو حييّ بن أخطب النضري ، جاهلي من الأشداء العتاة ، أدرك الإسلام وآذى المسلمين فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه سنة خمسة للهجرة – المرجع السابق - ج 2 ت- ص 292 ، جامع البيان – للطبري م 4 – ج 5 – ص 177

3 - سورة البقرة ، الآية 256 .

4 - روح المعاني – للألوسي – ج 3 – ص 21

الشيطان) قوي جداً ، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية ، مِـن عبـادة الأوثان ، والتحاكم إليها ، والاستنصار بها " [1] ، ولا يقصـد ابن كثيـر فـي قوله (عبادة الأوثان) الأصنام منها وإلا لما قال عاطفاً عليها (والتحاكم إليها) فالتحاكم لا يكون لجماد بل هو لشياطين الإنس وأسيادهم من الجـن ، وقـد ورد ذكر الطاغوت بأنه الأصنام في كثير من كتب التفسير دون عزو واضح أو قوي فهذا الألوسي يقول فيه " وعن بعضهم " دون تحديد مَنْ هذا البعض ، وهذا ابـن عطية يقول : " وقال قوم (الطاغوت) : الأصنام " [2] فهو أيـضاً يعـزو هـذا الرأي إلى قوم ونرى الفيروزابادي يجمع كل ما ورد في الطـاغوت فيقـول : " الطاغوت : اللات والعزى ، والكـاهن ، والـشيطان ، وكـل رأس ضـلال ، والأصنام ، وكل ما عُبد من دون الله ، ومردة أهل الكتاب " [3] ، أما حين يُـذكر معنى الطاغوت بأنه الشيطان فتجد العزو قوياً وكثيراً وموثقاً ، فهذا الطبري ينقل هذا الرأي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه ، وعـن مجاهـد والـشعبي والضحاك وقتادة والسدّي[4]، ويتكرر هذا العزو المتين عند سائر المفسرين .

أنواع الطاغوت :

الطواغيت كثيرة لا حصر لها على هذه الأرض ، ولكنها تتـصنف فـي أنواع متعـددة وقـد ذكـر ابن القيم رؤوس هـذه الطواغيت فجعلهـا خمـسة حيث قال : " والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة :

إبليس لعنه الله ، مَن عُبد وهو راضٍ ، مَن دعى الناس إلى عبادة نفـسه ، مَن ادّعى شيئاً من علم الغيب ، مَن حكم بغير ما أنزل الله " [5] .

والحق أن هذه الرؤوس – كما سماه ابن القيم – تشمل كل طاغوت علـى اختلاف ألوانهم وأنواعهم وأجناسهم .

---

[1] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 2 – ص 447

[2] - المحرر الوجيز – لابن عطية – ج 1 – ص 344

[3] - بصائر ذوي التمييز – للفيروزابادي – ج 3 – ص 509

[4] - جامع البيان – للطبري – م 3 – ج 3 – ص 26

[5] - التفسير المنير – ج 3 – ص 26

ثالثاً : القرين :

ولكي يُتم إبليس اللعين مهمة إغواء البشر ، وكي تكون أقوى وأنجع أخرج من حزبه طائفة يُسمَّون : القرناء ، يتخصص كل واحد منهم بإضلال أحد الصالحين ، أو حتى غير الصالحين من بقية البشر ، فيبقى هذا الشيطان القرين ملازماً لصاحبه حتى الممات ، بل إنه يحشر معه يوم القيامة ليساقا جميعاً إلى جهنم ، ولذلك فقد عبر الحق سبحانه وتعالى عن ملازمة القرين لقرينه بلفظة (قيَّض) في قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ [1] .

يقول ابن عاشور : " التقييض : الإتاحة وتهيئة شيء لملازمة شيء لعمل حتى يتمه ، وهو مشتق من اسم جامد وهو قيْض البيضة ، أي القشر المحيط مما في داخل البيضة من المُحّ [2] لأن القيْض يلازم البيضة فلا يفارقها حتى يخرج منها الفرخ فيتم ما أتيح له القيض "[3] .

وقد وضح الحق سبحانه وتعالى مهمة هذا القرين الملازم لصاحبه وبيّن أنها تنطوي على مهمتين كل منهما تكمّل عمل الأخرى ، وذلك في آية الزخرف ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ [4] فهذه الآية تحدد مهمة القرين على النحو التالي :

1- الصد عن سبيل الله .

2- إيهام المقارَن بأنه على حق .

فالصد عن سبيل الله لا يكون إلا بتزيين الباطل وتحسينه في نظر المقارَن فهو يقول له : إياك أن تعتقد أن ما فعلت شر ، أو مخالف لشرع الله ، فوالله

---

1 - سورة الزخرف ، الآية 36

2 - وهو بياض البيضة مما يلي قشرتها من الداخل ، وهو ما يتغذى عليه جنين الدجاجة قبل الخروج .

3 - التحرير والتنوير – لابن عاشور – ج 25 – ص 209

4 - سورة الزخرف ، الآيات 36 ، 37

ما أردت لك إلا الخير ، بل أنت على الحق والهداية ، ويبقى معه في هذا الوسواس حتى يكتشف الحقيقة ولكن متأخراً جداً ، يوم لا ينفع مال ولا بنون فيقول حينها : ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** ﴾ [1] .

وهذا القرين كما يكون من الجن فهو من الإنس أيضاً ، بل إن الإنس هم سبب نزول آية الزخرف فيما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره : " عن محمد بن عثمان المخرمي ، أن قريشاً قالت : قيِّضوا لكل رجلٍ رجلاً من أصحاب محمد يأخذه ، فقيَّضوا لإبي بكر رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله ، فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر رضي الله عنه : إلاما تدعونني ؟ قال : أدعوك إلى عبادة اللات والعزى ! قال أبو بكر رضي الله عنه : وما اللات ؟ قال ربنا : قال وما العزى ؟ قال : بنات الله . قال أبو بكر رضي الله عنه : فمن أمهم ؟ فسكت طلحة ، فلم يجبه ، فقال طلحة لأصحابه : أجيبوا الرجل فسكت القوم ، فقال طلحة : قم يا أبا بكر ، أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فأنزل الله ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً** ﴾ " [2] .

وهذه الطريقة العجيبة في الجدال والإصرار على الإغواء تبين وظيفة القرين على قرينه ، وكيف أن الإيمان الراسخ بالله كإيمان أبي بكر يستطيع أن يهزم هذا القرين ووساوسه .

مصير القرناء في الآخرة :

ويبقى القرين مقيضاً لقرينه إلى أن يدخل في جهنم ، فهو ملازم له في المحشر ، يقول تعالى : ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً** ﴾ [3] يقول القرطبي : " أي ولنحشرن الشياطين قرناء لهم . قيل : يُحشَر كل كافر مع شيطان في سلسلة ، كما قال : ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا**

---

[1] - سورة الزخرف ، الآية 38

[2] - تفسير القرآن العظيم – لابن أبي حاتم – ج 10 - ص 3283

[3] - سورة مريم ، الآية 68

وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [1] " [2] .

وفي النهاية أسوق كلمة لابن عاشور يبين فيها توافق القرناء معنى التقييض يقول : " والقرناء هنا هم الملازمون لهم في الضلالة : إما في الظاهر مثل دعاة الكفر وأئمته ، وإما في باطن النفوس مثل شياطين الوسواس الذي قال الله فيهم ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ [3] ... ومعنى تقييضهم لهم تقديرهم لهم ، أي خلق المناسبات التي يتسبب عليها تقارب بعضهم مع بعض لتناسب أفكار الدعاة والقابلين كما يقول الحكماء (استفادة القابل من المبدئ تتوقف على المناسبات بينهما) . فالتقييض بمعنى التقدير ، عبارة جامعة لمختلف المؤثرات والتجمعات التي توجب التآلف والتحابّ بين الجماعات ولمختلف الطبائع المكونة في نفوس بعض الناس ، فيقتضي بعضها جاذبية الشياطين إليها ، وحدوث الخواطر السيئة فيها . وللإحاطة بهذا المقصود أوثرَ التعبير هنا ب(قيضنا) دون غيره من نحو : بعثنا ، وأرسلنا . " [4]

المطلب الثاني : صفات الشياطين :

وبعد أن عرضنا التصنيف القرآني للشياطين من حيث أنواعهم ووظائفهم نعرض في هذا المطلب تلك الصفات التي تميز هذه الأصناف سواء أكانت خلْقية تتعلق بطبيعتهم ، أو معنوية تتعلق بسلوكهم وخلُقهم .

أولاً : الصفات الخَلْقية :

وضح القرآن الكريم بعض صفات الشياطين وخاصة تلك التي ترتبط معرفتها بالتنفير من هذا الصنف من المخلوقات من جهة ، والتحذير منهم ومعرفة حقيقتهم من جهة أخرى كي لا يكون للشياطين على المؤمنين سبيل أو سلطان ، وهذه الصفات هي :

---

1 - سورة الصافات ، الآية 22.

2 - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 11 – ص 132

3 - سورة الزخرف ، الآية 36

4 - التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 11 – ج 24 – ص 274 ، 275

1- شيطان الجن مخلوق من نار :

وهذه الخلقة مندرجة في عموم خلق الجن ، كما إن شياطين الإنس مخلوقون من طين كعموم جنسهم من الإنس يقول تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ** ﴾ [1] ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : " المراد بالصلصال ها هنا التراب اليابس . والظاهر أنه كقوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ** ﴾ [2] ... وقوله **(مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ)** أي : الصلصال من حمأ وهو الطين . والمسنون : الأملس ... وقوله : **(وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ)** أي : من قبل الإنسان **(مِنْ نَارِ السَّمُومِ)** أي : هي السموم التي تقتل ... وعن ابن عباس : إن الجان خُلق من لهب النار وفي رواية : من أحسن النار"[3] .

وقد ورد في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خلقت الملائكة من نور ، وخُلق الجانّ من مارج من نار وخُلق آدم مما وُصف لكم " [4].

2- طبيعة شياطين الجن لا تُرى للإنس :

وهذه صفة خاصة بشياطين الجن دون شياطين الإنس حيث اكتُسبت هذه الصفة من الطبيعة العامة لخلق الجن ، ولكن لما كانت لصنف الشياطين استُغلت شر استغلال في تخويف البشر واستفزازهم ، يقول تعالى عن هذه الطبيعة : ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [5] ، " يعني جل ثناؤه بذلك : إن الشيطان يراكم هو . والهاء في (إنه) عائدة على الشيطان . وقبيله يعني : وصنفه وجنسه الذي هو منه ، واحدٌ جمعه (قُبُل) وهم الجن : وقوله

---

1 - سورة الحجر ، الآيتان 26 ، 27

2 - سورة الرحمن ، الآيتان 14 ، 15 .

3 - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 8 – ص 255 ، 256

4- موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم –كتاب الزهد والرقائق – باب : في أحاديث متفرقة – ص 1196– ح 2996.

5 - سورة الأعراف ، الآية 27

(مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ) يقول : من حيث لا ترون أنتم أيها الناس الشيطان وقبيله . "[1] .

وقد أثارت هذه الطبيعة – كما ذكرنا – الخوف والنفور من شياطين الجن بل الاستسلام لهم في بعض الأحيان ، ولذا فقد حذر الله البشر من هذه الطبيعة في الآية السابقة ، يقول صاحب الظلال : " وزيادة في التحذير ، واستثارة للحذر ينبههم ربهم أن الشيطان يراهم هو وقبيله من حيث لا يرونهم . وإذاً فهو الأقدر على فتنتهم بوسائله الخفية ، وهم محتاجون إلى شدة الاحتياط ، وإلى مضاعفة اليقظة ، وإلى دوام الحذر ، كي لا يأخذهم على غرة "[2] ، وقد بيّن الألوسي هذا المعنى حيث قال في تفسير قوله تعالى ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ﴾[3] : " تعليل للنهي كما هو معروف في الجملة المصدرة (بأنه) في أمثاله وتأكيد للتحذير لأن العدو إذا أتى من حيث لا يُرى كان أشد وأخوف "[4] .
وقد مكنت هذه الطبيعة شياطين الجن من رؤية ما لا يراه الإنس ، ومثال ذلك رؤية إبليس للملائكة يوم بدر ، حيث حكى عنه رب العزة قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَاب** ﴾[5] ، " تبرأ منهم إما بتركهم أو ترك الوسوسة لهم التي كان يفعلها أولاً ، وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة عليهم السلام "[6] .

3- قبح صورة الشيطان :

ومما جُبِل عليه الشيطان خاصة دون سائر الجن ، قبح صورته ، والتي تحمل في مضمونها قبح أفعاله ، وقبح اتباعه ، " فالشيطان قبيح الصورة ، وهذا مستقر في الأذهان ، وقد شبه الله ثمار شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس الشياطين ، لما عُلِم من قبح صورهم وأشكالهم ، ﴿ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ**

---

[1] - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 8 – ص 195
[2] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 3 – ص 1279 ، 1280
[3] - سورة الأعراف ، الآية 27
[4] - روح المعاني – للألوسي – ج 8 – ص 155
[5] - سورة الأنفال ، الآية 48
[6] - روح المعاني – للألوسي – ج 10 – ص 22

فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [1] ، وقد كان النصارى في القرون الوسطى يصورون الشيطان على هيئة رجل أسود ذو لحية مدببة ، وحواجب مرفوعة ، وفم ينفث لهباً ، وقرون وأظلاف وذيل .

وثبت في السنة أن الشيطان له قرنان ، فعن النبي - صلى الله عليه وسلم – قال : " إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ولا تَحَيَّنوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان " [2] ... " [3]

ثانياً : الصفات المعنوية :

لم يستطرد كتاب الله في توضيح الصفات الخلْقية للشيطان كما رأينا : إذ هو يبيّن منها ما يتعلق بهدفه الرئيسي الهداية للبشر ، ولأجل هذا الهدف استطرد الحق سبحانه وتعالى في بيان الصفات المعنوية الخُلُقية للشيطان ، وذلك بهدف توضيح وتحديد صورة الشيطان لكل من تحق عليهم الدعوة ، فيظهر لهم عدوهم بصفاته فيعرفوه ، ومن ثم يجتنبوه ، ويبتعدوا عن التشبّه بأي صفة من صفاته وهذه الصفات هي :

1- الاستكبار والكفر :

صفتان متلازمتان تقود أولاهما إلى ثانيتهما ، ولقد كان الاستكبار هو الدافع إلى كفر أبي الشياطين إبليس عليه لعنة الله ، يقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [4] " فقوله تعالى : (واستكبر) الاستكبار : الاستعظام فكأنه كره السجود في حقه ، واستعظمه في حق آدم ، فكأن ترك السجود لآدم تسفيهاً لأمر الله وحكمته ، وعن هذا الكِبر عبر عليه السلام بقوله : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة

1- سورة الصافات ، الآيتان 64 ، 65 .

2- موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق – باب : صفة إبليس وجنوده – ص 264 – ح 3272 .

3- عالم الجن والشياطين – لعمر الأشقر – ص 23 .

4 - سورة البقرة ، الآية 34

من خردل من الكِبر " [1]. وفي رواية " فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكــون ثوبه حسناً ونعله حسناً . قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكِبر بطــر الحــق وغمط الناس " [2] . ومعنى بطر الحق تسفيهه وإبطاله . وغمط الناس : الاحتقار لهم والازدراء بهم ... وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال تعالى علــى لــسانه : ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَــهُ مِنْ طِيــنٍ** ﴾ [3] . ﴿ **أَأَسْجُــدُ لِمَــنْ خَلَقْتَ طِيناً** ﴾[4].﴿ **لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ** ﴾ [5] فكفّره الله بذلك ... ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾ [6] أي استكبرت ولا كِبر لك ، ولــم أتكبر أنا حين خلقته بيدي والكبر لي . فلذلك قال ﴿ **وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ "[7]

وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية ارتباط الكفر بالاستكبار في معرض حديثه عن أقسام الكفر حيث جعل كفر الكِبر واحداً منها يقول : " أما الكفر الأكبر فهو خمسة أنواع : كفر تكذيب ، كفر استكبار وإباء ، كفر إعراض ، كفــر شــك ، وكفر نفاق ... وأما كفر الإباء والاستكبار : فهو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار ومن هذا كفر من عرف صــدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينصع لــه إبــاءاً واستكباراً ، وهــو الغالب على كفــر أعــداء الرسل كفرعون وقومه . وقــول الأمم لرسلهم : ﴿ **إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَــرٌ مِثْلُنَا** ﴾ [8] وهو كفر اليهود ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** ﴾ [9] " [10]، .

---

[1] - أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ (ذرة) بدل (حبة) – موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب: تحريم الكبر وبيانه – ص 693 – ح 91 وهو جزء من حديث طويل .

[2] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم – كتاب الإيمان باب : تحريم الكبر وبيانه – ص 693 – ح 91.

[3] - سورة ص ، الآية 76 .

[4] - سورة الإسراء ، الآية 61 .

[5] - سورة الحجر ، الآية 33 .

[6] - سورة ص ، الآية 75 .

[7] - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 1 – ص 296 ، 297

[8] - سورة إبراهيم ، الآية 10

[9] - سورة البقرة ، الآية 89

[10] - مدارج السالكين – لابن القيم – ج 1 – ص 364 ، 367 (بتصرف)

ولقد اكتسب أتباع إبليس من شياطين الجن والإنس هذه الصفة المقيتة ، فحملتهم على كل قبيح بدءاً بالكفر ومروراً بالاغترار بأنفسهم ، وانتهاءً بإضلال غيرهم كي يصبحوا من أشياعهم .

ولو أنا تتبعنا أسباب الكفر في هذا العالم لوجدنا أن جلّها يعود إلى الكبر والتعالي على شرع الله ، مع استيقان الأنفس بالحق ، ألم ترى كيف أظهر الله مكنون صدور شياطين آل فرعون : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً** ﴾ [1] ، وها هم شياطين اليهود والنصارى يدفعهم الكبر والعلو إلى الكفر بنبي الرحمة مع أنهم يعرفونه أكثر من معرفتهم بأبنائهم : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [2].

جزاء المتكبرين :

وعد الله عباده المؤمنين المطيعين بالجنة ، وبيّن أن هذه الجنة لا يسكنها مستكبر ، ولذلك كان هبوط إبليس من ملكوت السماوات إلى دركات الأرض يقول تعالى : ﴿ **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ [3] أي " اهبط منه – يعني من الجنة – فليس لك أن تستكبر فيها عن طاعتي وأمري . فإن قال قائل : هل لأحد أن يتكبر في الجنة ؟ قيل : إن معنى ذلك : فاهبط من الجنة فإنه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله ، فأما غيرها فقد يسكنها المستكبر عن أمر الله ، والمستكين لطاعته " [4] ، أما جزاء أولئك المتكبرين في الآخرة فقد تحدث عنه سبحانه في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [5] أي : " إن الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا ، وتكبروا عن التصديق لها

---

[1] - سورة النمل ، الآية 14 .

[2] - سورة البقرة ، الآية 146 .

[3] - سورة الأعراف ، الآية 13.

[4] - انظر جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 8 – ص 169

[5] - سورة الأعراف ، الآية 40

وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبراً ، لا تفتح لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء ، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل لأن أعمالهم خبيثة ... وكذلك نثيب من أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من الله من العذاب الأليم في الآخرة " [1].

2- معصية الله :

ونتيجة لهذا الاستكبار ، والذي أدى إلى الكفر ، وقع إبليس عليه لعنة الله ، هو ومن تبعه ، في كبرهم وكفرهم ، وقعوا في معصية الله ومخالفة أمره ، فصار هذا العصيان لهم ديدناً وسجيّة ما دام في قلب أي شيطان منهم كبرٌ وأنفة عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، وبيّن الحق سبحانه هذه السجية على لسان أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام فيقول فيما يحكيه عنه في خطابه لأبيه : ﴿ **يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً** ﴾ [2] يقول تعالى على لسان إبراهيم : " يا أبت لا تعبد الشيطان ، إن الشيطان كان لله عصياً . والعصي : ذو العصيان ، كما العليم : ذو العلم " [3] فهذه هي صفة الشيطان في أي زمان ، وفي أي مكان .

3- اللعن والرجم :

صفتان اكتسبهما أبو الشياطين إبليس لما عصى ربه استكباراً وكفراً بعدم السجود لآدم ، وهما متلاصقتان في المعنى فكلاهما تعني الطرد والرمي والإبعاد .

أما اللعين " فأصل اللعن : الإبعاد ، وهو في العرف إبعاد مقترن بسخط وغضب " [4] ، وأما الرجم والرجيم : " فأصل الرجم : الرمي بقول كان أو بفعل ومن الرجم بالقول قول أبي إبراهيم صلوات الله عليه : ﴿ **لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ**

---

[1] - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 8 – ص 224 .

[2] - سورة مريم ، الآية 44 .

[3] - جامع البيان – للطبري – م 9 – ج 16 – 120

[4] - المحرر الوجيز – لابن عطية – ج 2 – ص 114

لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ [1] وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان : رجيم ، لأن الله جل ثناؤه طرده من سماواته ، ورجمه بالشهب الثواقب " [2] ، " والرجيم : المرجوم ، صُرِف من مفعول إلى فعيل ، وهو : المشتوم ، كذلك قال جماعة من أهل التأويل " [3] .

وقد وردت هاتان الصفتان في مواضع كثيرة بلفظيهما وبألفاظ مقاربة كلها تدل على العيب والنقص والنفي والطرد من رحمة الله ، ومن تلك الألفاظ المتقاربة : الذأم ، والدحر ، يقول تعالى : ﴿ **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً ...** ﴾ [4] " ومذءوماً أي : مذوماً ، والذأم : العيب بتخفيف الميم ، قال ابن زيد : مذؤوماً ومذوماً سواء ، يقال ذأمته وذممته وذُمْته بمعنى واحد ، وقال مجاهد : المذؤوم المنعي ، والمعنيان متقاربان ، والمدحور : المبعد المطرود ، وأصله : " الدفع " [5] .

وقد ركزت الآيات القرآنية على بيان لعنة ورجم إبليس وطرده من رحمة الله ، بتلك الألفاظ المختلفة التي ذكرنا ، أما لعنة ورجم أتباعه فبديهيٌّ بالاتباع له وإن كان قد ورد لعن الشيطان بشكل عام في آيات قلائل أمثال قوله تعالى ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [6] .

بعض اللطائف حول الآيات :

ورد لعن إبليس في آيتين متشابهتين باختلاف حرف واحد وذلك في سورتي الحجر و ص ، ففي الحجر قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [7] ، وفي سورة ص يقول : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [8]

---

[1] - سورة مريم ، الآية 46

[2] - جامع البيان – للطبري – م1 – ج 1 – ص 62

[3] - المرجع السابق – م 8 – ج 14 – ص 42

[4] - سورة الأعراف ، الآية 18

[5] - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 7 – ص 176

[6] - سورة النحل ، الآية 98

[7] - سورة الحجر ، الآية 35

[8] - سورة ص ، الآية 78

ففي آية الحجر جاء اللعن مطلقاً دون تقييد ، وفي ص جاء مضافاً إلى رب العزة سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول أبو السعود : " وتقييدها بالإضافة مع إطلاقها في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ** ﴾ لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضاً من جهته تعالى ، وأنهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وإبعاده من الرحمة إلى يوم الدين "[1] .

4- **الطغيان ومجاوزة الحد** :

ونتيجة لهذا الطرد الرباني للمستكبرين المتعالين ، زاد بعض المعاندين في عِنْدِهِم ، وجاوز بعض المستكبرين في غيّهم ، وطغى أتباع إبليس في الأرض ، وتجبروا بغير الحق كفراً وعناداً وتحدياً سخيفاً لرب العزة ﴿ **لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً** ﴾ [2] فكانت النتيجة أن سمى الله طغاتهم بالطاغوت ، أي : المتجاوز للحد في العصيان والضلال والإضلال لغيره ، يقول تعالى : ﴿ **كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى** ﴾ [3] " أي لَيتجاوز الحد في المعصية واتباع هوى النفس ويستكبر عن ربه عز وجل " [4] وهذا في حق شياطين الإنس الذين تفوقوا على شياطين الجن في هذه الصفة بالذات دون غيرها .

ولذلك ترى القرآن حين يتحدث عن الطغيان يورده في معرض الحديث عن الإنس ، فهذا عليه لعنة الله يصفه الحق سبحانه وتعالى بالطغيان ﴿ **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾ [5] " وطغى : معناه عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد " [6] .

وفي معرض الحديث عن بني إسرائيل يحذرهم الله من الطغيان وتجاوز الحد يقول تعالى : ﴿ **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى** ﴾ [7] " أي لا تحملنكم السعة والعافية

---

[1] - إرشاد العقل السليم – لأبي السعود – ج 7 – ص 237
[2] - سورة الإسراء ، الآية 62
[3] - سورة العلق ، الآية 6
[4] - روح المعاني – للألوسي – ج 16 – ص 326
[5] - سورة طه ، الآية 24
[6] - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 11 – ص 192
[7] - سورة طه ، الآية 81

أن تعصـــوا ، لأن الطغيان هو التجاوز إلى ما لا يجوز . وقيل : المعنى : أي لا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكر المنعم بها عليكم "[1] .

وقد توعد الله سبحانه وتعالى الطغاة بالعذاب الشديد في الآخرة بالخلود في جنهم : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَـأْوَى** ﴾ [2] "أي عتا عن أمر ربه فعصاه ولم يطعه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه " [3].

5- الضعف أمام الحق :

وبعــد هذا العرض المخيف للشيطان المتكبر اللعين الطاغيــة العاصـــي المجرم ، يطمئن الله عباده المتمسكين بالحق بأن هذا الشيطان على كل ما أوتـــي من طغيان ، ضعيف أمام الحق لا يستطيعه ولا يقدر على أتباعه المتمسكين بـــه مهما أوتي من كيد ومكر وخداع يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾ [4] وكيده : " ما كاد به المؤمنين من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان . فلا تهابوا أولياء الشيطان فإنما هـم حزبــه وأنصاره ، وحزب الشيطان أهل وهن وضعف " [5] .

وقــد بيّن تعالى بشكل لا يقبــل الريب أن الباطــل زاهــق لا محالة وأنه لا يستطيع هزيمة الحق ، بل لا يستطيع أن يفعل شيئاً في هذه الدنيا بـــدون إرادة الله يقول تعالى : ﴿ **وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** ﴾ [6] " والباطل : إبلـــيس ، أي : ما يخلق إبليس أحداً ولا يبعثه " [7] ، وهذا الباطل الذي هو إبليس وجنده زهوق أمام الحق كما أخبرنا ربنا في قوله ﴿ **وَقُــلْ جَــاءَ الْحَــقُّ وَزَهَــقَ الْبَاطِــلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾ [8] قال قتادة : " الحق : القرآن ، وزهق الباطل : هلـك ، وهو الشيطان " [9] .

---

[1] - المرجع السابق – ج 11 – ص 230
[2] - سورة النازاعات ، الآية 37 - 39
[3] - أيسر التفاسير – لأبي بكر الجزائري – ج 4 – ص 619
[4] - سورة النساء ، الآية 76
[5] - جامع البيان – للطبري – م 4 – ج 5 – ص 223
[6] - سورة سبأ ، الآية 49
[7] - جامع البيان – للطبري – م 12 – ج 22 – ص 129
[8] - سورة الإسراء ، الآية 81
[9] - جامع البيان - للطبري – م 9 – ج 5 – ص 178

6- خذلان أتباعه :

ولما كان الشيطان بمثل هذا الضعف والهوان ، ولما كان كل ما يقوم بـــه زور وبهتان ، كانت حبائله أمام الحق قصيرة ، وكانت مكائده للمؤمنين ضعيفة ، فإذا جد الجد ، وظهر الحق ، نكص على عقبيه ، لأنه يعلم ما لا يعلمه أتباعـــه المغَرَّرين .

ولقد بيّن الله تعالى لنا صورتين لهذا الخذلان إحداهما في الدنيا والأخرى في الآخرة :

الصورة الأولى :

تلـــك هـــي صورتـــه القبيحة وهو يخذل المشركين فـــي معركـــة بـــدر الكبـــرى بعـــد أن أوقعهم فيما يريد من الوقوف أمام الحق وأتباعه يقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهـــُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهـــُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّـــي جَـــارٌ لَكـــُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِـــنْكُمْ إِنِّـــي أَرَى مَا لا تـــَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [1] وكفى بالآية وصـــافاً لهذا الخذلان .

الصورة الثانية :

وهي يوم المشهد العظيم إذ يتبرأ الشيطان تبرءاً تاماً مـــن كـــل أتباعـــه ويخذلهم يقول تعالى واصفاً هذا المشهد ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِـــنْ سُـــلْطَانٍ إِلَّـــا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَـــا أَنْـــتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [2] " يخبر تعالى هنا عما خاطب به إبليس أتباعه بعدما قضى الله بين عبـــاده فأدخـــل المؤمنين الجنات وأسكن الكافرين الدركات ، فقام فيهم إبليس لعنـــه الله ، يومئـــذ خطيباً ، ليزيدهم حزناً إلى حزنهم ، وحسرة إلى حسرتهم ، فقال : إن الله وعدكم

---

[1] - سورة الأنفال ، الآية 48 .

[2] - سورة إبراهيم ، الآية 22 .

وعد الحق على ألسنة رسله ، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة ... وأما أنـــا فوعدتكم فأخلفتكم ، كما قال الله تعالى ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّـــا غُرُوراً** ﴾ [1] " [2] .

وقد جلّى الحق سبحانه هذه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ ... **وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً** ﴾ [3] " والشيطان يوسوس ويغري بالكفر والشرك والمعصية ، ثم يخذل أتباعه ، والخذل : الترك من الإعانة ، والبرء من فعله .

وكل من صد عن سبيل الله وأُطيع في معصية الله ، فهو شيطان للإنسان ، خذول عنـــد نـــزول العذاب والبلاء ، كما قـــال تعالـــى : ﴿ **كَمَثَلِ الـــشَّيْطَانِ إِذْ قَـــالَ لِلإِنْســـَانِ اكْفـــُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْـــكَ إِنِّـــي أَخَـــافُ اللَّـــهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [4] "[5].

تعليق على هذه الصفات :

قد يُطرح سؤال مهم حول هذه الصفات يتعلق بعددها وإحاطتها الفعلية بكل ما هو من صفات الشيطان المعنوية ، فقد يقول قائـــل : الإغـــواء ، والكـــذب ، والوسوسة ، والعداوة للمؤمنين ... كل هذه صفات لم تُذكر هنا ، وهي مـــذكورة في كتاب الله عز وجل !

نعم ، هي صفات مذكورة في كتاب الله عز وجل ، ولكننا في هذا المبحث أردنا أن نسلط الضوء على الصفات الذاتية للشيطان ، والتي هي قائمة بذاتـــه ، لازمة له ، تكوِّن شخصيته وتمزجها بمزاجها ، أما ما ذُكر كالوسوسة والإغواء والوعد الكاذب فهو من قبيل الصفات العرضية التي لا تقوم في جوهر الشيطان ، بل هي أقرب إلى الأدوات منها إلى الصفات ، وهي أقرب إلى الأهداف منها إلى

---

[1] - سورة النساء ، الآية 120 .
[2] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 8 – ص 192 ، 193
[3] - سورة الفرقان ، الآية 29 .
[4] - سورة الحشر ، الآية 16 .
[5]- التفسير المنير – للزحيلي – ج 19 – ص 54 .

النعوت ، وبما أن بحثنـــا هــذا هو بحثٌ قرآني موضوعي ، فلن يترك شيئاً منها – بإذنه تعالى – إلا وسيأتي عليه ، ولكن في مكانه التصنيفي الصحيح ، فسنبحث هذه الأهداف والوسائل الشيطانية في موضعها في مستقدَم البحث إن شاء الله .

الفصل الثاني

عداوة الشيطان وأولياؤه

وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العداوة بين الإنسان والشيطان

وينقسم إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :الاستكبار والعلو أصل العداوة بين إبليس وآدم وذريته

المطلب الثاني : عداوة الشيطان وذريته للبشر

المطلب الثالث : الشيطان ألد أعداء الأنبياء

المبحث الثاني : أولياء الشيطان

وينقسم إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ولاية الشيطان

المطلب الثاني : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا والآخرة

المطلب الثالث : أولياء الشيطان وصفاتهم

الفصل الثاني

عداوة الشيطان وأولياؤه

المبحث الأول

العداوة بين الإنسان والشيطان

تلك هي سنة الله في الكون مذ خلق السماوات والأرض إلى أن يرث الأرض ومن عليها ، الصراع بين الحق والباطل ، معاداة الباطل للحق ، ومعاداة الحق للباطل ، ولما كان الشيطان بدأً بأبيهم إبليس – وهو الباطل بعينه – ناصب الحق وأهله العداء ، وأعلن عليهم حرب الجبناء ، حرباً يذكيها استكباراً وعلواً ، استكبارٌ بالباطل ، وعلوٌ لا محالة زائل ، ولقد كان الحق – على مرّ العصور – أبداً منتصراً ، وإن خبا صوته للحظات ، أو ضعف أهله فترات ، ولقد تناول كتاب الله – كتاب الهداية والبيان – مسألة العداوة بين إبليس وجنده من جهة والمؤمنين من خلق الله من جهة أخرى ، بشكل واضح ، مبيِّناً سبب هذه العداوة ومنشأها ، ومحذراً أتباع الحق من الاغترار بالباطل على أيّ حال ، وسنبين تلك المسائل في المطالب التالية :

المطلب الأول : الاستكبار والعلو أصل العداوة بين إبليس وآدم وذريته:

تكرر ذكر قصة خلق آدم وما كان من إبليس معه ، في كتاب الله عدة مرات بين إطناب ، وإيجاز ، وبين تفصيل في جانب ، وإجمال في آخر ، وكان في كل مرة يذكر لأهل الإيمان بأن ما كان من إبليس – عليه لعنة الله – من رفض للسجود لآدم إنما كان بسبب الكبر والعلو بغير الحق ، يقول تعالى مبيِّناً نفسيّة هذا اللعين لمّا رفض الإذعان لأمر ربه بالسجود : ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾ [(1)] ، " فالمانع له من السجود ، والداعي له إلى خلافه أمر ربه في ذلك : أنه أشدّ منه أيداً ، وأقوى منه قوة ، وأفضل منه فضلاً ، لفضل الجنس الذي منه خُلق وهو النار ، (على)

---

[1] - سورة الأعراف ، الآية 12 .

الذي خُلق منه آدم وهو الطين ، فجهِل عدو الله وجــه الحــق ، وأخطــأ ســبيل الصواب ، إذ كان معلوماً أنّ من جوهر النار : الخفــة والطــيش والاضــطراب والارتفاع علواً ، والذي في جوهرها من ذلك هو حمل الخبيث بعد الشقاء الــذي سبق له من الله في الكتاب السابق ، على الاستكبار عن السجود لآدم والاستخفاف بأمر ربه ، فأورثه العطب والهلاك "[1] .

وبسبب هذا القياس الفاسد المبني على العجب بالنفس ، والاســتكبار عــن الحق ، والعلو على أوامر الله نشأ العداء في نفس إبليس لهذا المخلوق الذي كرّمه الله تعالى ، فتوعّد إبليس – عليه لعنة الله – آدم وذريته من بعده بالحرب والعداء الشديد ، كي تكون نهايتهم كنهايته ، جهنّم وبئس المصير ، يقول تعالى حكاية عن هذا اللعين : ﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَــى يَــوْمِ الْقِيَامَــةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً * قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَــزَاؤُكُمْ جَــزَاءً مَوْفُوراً** ﴾ [2] " ينبه تبارك وتعالى عباده على شدّة عداوة الشيطان وحرصه علــى إضلالهم ، وأنه لمّا خلق الله آدم استكبر عن السجود له وقال متكبراً : ﴿ **أَأَسْــجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً** ﴾ أي : من طين ، وبزعمه أنه خير منه لأنه خلقه من نار " [3] .

وقــد ذكــر ابن كثير كلامــاً طيباً عن تلك العداوة وأصلها بين إبلــيس وآدم وذريته ومما جاء فيه " يذكر تعالى عداوة إبليس – لعنه الله – لآدم – عليــه السلام – وذريته ، وأنها عداوة قديمة مذ خلق الله آدم ، فإنه تعالى أمر الملائكــة بالسجود ، فسجدوا كلهــم إلا إبليس أبى أن يسجد له افتخاراً عليه ، واحتقاراً له ، ﴿ **قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً** ﴾ كما قال في الآية الأخرى ﴿ **قَالَ أَنَا خَيْــرٌ مِنْــهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ [4] ، وقال أيضاً : (أرأيتك) يقــول للــرب جراءة وكفراً ، والرب يحلم ويُنظِر " [5] .

---

[1] - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 8 – ص 168 .

[2] - سورة الإسراء ، الآيتان 62 ، 63 .

[3] - تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص 493 .

[4] - سورة ص ، الآية 76 .

[5] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 9 – ص 38 ، 39 .

المطلب الثاني : عداوة الشيطان وذريته للبشر :

وكما كان الاستكبار والعلو هو أصل تلك العداوة بين آدم وذريته من جهة وإبليس من جهة أخرى ، فقد استمرت هذه العداوة بين جنود إبليس ، والمؤمنين وتستمر إلى يوم الوقت المعلوم ، ويستمر معها استكبار الشياطين وتعاليهم على الحق ، وعلى أوامر الله ، ولأجل هذه الاستمرارية في العداوة فقد نبه القرآن الكريم عليها في كثير من آياته ، وحذر أتباع الحق من أصحابها تحذيراً متكرراً شديداً ، وقد بيّن الطبري معنى هذه العداوة وسببها حيث قال : " فإن قال قائل : وما كانت عداوة ما بين آدم وزوجته ، وإبليس والحية ؟ قيل أما عداوة آدمَ وذريته ، فحسده إياه ، واستكباره عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه : ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ [1] ، وأما عداوة آدم وذريته إبليسَ ، فعداوة المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربه في تكبره عليه ومخالفته أمره ، وذلك من آدم ومؤمني ذريته إيماناً بالله . وأما عداوة إبليس آدمَ ، فكفر بالله " [2] .

وسنجلّي تناول القرآن الكريم لهذه القضية على النحو التالي :

أولاً : بيان شدة تلك العداوة والتحذير منها :

وقع بيان شدّة عداوة الشيطان للحق وأتباعه في كثير من آي الفرقان ، يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [3] ،" وقوله : (**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**) : تنفير عنه وتحذير منه " [4] ، يقول صاحب الظلال مبيناً سبب تحذير الله من الشيطان : "وهنا يبيح الله للناس جميعاً أن يأكلوا مما رزقهم في الأرض حلالاً طيباً – إلا ما شرع لهم حرمته وهو مبين فيما بعد – وأن يتلقوا منه هو الأمر في الحل والحرمة

---

[1] - سورة ص ، الآية 76 .
[2] - جامع البيان – للطبري – م 1 – ج 1 – ص 316 .
[3] - سورة البقرة ، الآية 168 .
[4] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 2 – ص 145 .

وألا يتبعوا الشيطان في شيء من هذا ، لأنه عدوهم ، ومن ثمّ فهو لا يأمرهم بخير ، وإنما يأمرهم بالسوء من التصور والفعل ، ويأمرهم بأن يحللوا ويحرموا من عند أنفسهم ، دون أمر من الله ، مع الزعم بأن هذا الذي يقولون هو شريعة الله ... والمطلوب هو أن يتلقى الناس ما يحل لهم وما يحرم من الجهة التي ترزقهم هذا الرزق ، لا من إيحاء الشيطان الذي لا يوحي بخير لأنه عدوٌ للناس بين العداوة لا يأمرهم إلا بالسوء والفحشاء ، والتجديف على الله والافتراء عليه دون تثبت ولا يقين " [1] .

وقد كان آدم هو أول من تلقى التحذير الشديد من إبليس بعدما وقع منه من رفض السجود وعصيان الله ، وقد كان من رحمة الله بالبشر أن بين لهم – في قصة الأكل من الشجرة – مدى كيد الشيطان بالإنسان وبغضه له ، فلا يتركه حتى يوقعه في الموبقات ، فها هو رب العزة يوجه اللوم الشديد لآدم على مخالفته أمره واتباعه وساوس الشيطان بالأكل من الشجرة ، ويُضمّن هذا الزجر سببه فيقول : ﴿ **فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [2] " فعطف جملة **(وَأَقُلْ لَكُمَا)** على جملة **(أَنْهَاكُمَا)** للمبالغة في التوبيخ ، لأن النهي كان مشفوعاً بالتحذير من الشيطان الذي هو المغري لهما بالأكل من الشجرة ، فهما قد أضاعا وصيته ، والمقصود من حكاية هذا القول هنا تذكير الأمة بعداوة الشيطان لأصل نوع البشر فيعلموا أنها عداوة بين النوعين ، فيحذروا من كل ما هو منسوب إلى الشيطان ومعدود من وسوسته ، فإنه لمّا جُبل على الخبث والخزي كان يدعو إلى ذلك بطبعه فكان لا يهنأ له بال ما دام عدوه ومحسوده في حالة حسنة ، والمبين : أصله المُظهر ، أي للعداوة بحيث لا تخفى على من يتتبع آثاره ووسوسته وتغريره ، وما عامل به آدم من حين خلقه إلى حين غروره به ففي ذلك كله إبانة عن عداوته ، ووجه تلك العداوة أنَّ طبعه ينافي ما في الإنسان من الكمال الفطري المؤيد بالتوفيق والإرشاد الإلهي ، فلا يحب أن

---

1 - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 1 – ص 155 .

2 - سورة الأعراف ، الآية 22 .

يكون الإنسان إلا في حالة الضلال والفساد "[1] .

ولما كانت هذه العداوة تدفع أصحابها إلى الكيد الشديد بالمؤمنين جاء التحذير منها على لسان الأنبياء فهذا يعقوب – عليه السلام – يحذر ابنه يوسف من تلك العداوة فيقول الله حكاية عنه : ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾[2] " قال يعقوب لابنه يوسف يا بني لا تقصص رؤياك هذه على إخوتك فيحسدوك فيكيدوا لك كيداً ، فيبغوك الغوائل ، ويناصبوك العداوة ، ويطيعوا فيك الشيطان ، فالشيطان لآدم وبنيه عدوٌ ، وقد أبان لهم عداوته وأظهرها ، فاحذر الشيطان أن يغري أخوتك بك بالحسد منك إن أنت قصصت عليهم رؤياك "[3] .

ولما كان أمر هذه العداوة جدّ خطير ، إذ هي توصل بمن جهلها إلى السعير ، زاد الحق سبحانه في بيان ذلك ، حيث أخبر في مواضع كثيرة بأن تلك العداوة هي لآدم وذريته ، ولكنه في سورة طه يزيد الأمر تفصيلاً ليدخل زوجه في نطاق تلك العداوة – وإن كنا نعلم أن زوجة آدم داخلة في خطاب زوجها ضمناً – ولكن هذه زيادة في التحذير لكل فرد من المؤمنين رجالهم ونساءهم ، ولعل ذكر حواء هنا جاء ليخبرنا أن إبليس وجنوده سيتخذون النساء مطية عظيمة للضلال والإضلال وبالتالي إلى جهنم مثوى المتكبرين ، يقول تعالى : ﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى** ﴾[4] " أي فقلنا له عقب إبائه السجود : يا آدم إن إبليس عدو لك ولزوجك فلم يسجد لك وعصاني ، فلا تطيعاه ولا يكونن سبباً لإخراجكما من الجنة ، فتتعب في حياتك الدنيا في الأرض في تحصيل وسائل المعاش "[5] .

---

[1] - التحرير والتنوير – لابن عاشور – ج 8 – ص 67 .

[2] - سورة يوسف ، الآية 5 .

[3] - جامع البيان – للطبري – م 7 – ج 12 – ص 189 .

[4] - سورة طه ، الآيات 117 – 119 .

[5] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 16 – ص 296 .

ونلاحظ هنا كيف بين الله سبحانه تبِعات تلك العداوة على البــشر ، فهـــي تقود إلى التعب والنصب والشقاء ، وإن كان يوهم أتباعه بغير ذلك ، وقد وضـــح القرطبي تلك التبعات وعلى من تقع عند تفسير هذه الآية فقال : " قيل : الإخراج واقــع عليهما والشقاوة على آدم وحده ، وهو شقاوة البدن ، ألا ترى أنـــه عقبـــه بقوله : ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى** ﴾ أي في الجنة ، ﴿ **وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى** ﴾ فأعلَمه أن له في الجنة هذا كله : الكسوة والطعام والشراب والمسكن وأنك إن ضيعت الوصية ، وأطعت العدو أخرجكما من الجنة فشقيت تعباً ونصباً ، أي جعت وعريت وظمئت ، وأصابتك الشمس " [1] .

ثانياً موقف المؤمنين من تلك العداوة :

ولما كانت تلك العداوة بمنزلة من الشدة والظهور ، بحيث لا ينفع معهـــا قول الله : ﴿ **وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾ [2] وبالتالي لا يجدي أو يثمر الإحسان كما في قوله تعالى : ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِـــيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [3] فتلك عداوة لا ولن تتحول أبداً إلى ولاية مع المؤمنين ، فالأمر أكبـــر من ذلك ، فهي لعنة الله وغضبه منذ الأزل على من تكبر وكفر وطغى ، وهـــي الرهان القائم إلى يوم الدين بين الشيطان والمؤمنين ، ولأجل ذلك كله وصى رب العزة بأن تعامِل هذا العدو معاملة الند ،فتتخذه عدواً كما اتخذك هو مـــن البدايـــة عـــدواً ، ولكنها عداوة في الحق ، وبغض في الله ، لا فحش فيها ولا اســـتكبار ، لا ظلم فيهـــا ولا طغيان ، يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَـــدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [4] ، وقد بيّن ابن عاشور كيفيـــة اتخاذ الشيطان عدواً حيث قال : " وتلك عداوة مودعة في جبلته كعـــداوة الكلـــب للهر ، لأن جبلة الشيطان موكلة بإيقاع الناس في الفساد وأسوأ العواقـــب ، فـــي

---

[1] - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 11 – ص 253 .

[2] - سورة البقرة ، الآية 237 .

[3] - سورة فصلت ، الآية 34 .

[4] - سورة فاطر ، الآية 6 .

قوالب محسنة مزينة ، وشواهد ذلك تظهر للإنسان في نفسه وفي الحوادث حيثما عثر عليها ، وأعقب الأمر باتخاذ الشيطان عدواً بتحذير من قبول دعوته ، وحثٌّ على وجوب اليقظة لتغريره ، وتجنب توليه بأنه يسعى في ضرّ أوليائه وحزبه ، فيدعهم إلى ما يوقعهم في السعير ، وهذا يؤكد الأمر باتخاذه عدواً لأن أشد الناس تضرراً به هم حزبه وأولياؤه " [1] .

وفي الختام نلاحظ شدة هذه العداوة ووضوحها لمن استنار قلبه بآيات الله ، إنساً كان أو جناً ، وأود في هذا السياق أن أؤكد على الحقيقة التي بينتها في مطلع هذا البحث ، وهي أن الشيطان يكون من الإنس كما يكون من الجن ، وأن أعداءه أيضاً هم من المؤمنين من الإنس والجن ، وإنما أعدتُ هذه الحقيقة هنا لما لاحظته عدم وضوح مفهومها في كتابات كثير من المفسرين ، فهم حين يتحدثون عن الشيطان يذكرون الإنسان في المقابل ، وكأن أعداء الشيطان أو أولياءه لا يكونون إلا من الإنس ، ولكي تتجلى لنا هذه الملاحظة نسوق بعض الجمل من كتب المفسرين الدالة على عدم الوضوح هذا :

- يقول الطبري : " إن الشيطان الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله لكم عدو فاتخذوه عدواً ... " [2] .
- يقول الزمخشري : " أخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص لنا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام ... " [3] .
- يقول ابن عاشور : " والمقصود من حكاية هذا القول هنا تذكير الأمة بعداوة الشيطان لأصل نوع البشر فيعلموا أنها عداوة بين النوعين ... " [4] .
- يقول سيد قطب : " ... لا من إيحاء الشيطان الذي لا يوحي بخير لأنه عدوٌّ للناس بَيِّن العداوة ... " [5] .

---

[1] - التحرير والتنوير – لابن عاشور – ج 22 – ص 260 ، 261 .

[2] - جامع البيان – للطبري – م 12 – ج 22 – ص 142 .

[3] - الكشاف – للزمخشري – ج 3 – ص 269 .

[4] - التحرير والتنوير – لابن عاشور – ج 8 – ص 67 .

[5] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 1 – ص 155 .

- والحق أننا نلتمس العذر لعلمائنا الأجلاء في نحوهم هذا النحو في التعبير ، إذ إن أكثر خطاب القرآن موجه للبشر ، وإن كانت عمومة رسالة هـذا الـدين للثقلين ، ولكن لأن النبوة كانت في الإنس – على الرأي الأرجح – فقد تركـز الخطاب عليهم فنجد كثيراً من الآيات المعنية في هذا الموضوع توجه الخطاب للإنس كقوله تعالـى : ﴿ **يَا أَيُّهـَا النَّاسُ كُلُـوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبـاً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [1] فالكاف هنا في لكم تعود على المنادى في صدر الآية وهم الناس ، ومنها قوله تعالى على لسان نبي الله يعقوب يعظ ابنه يوسف : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [2] وغيرهـا كثير ، ولكن هذه الحقيقة لا تعني بأي حال اقتصار الخطاب على الإنس فهناك آيات عامة في الخطاب كقوله تعالى على لسان موسى – عليه السلام - : ﴿ **قَـالَ هَـذَا مِـنْ عَمَـلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ** ﴾ [3] ، وإنما تركز التحذير من الشيطان علـى بني آدم للقصة المعروفة بين إبليس وآدم والتي كانت منشأ العـداوة بينهمـا ، ولكن العداوة في الأصل عامة لكل مؤمن من الإنس والجن ، وهذا ما ينبغـي أن يكون واضحاً عند من يطلبون التأصيل العلمي ، ويبحثون عن دقة العبارة وهذا ما دفعني هنا إلى تلك الملاحظة ، فنحن هنا في باب التأصـيل العلمـي الدقيق لا في معرض الكلام التفسيري الرقيق .

المطلب الثالث : الشيطان ألد أعداء الأنبياء :

اقتضت سنة الله تعالى ألا يترك عباده في خضم تلك المعركة مع الشيطان دونما نصير أو مؤيد منه ، فكان كلما ضعف حبل العلاقة بين البـشر وخـالقهم فاستكانوا للشيطان بالانجراف في خطواته ، بعث الله لهم من يعيدهم إلـى سـبيل الحق ، وطريق الرشاد ، هؤلاء هم الأنبياء المؤيدون من الله بالمعجزات والكتب ،

---

[1] - سورة البقرة ، الآية 168 .

[2] - سورة يوسف ، الآية 5 .

[3] - سورة القصص ، الآية 15 .

فيبيِّنون للمخدوعين مكائد الشيطان وحباله ، ويعلنون على الشيطان حرباً ضروساً لا هوادة فيها ، يقضون أعمارهم دفاعاً عن الحق ، وكشفاً لزيف الباطل ، ومــن هنا فقد كان أنبياء الله هم ألد أعداء الشياطين ، فكلما اقترب العبد من ربه ، ابتعد عن الشيطان ، وبالتالي زادت العداوة بينهما ، والأنبياء هم أقرب الناس مكانة من الله حيث العصمة ، والمعجزة ، والتأييد ، والنصرة ، وقد بين الله تعالى أنه ما من نبي على مر الزمان بعثه الله إلا وكان له من الشياطين زمرة تناصــبه العــداء ، وتمشي في طريق حربه والكيد له ، شياطين من الجن ، وشياطين من الإنــس ، يعملون سوياً على محاربة الحق ، يقول تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَــدُوّاً شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَــاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ [1] " وكما ابتليناك يا محمد بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين يصدونهم بمجادلتهم إيــاك بــذلك عــن اتباعــك ، والإيمان بك بما جئتهم به من عند ربك ، كذلك ابتلينا من قبلك الأنبياء والرســل بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات " [2] .

من لطائف الآية : قدم الله – سبحانه وتعالى – لفظة الإنس على الجن في ذكر أعداء الأنبياء مع أن أصل الشياطين في الجن ، وإنما كان ذلك للطيفة أرادها الله في هذا السياق ، فهو هنا يتحدث عن عداوة الشيطان للأنبياء ، والأنبياء مــن البشر ، فكانت مهمة العداوة والحرب والكيد منوطة بشكل أساسي بشياطين الإنس لأنهم من جنس الأنبياء ، فيسهل التعامل معهم ، ومع من يدعونهم ، وهــذا قــول الطبري حيث قال في بداية تفسير الآية السابقة : " بأن جعلنا لك مــن مــشركي قومك أعداءً شياطين " ، ويؤيد هذا الرأي ما جاء عن ابن عباس في تفسير العدو في قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيــاً وَنَصِيراً** ﴾ [3] " أي كما جعلنا لــك يا محمــد عــدواً من مشركي قومك – وهــو

---

[1] - سورة الأنعام ، الآية 112 .

[2] - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 8 – ص 8 .

[3] - سورة الفرقان ، الآية 31 .

أبو جهل في قول ابن عباس – فكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من مشركي قومـــه ، فاصبر ، لأمري كما صبروا ، فإني هاديك ، وناصرك على كل ما نـــاوأك " [1] فهذه الآية مجملة من جهة ، ومبيِّنة من جهة أخرى ، أما إجمالها فلأنها أجملـــت شياطين الإنس والجن في آية الأنعام بكلمة (عدواً من المجرمين) ، أما التبيّـــين فلأنها وصفت شياطين الإنس والجن بأنهم (مجرمين) .

وقد احتدم الصراع بين الشياطين والأنبياء ، وبلغ أشده على مر عـــصور الأنبياء ، ولقد بلغ من الشدة أن استطاعت شياطين الجن – وهي تأخـــذ دورهـــا الخطير إلى جانب شياطين الإنس – أن تلبِّس على الأنبياء بعض الـــوحي لفتـــرة عارضة ، ولكن الله الذي تكفل بحفظ وحيه يزيل هذا الالتباس ،ويدحر الشيطان ، ويبين الحقيقة للمؤمنين ، أما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون الباطل ، ويستهويهم ما قال الشيطان ، ولقد بين الحق سبحانه وتعالى هذا الأمر في قوله : ﴿ **وَمَا أَرْسَـــلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّـــى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّـــهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [2] .

وقد نسجت شياطين الإنس بوحي من أسيادهم أكاذيب كثيرة علـــى ذلـــك الإلقاء ، ومن تلك الأكاذيب قصة الغرانيق التي وردت في كثير من كتب التفسير ومؤداها أن الشيطان ألقى في قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – كلمات ليست من وحي الله لما كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يتلو مطلع سورة الـــنجم على المشركين في مكة ، فلما وصل قوله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الـــلاتَ وَالْعُـــزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى** ﴾ [3] فقال الشيطان بعدها (وتلـــك الغرانيـــق العـــلا ، وإن شفاعتهن لترتجى) فسمع المشركون هذا المدح لآلهتهم ففرحوا وانصرفوا .

تلك القصة الباطلة التي نشرها شياطين الإنس لم تكن لتجد طريقـــاً عنـــد المحققين من علماء المسلمين ، فردوا عليها من طرق نقلية وعقلية يحسن بنـــا أن نسوق بعضها لنرى كيف احتدم الصراع الفكري بين شياطين الإنس وعلماء الحق :

---

[1] - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 13 – ص 27 .

[2] - سورة الحج ، الآية 52 .

[3] - سورة النجم ، الآيتان ، 19 ، 20 .

1- رد الرازي على قصة الغرانيق : " أما أهل التحقيق فقد قالوا : إن هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليها بالقرآن والسنة والمعقول . أما القرآن فوجـــه إحداها قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ﴾ [1] .

وثانيها قوله : ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِـــعُ إِلا مَـــا يُوحَى إِلَيّ** ﴾ [2] .

وثالثها : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [3] فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرانيق العلا لكان قد ظهر كذب الله تعالى في الحـــال وذلك لا يقوله مسلم .

ورابعهما : قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَـــرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً** ﴾ [4] وكلمة (كاد) عند بعضهم معناه قـــرُب أن يكون الأمر كذلك مع أنه لم يحصل .

وخامسها : قولـــه تعالـــى : ﴿ **وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَـــيْهِمْ شَـــيْئاً قَلِيلاً** ﴾ [5] وكلمة (لولا) تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل علـــى أن ذلـــك ركون قليل لم يحصل .

وأما الســـنة فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي – صلى الله عليـــه وسلم – قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنـــس والجـــن [6]، وليس فيه حديث الغرانيق .

---

[1] - سورة الحاقة ، الآيات 46 – 48 .

[2] - سورة يونس ، الآية 15 .

[3] - سورة النجم ، الآيتان 3 ، 4 .

[4] - سورة الإسراء ، الآية 73 .

[5] - سورة الإسراء ، الآية 74 .

[6] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – أبواب سجود القرآن وسننتها – بـــاب : سجدة النجم – ص 84 – ح 1071 .

وأما المعقول فمن وجوه :

أحدها : أن من جوّز على الرسول – صلى الله عليه وسلم – تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان .

وثانيها : أنه عليه السلام ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه وإنما كان يصلي إذا لم يحضروها ليلاً أو في أوقات خلوة وذلك يبطل قولهم ....

وثالثها : – وهو أقوى الوجوه – أنا لو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس** ... ﴾ [1] فإنه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي ، وبين الزيادة فيه " [2] .

2- رد القاضي ابن العربي على تلك القصة : وقد رد على حديث الغرانيق بعشرة أدلة سماها مقامات كان عاشرها قوله : " إن هذه الآية [3] نص في غرضنا ، دليل على صحة مذهبنا ، أصلٌ في براءة النبي – صلى الله عليه وسلم – مما نُسِب إليه أنه قاله ، وذلك أنه قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ** ... ﴾ [4] ، فأخبر الله تعالى أن من سنته في رسله وسيرته في أنبيائه أنهم إذا قالوا عن الله قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه ، كما يفعل سائر المعاصي ، كما تقول : ألقيت في الدار كذا ، وألقيت في الحكم كذا ، وألقيت في الكيس كذا . هذا نص في أن الشيطان زاد في الذي قال النبي – صلى الله عليه وسلم – لا أن النبي قاله " [5].

---

[1] - سورة المائدة ، الآية 67 .

[2] - التفسير الكبير – للرازي – م 12 – ج 23 – ص 44 ، 45 .

[3] - يقصد آية سورة الحج 52 .

[4] - سورة الحج ، الآية 52 .

[5] - أحكام القرآن – لابن العربي – ج 3 – ص 1300 – 1303 .

هذا غيض من فيض من الردود على تلك القــصة مــن جــانبي النقــل والعقل[1].

ختام الرسالة لم يمنع تلك العداوة :

وعلى الرغم من تلك الردود القوية منذ العصور الأولى على هذه القصة ، إلا أن العلمــاء المعاصرين ما زالوا يكتبون حولها ، كما هو الألباني وغيــره ، وما ذلك إلا لأن الشياطين ما زالوا في حرب دؤوب على الأنبياء حتى يومنا هــذا بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، حرب عليهم بعد ختامهم بخاتم الأنبياء – عليه الصلاة والسلام – ولعلنا لم ننس بعد شيطان الإنس ، ذلك الهندي المنتمي للإسلام كذباً ، والمدعو سلمان رشدي [2] ، لم ننس كيف تستر بستار الأدب فــي

---

[1] - وإن شئت الاستزادة والاستشفاء حول هذه القصة المكذوبة فقد صنف فيها الشيخ محمد ناصــر الــدين الألباني مصنفاً نسف فيه أساس تلك القصة وجمع طرقها ، وهذا المصنف هو : نصب المنجنيق لنسف قصة الغرانيق .

[2] - هندي يحمل الجنسية البريطانية ، ولد في الهند بمدينة بومباي في 19 يونيو 1947 م لأســرة مــسلمة تحمل من الإسلام اسمه دون معناه – كما أفصح هو عن ذلك في مقابلة أجرتها معه صحيفة دير اشبيغل الألمانية – كانت مربيته نصرانية ، درس التاريخ بجامعة كامبريدج ببريطانيــا ، والتحــق بالمعهــد المسرحي فيها ، وبعد تخرجه عمل في أحد القنوات التلفزيونية بباكستان حيث عائلته التي انتقلت إليها ، وبعد فترة وجيزة عاد إلى بريطانيا ليعمل هناك ككاتب مسرحي ، كتب أول رواياته 'grimus' "عــام 1975 بدأ رشدي يبحث عن الشهرة عن طريق كتابة روايات مثيرة للجدل فكتب رواية العــار التــي وجهت انتقادات حادة للنظام السياسي في باكستان عام 1983 ، ثم جاءت روايته آيات شيطانية لتفجر غضبا إسلامياً كبيراً تمثل بمظاهرات عارمة في باكستان والهند ضده وبفتوى الخميني – مرشد الثورة الإيرانية حين ذاك – بهدر دمه أينما وجد ، وقد مثلت هذه الرواية هجوماً سافراً على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأزواجه ، وعلى الصحابة الكرام وعلى الوحي القرآني ، وقد رعى الغرب سلمان رشدي لما رأوا عنده تلك الوقاحة على الدين الإسلامي فنال العديد من الجوائز الأدبية والمراكز العلمية ، فقد نالت روايته " آيات شيطانية " جائزة رواية الطير الأبيض Whitbread Novel Award عام 1988 ، ونالت روايته " العار " جائزة أفضل كتاب أجنبي Prix du Meilleur Livre Etrangerالفرنسية ، وفي عام 1993 نال جائزة " كاتب الكتاب " والتي تعطي كل 25 عاماً عن أفضل رواية في تلك الفترة ، وفي عام 1990 نال جائزة Guild Award لأفضل قصة كتبت للأطفال ، وهو الآن أستاذ مساعد في العلوم الإنسانية بمعهد ماساتشوستس التكنولوجي بأمريكــا ، وزميــل الجمعيــة الملكية للآداب ، وقد كُرِّم كزميل متميز في الآداب بجامعة شرق إنجلترا عام 1995، ونــال جــائزة الدولة النمساوية في الأدب عام 1993 ، وقد تلقى ثماني درجات في الدكتوراه الفخرية ، وقد انتخــب أخيراً لعضوية جمعية القلم الأمريكي عام 2002 .

موقــــع دائـــــرة الآداب والأفــــلام بالمجـــــسل البريطـــــاني علــــى الإنترنــــت - http://www.contemporarywriters.com/authors/?p=auth87#top

دس السم في القرآن بإحيائه قصة الغرانيق في كتابه الشهير (آيات شـيطانية) ، وليس هذا هو أول هجوم على الأنبياء ولن يكون آخر هجوم ، فالعداوة الدفينة بين الأنبياء وما تركوا من ميراث وبين الشياطين مستمرة استمرار هذا الدين .

التفسير الصحيح :

أما تفسير آية الحج على الوجه الصحيح ، فورد في كثير من كتب القدماء والمعاصرين ، فمن القدماء شيخهم الطبري حيث يقول : " فتأويل الكـلام إذاً : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ، إلا إذا تلا كتاب الله وقـرأ ، أو حـدث وتكلم ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه ، أو في حديثه الذي حدث وتكلم فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، يقول تعالى : فيُذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلـك على لسان نبيه ، ويبطله " [1] .

وأما من المعاصرين فنسوق كلام السعدي ، والزحيلي في تفسير هذه الآية ونبدأ بأسبقهم حيث يقول السعدي في تفسيرها : " يخبر تعـالى بحكمتـه البالغـة واختباره لعباده وأن الله ما أرسل قبل محمد من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى أي : قـرأ قراءته التي يُذكّر بها الناس ويأمرهم وينهاهم ، ألقى الشيطان في أمنيتـه ، أي : في قراءته من طرقه ومكايده ما هو مناقض لتلك القراءة مع أن الله تعالى قد عصم الرسل بما يبلغون عن الله ، وحفظ وحيه أن يشتبه أو يختلط بغيره ، ولكن هذا إلقاء من الشيطان غيـر مستقر ولا مستمر ، وإنما هـو عـارض يعرض ثم يزول ، وللعوارض أحكـام ، ولهذا قال : ﴿ **فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ** ﴾ أي : يزيله ويذهبه ويبطله ويبين أنه ليس من آياته ، ثم يحكم الله آياته أي : يتقنها ويحررها ويحفظها ، فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشيطان " [2] .

وأما الزحيلي فيقول : " ... تبيّن من الكلام السابق في سبب النـزول أن قصة الغرانيق موضوعة مكذوبة وضعها الزنادقة ، لذا يجب تفسير الآيات علـى نحو آخر ، خلافاً لما عليه كثير من المفسرين ، ولا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما

---

[1] - جامع البيان – للطبري – م 10 – ج 17 – ص 241 .

[2] - تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص 585 .

هو لألفاظ مسموعة ، به وقعت الفتنة ، ثم اختلف الناس في صورة هذا الإلقاء ، لكن المقطوع به أن النبي – صلى الله عليه وسلم – عملاً بدلالة الآيات السابقة الدالة على عصمته ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، إنه لما يجارِ الشيطان فيما ألقاه ، ولم يُرَدِّد على لسانه ما وسوس به ، وأحسن تأويل للآيات – كما قال القرطبي – هو أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً ، ويفصل الآي تفصيلاً في قراءته ، كما روى الثقات عنه ، فيمكن ترصّد الشيطان لتلك السكتات ، ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات ، محاكياً نغمة النبي – صلى الله عليه وسلم – بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار ، فظنوها من قول النبي – صلى الله عليه وسلم – وأشاعوها ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين ، لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله ، وتحققهم من حال النبي – صلى الله عليه وسلم – في ذم الأوثان وعيبها ، وعلى هذا يكون معنى الآية : وما أرسلنا من قبلك ... أي : وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولاً ولا نبياً إلا إذا قرأ وتلا كلام الله ، ألقى الشيطان في قراءته وتلاوته بعض الأقاويل والأباطيل ... فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، أي فيزيل الله ما وسوس به الشيطان من الكلمات والخرافات التي تعلق بها بعض الكفار ، ثم يجعل آياته محكمة محصنة مثبتة ، لا تقبل التشويه والتزييف أو الزيادة أو النقصان ، وهذا يشبه بعض محاولات القساوسة اليوم دس بعض الأكاذيب والشبهات في مبادئ الإسلام وتعاليمه ، وقلب الحقائق ، وتزييف الوقائع ، وتأويل بعض الآيات على وجه غير صحيح ، ثم تتبدد تلك المساعي الخبيثة ، وتُدحض تلك المفتريات على يد بعض العلماء الأثبات من المسلمين ومن غيرهم ، وتدفن تلك الآراء المدسوسة في النشرات والكتب المدرسية وغيرها " [1] .

---

[1] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 17 – ص 249 ، 250 .

المبحث الثاني
أولياء الشيطان

لقد كان القرآن ، كما رأينا ، واضحاً بيناً في بيان عداوة الشيطان لبني الجن والإنس وخاصة المؤمنين منهم ، بل لم يكتف بالبيان والتوضيح فحسب ، ولكنه حذر تحذيرا شديداً من إتباع هذا الشيطان الذي لا يبغي بالمؤمنين إلا كل الشر والسوء ، ورغم كل هذا البيان ، وكل هذا التحذير فقد استطاع إبليس وجنوده أن يستميلوا من الجن والإنس من يتخذونهم أولياء ، ويعلنوا لهم الوفاء . رأينا من البشر كما من الجن ، خلقاً باعوا أنفسهم لإبليس وجنده ونشأت بينهم علاقة تآخٍ ، وتحابٍ ، وتوادّ .

ومنذ إنظار رب العزة إبليس وحتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها ، لا ولن تتوقف مساعي الشيطان في حشد الأولياء والأتباع ، وقد أفلحت جهوده في إغواء الكثير منهم ، وضمهم إلى حزبه وأهله ، وهؤلاء الحزب والأهل منهم من تخطى حد التبعية إلى حد الاندماج بالشيطان والاتصاف بصفاته فأصبح شيطاناً ، ومنهم من لم يتعد حد التبعية ، بل بقي ذليلاً يمشي في خطوات الشيطان ليقع في غاياته .

وبناءً على هذا التقسيم يبرز لدينا سؤال مهم : كيف يمكننا أن نميز بين الشيطان ووليه ؟ وبعبارة أخرى : ما هي تلك الحدود التي إن تعدَّاها الولي أصبح شيطاناً ؟ ، ولماذا فرق القرآن بين الشيطان وبين وليه ؟ .

وللإجابة على هذه التساؤلات يتحتم علينا أن نتعرف على ولاية الشيطان كما أبرزها كتاب الله تعالى ، وإن كانت المحصلة بالنسبة للشيطان ووليه واحدة، فالولاية تثبت بين شخصين فيعطي كلٌ منهما الآخر الولاء بنفس الدرجة مع اختلاف الأهداف والتوجهات ، وهذا ما يعنينا هنا ، أي اختلاف الأهداف والتوجهات ، فهي التي تحكم علاقة الشيطان بأوليائه.

المطلب الأول : ولاية الشيطان :

الولاية : الوَلاية والوِلاية : النصرة ، يقال هم على ولاية أي مجتمعون في النصرة ، ووالى فلان فلاناً إذا أحبه [1] .

تلك هي الولاية في اللغة ، تقوم على معنيين : الحب ، والنصرة ، وليس المعنى الاصطلاحي عن هذين المعنيين ببعيد ، بل هو يقوم عليهما في تدرج طبيعي يبدأ بالحب المتبادل بين الشخص ووليه ، أي بين الوليين ، ثم يستتبع هذا الحبَ نصرةٌ متبادلة بين الوليين ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " والولاية ضد العداوة ، وأصـــل الولاية المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد ، وقد قيل : إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها . والأول أصح . والولي القريب ، فيقال : هذا يلي هذا أي يقرب منه " [2] .

والحديث عن أولياء الشيطان يستوجب الحديث عن أولياء الرحمن فهم أضدادهم ، يقفون قبالتهم ، فبضدها تتميز الأشياء كما يقال ، فإن نحن عرفنا من هم أولياء الرحمن ، تبين لنا مباشرة ، ومن باب مفهوم المخالفة ، أولياء الشيطان يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وإذا عُرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فيجب أن يُفَرّق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما فأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [3] وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقول الله : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة – أو فقد آذنته بالحرب – وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) [4] " [5] .

1- لسان العرب – لابن منظور – ج15 – ص 407.

2 - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – لابن تيمية – ص 28

3 - سورة يونس ، الآيتان 62 ، 63 .

4 - أخرجه البخاري بطوله في صحيحه – موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب الرقاق – باب : التواضع – ص 545 – ح 6502 .

5 - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – لابن تيمية – ص 28 .

كيف تحصل ولاية الشيطان :

وليس أعرف بكيفية حصول هذه الولاية من خالق الناس أجمعين فقد أخبرنا عبر آيات كتابه العزيز بكيفية حصولها ، وشروط وقوعها ، فلنسر مع تلك الآيات ونقف على أقوال العلماء والمفسرين في معنى الولاية في كل منها :

- يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً** ﴾ [1]: " أي لا تطعه فيما يأمرك به من الكفر ، ومن أطاع شيئاً في معصية فقد عبده " [2] .
- ويقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : " أي لا تطعه لأنه عاصٍ لله "[3]
- يقول ابن عطية في تفسير قوله تعالى : ﴿ **فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ [4] : " والضمير في (إنهم) عائد على الفريق الذين حق عليهم الضلالة ، و(أولياء) معناها أنصار وأصحاب وإخوان " [5] .
- ويقول الطبري في هذه الآية : " إن الفريق الذين حق عليهم الضلالة ، إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة ، باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظهراء ، جهلاً منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك " [6] .
- ويقول صاحب التفسير المنير في هذه الآية : " إن الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين أولياء أي تولوهم في ما أمروهم به " [7] .
- يقول الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ [8]: " وقوله : (فأتبعه

---

[1] - سورة مريم ، الآية 44

[2] - الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 16 – ص 102

[3] - مفاتيح الغيب – للرازي – م 11 – ج 21 – ص 193

[4] - سورة الأعراف ، الآية 30

[5] - المحرر الوجيز – لابن عطية – ج2 – ص392

[6] - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 8 – ص 203

[7] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 8 – ص 176

[8] - سورة الأعراف ، الآية 175

الشيطان) يقول فصيره لنفسه تابعاً ينتهي إلى أمره في معصية الله ، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن " [1]

- أخرج ابن أبي حاتم بسنده في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [2] عن أبي غسان[3] قال : " قلت لابن أبي ليلى[4] (وعبد الطاغوت) فقال : فخدم الطاغوت . " [5] .
- قول ابن كثير في هذه الآية : " وقرئ : (وعَبَدَ الطاغوت) على أنه فعل ماضٍ ، والطاغــوت منصوب به ، أي وجعل منهم من عبد الطاغوت ، وقرئ : (وعُبُدُ الطاغوت) بالإضافة على أن المعنى وجعل منهم خدم الطاغوت ، أي : خدامه وعبيده : وقرئ (وعُبُدَ الطاغوت) على أنه جمع الجمع عبد عبيد عُبُد ، مثل ثمار وثُمُر ... كل هذه القراءات يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا : الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دونما سواه ، كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر " [6] .
- قول الألوسي في هذه الآية : " المراد بالطاغوت عند الجبائي : العجل الذي عبده اليهود ، وعن ابن عباس رضي الله عنه والحسن أنه الشيطان ، وقيل : الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله تعالى ، والعبادة فيما عدا القول الأول مجاز عن الإطاعة " [7].

---

1 - جامع البيان – للطبري – م 6 – ج 9 – ص 155

2 - سورة المائدة ، الآية 60

3 - هو : محمد بن مطرف بن داود الليثي أبو غسان المدني ، نزيل عسقلان ، ثقة من الطبقة الــسابعة – تقريب التهذيب – لابن حجر – ترجمة 6305 – ص 507 .

4 - هو : عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، المدني ثم الكوفي ، ثقة ، مات بوقعة الجماجم سنة 83 هــ وقيل إنه غرق – المرجع السابق – ترجمة 3993 – ص 349 .

5 - تفسير القرآن العظيم – لابن أبي حاتم – ج4 – ص1165

6 - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج5 ص 274 ، 275

7 - روح المعاني – للألوسي – ج 4 – ص257

- يقول صاحب التفسير المنير في هذه الآية : " وعبد الطاغوت ، أي جعل منهم من صير الطاغوت معبوداً من دون الله والطاغوت : كل ما عبد من دون الله كالأصنام والشيطان والعجل ، فكانت عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان ، فصارت عبادتهم له عبادة للشيطان " [(1)] .

- يقول أبو السعود في تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إلا إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إلا شَيْطَاناً مَرِيداً** ﴾ [(2)] : " وما يعبدون بعبادتها (إلا شيطاناً مريداً) إذ هو الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة " [(3)] .

- ويقول ابن كثير في تفسيرها : " أي هو الذي أمرهم بذلك وحسنه لهم وزينه ، وهم إنما يعبــدون إبليس في نفس الأمر ، كما قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [(4)] " [(5)] .

- يقول الطبري في تفسيــر قولــه تعالــى : ﴿ **أَلَــمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [(6)] : " ألم أوصكم وآمركم في الدنيا ألا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله " [(7)] .

- ويقول الألوسي في تفسيرها : " والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم ،عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ، ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل ، وجوز أنه يراد بها عبادة غير الله تعالى من الآلهة الباطلة وإضافتها إلى الشيطان لأنه الآمر بهــا والمزيــن لها فالتجوز في النسبة " [(8)] .

---

[1] - التفسير المنير – للزحيلي – ج6 – ص243

[2] - سورة النساء ، الآية 117

[3] - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم – لأبي السعود – ج 2 – ص 233

[4] - سورة يس ، الآية 60

[5] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 4 – ص 277

[6] - سورة يس ، الآية 60

[7] - جامع البيان – للطبري – م 12 – ج 23 – ص 31

[8] - روح المعاني – للألوسي – ج 13 – ص 59

- ويقول السعدي في تفسيرها : " ألم آمركم وأوصيكم على ألسنة رسلي وأقول لكم : (يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان) أي : لا تطيعوه ! وهذا التوبيخ يدخل فيه التوبيخ عن جميـــع أنواع الكفر والمعاصي لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له . " [1] .
- يقول السعدي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ** ﴾ [2]: " هؤلاء المشركون (كانوا يعبدون الجن) أي : الشياطين يأمرونهم بعبادتنا أو عبادة غيرنا فيطيعونهم بذلك ، وطاعتهم هي عبادتهم لأن العبادة الطاعة " [3] .

نلاحظ هنا بعد هذا العرض لما جاء في تفسير الآيات المتضمنة معنى ولاية الشيطان ، أن معظم الآيات تحدثت عن عبادة الشيطان ، ومبحثنا هنا عن ولايـــة الشيطان ، فما العلاقة بين هذين المعنيين ، وهل الولاية والعبادة بمعنىً ، أم الولاية جزءٌ من العبادة أم العكس ، أم المعنيان متباعدان ؟

الحق أن الولاية والعبادة صنوان يسقيان بماءٍ واحد ، ويفسر كل منهما الآخر ، وإذا ألقيت نظرة على مبدأ ترتيب الآيات في العرض السابق أدركت هذه العلاقة ، فالآية الأولى ، آية الأعراف ، تتحدث عن اتخاذ الشياطين أولياء من قبل أتباعهم ، والولاية كما رأينا هي : النصرة والمحبة ، ونصرة شخص ما ومحبته لا تتأتى إلا باتباعه فيما يأمر وينهى ، وهذا ما تقرره الآية الثانية في السياق السابق ، ثم إذا تقرر الاتباع في الأمر والنهي ، فتلك هي العبادة والطاعة ، وهذا ما تجده جلياً في بقية الآيات ، ولذلك ، ولأجل هذا التسلسل الطبيعي في العلاقة بين الولاية ، والاتباع ، والعبادة ، ولأجل هذا التلازم الوثيق ، رأينا كيف فسر العلماء رحمهم الله الولاية في الآية الأولى بالنصرة واتباع الأمر ، ثم هم فسروا الاتباع في الآية الثانية بالائتمار بأمر الشيطان ومعصية الرحمن ، وتلك هي

---

1 - تيسير الكريم الرحمن – للسعدي ص 765
2 - سورة سبأ ، الآية 41
3 - تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص 746

العبادة والطاعة . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وفضائله - صلى الله عليه وسلم - وفضائل أمته كثيرة ، ومن حيث بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه : فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به ، واتبعه باطناً وظاهراً ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان . قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ... ﴾ [1] " [2]

ولكننا بعد كـــل هـــذا البيان لم نقف بعد على حدود ولاية الشيطان ؛ أي ما الفارق بين الشيطان ، وبين وليه ؟

يتضح هذا الأمر بتحديد أمرين مهمين :

الأول : المعنى الدقيق لولاية الشيطان ، أو لعبادة الشيطان .

الثاني : معرفة مهمة الشيطان وصفاته .

أما المعنى الدقيق لولاية الشيطان ، أو لعبادة الشيطان ، وهما كما عرفنا بمعنى واحد ، فظاهر في تفسير كل الآيات التي تحدثت عن عبادة الشيطان ، وهذا المعنى يتجلى في الطاعة والائتمار بأمر الشيطان والانتهاء بنهيه ، ويوضح هذا المعنى حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعدي ابن حاتم لما دخل عليه وهو يعلق صليباً فقد روى الترمذي بسنده عن عدي بن حاتم قـــال : " أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقي صليب من ذهب فقال : " ما هذا يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ** ﴾ [3] ثم قال :" أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه"[4] ، وهذا

---

1 - سورة آل عمران ، الآية 31 .

2 - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – لابن تيمية – ص 33

3 - سورة التوبة ، الآية 31

4 - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – جامع الترمذي – أبواب التفسير – باب : سورة التوبة – ص 1964 – ح 3095 ، قال الألباني : حديث حسن – صحيح سنن الترمذي – للألباني – ج 5 – ص 278 .

المعنى هو الذي جاء على لسان حذيفة رضي الله عنه فيما ذكره القرطبي : "روى الأعمش وسفيان بسندهما قالا : سئل حذيفة عن قول الله عز وجل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) هل عبدوهم ؟ فقال لا ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه ، وحرموا عليهم الحلال فحرموه " [1]، وقد بين صاحب الظلال هذه المعاني بشكل جلي عند تفسيره هذه الآية فقال : " ومن النص القرآني الواضح الدلالة ، ومن تفسير الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو فصل الخطاب ، ثم من مفهومات المفسرين الأوائل والمتأخرين ، تخلص لنا حقائق في العقيدة والدين ذات أهمية بالغة نشير إليها هنا في غاية الاختصار .

إن العبـــادة هـــي الاتبـــاع في الشـــرائع بنص القرآن وتفسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فاليهود والنصارى لم يتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً بمعنى الاعتقاد بألوهيتهم أو تقديم الشعائر التعبدية إليهم ... ومع هذا فقد حكم الله سبحانه وتعالى عليهم بالشرك في هذه الآية وبالكفر في آية تالية في السياق لمجرد أن تلقوا منهم الشرائع فأطاعوها واتبعوها ... فهذا وحده دون الاعتقاد والشعائر يكفي لاعتبار من يفعله مشركاً بالله الشرك الذي يخرجه من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين ... " [2] .

وبهذا يتضح لدينا معنى الولاء للشيطان ، ألا وهو اتباعه فيما أمر مخالفاً شرع الله تحليلاً وتحريماً على غير منهج الله عز وجل ، فبهذه الصفة إن اكتسبها أي إنسان أو جان ، يدخل في مفهوم ولاية الشيطان وعبادته .

أما حدود تلك العلاقة ، فتتميز بتميز صفات الشيطان ، فإن كان هذا الولي العبد للشيطان ، مجرد تابع مطيع لسيده فيما أمر ونهى مخالفاً شرع الله ، فهو الولي ، أما إذا تعدت العبادة والطاعة إلى مفهوم الخدمة والتسخير لأهداف الشيطان ، بأن يكتسب الولي – مع طول مزاولته الولاء للشيطان – صفات شيطانه ويصير غوياً مضلاً لغيره كما هو الشيطان ، فإن هذا الولي يتعدى كونه

---

[1] - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 10 – ص 461

[2] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 3 – ص 1642

تابعاً ليصبح شيطاناً ، إذ هو يؤدي ما يؤديه الشيطان فينطبق عليه تعريف الشيطان بصفاته وأهدافه .

وبعد هذه الاستفاضة في معنى ولاية الشيطان وحدودها ، أصبح من الطبيعي أن أعرج في بحثي هذا على عبارة ذاع صيتها في السنوات الأخيرة في الدول العربية وثار حولها جدل كبير أفضى إلى استقرار مفاهيم خاطئة في عقول كثير من الناس ، هذه العبارة هي " عبدة الشيطان " : وهم مجموعة من الشباب الضال اتخذوا من الشيطان رمزاً يتجهون إليه ببعض الشعائر التعبدية ، واتخذوا لهذه الشعائر أماكن مخصوصة يقيمون فيها طقوساً تعبدية لتلك الرموز التي سموها شيطاناً .

وقد أثيرت هذه العبارة " عبدة الشيطان " في حين العثور على هؤلاء الشباب الضال ، وألصقت بهـم إلصاقـاً شديداً وكأنهم هم وحدهم في هذا العالم – ومن يسير على دربهم – هم الذين يعبدون الشيطان ، وكأن عبادة الشيطان قد قصرت على هذا النهج المتمثل في صرف ضرب من الشعائر التعبدية لرموز شيطانية ، ولن أبالغ إن ذهبت إلى أن مثل هذه الفكرة هي ضرب من اختلاط المفاهيم عند البعض على أحسن الأحوال ، ومن خبث المقصد وسوء النية عند آخرين في تمويع مفهوم عبادة الشيطان ، وتشويهه ليقتصر على هذه التفاهات ، فهذا رئيس مجلس الشعب المصري حينها أحمد فتحي سرور يقول : " لا يجوز معالجة هذه القضية على أنها ظاهرة عامة ، فمصر دولة إسلامية شعبها متديّن ومثقف ، يؤمن بالله سبحانه وتعالى وأفراد الشعب المصري يعبدون الله ، ومن قيل عنهم أنهم عبدة الشيطان هم فئة ضالة محدودة لا يجوز أن نعطيها اهتماماً كبيراً إلا بقدر الخوف من أن توتي آثارها الضارة على الأجيال " [1] فهذا المفهوم المختلط لديه حول عبادة الشيطان إنما هو ناشئٌ عن غياب الرؤيا القرآنية الصحيحة لهذه العبارة ، وعلى أحسن الأحوال فهو مصيبٌ في وصف هذه

---

[1] - مجلة منبر الإسلام – في قضية عبدة الشيطان – أحمد فتحي سرور –ص 91 - العدد 11 –ذو القعدة 1417 ه ، 1997 م .

المجموعة بالقليلة على ما اتصفت به من تلك الشعائر الخاصة الغريبة في عبادتها وأقول أننا لو قرنا المفهوم القرآني لعبادة الشيطان والتي هي ولاية الشيطان ، لأدركنا أن كثيراً من البشر اليوم واقعون في عبادة الشيطان ، وأن قسماً منهم أصبحوا شياطين ، وليس ثلة قليلة من بعض الشباب الجاهل المضلل كما حاول الكثير أن يفهم العالم أجمع ، وخاصة العالم الإسلامي .

ارتباط هذه الظاهرة باليهود :

رأينا كيف اختلطت المفاهيم عند الكثير من المسلمين حول هذه الظاهرة ، ولكننا ندرك أن هناك مَن كان الأمر لديهم ليس مجرد اختلاط ، بل هو تعمد لنشر هذه الطقوس كي يحجِّم مفهوم عبادة الشيطان على فئة يسيرة ، ويهوّن عبادته على الفئة الأكبر ، هؤلاء الخبثاء يقودهم اليهود مبتدعو تلك الظاهرة يقول صفوت وصفي : " تنتشر عبادة الشيطان لدى اليهود ، وتعرف بجماعة (إخوة الشياطين) ومقرها تل أبيب وإيلات ، وتتخذ النجمة السداسية والصليب المقلوب شعاراً لها ، ولها وجود في ألمانيا ، وفرنسا ، واليابان ، وجنوب أفريقيا ، وقد أقام مواطن أمريكي يدعى (أنوان ساندرو لافي) - ويظهر من اسمه أنه يهودي - ، كنيسة ومحفلاً شيطانياً بأمريكا عام 1966 م ، ليمارس فيه هو وأتباعه طقوس عبادة الشياطين ، وكانوا يتناولون عقاقير الهلوسة ، ويعمِّدون الأعضاء بالدم ، وينبشون القبور ، ويعملون على تحطيم دور العبادة وإحراقها " [1] .

أسباب تلك الظاهرة :

هــذه الظاهرة الخبيثة ليست هي إلا صارفاً خبيثاً عن حقيقة عبادة الشيطان ، وهي من جهة أخرى تضخمٌ خطيرٌ لعبادة الشيطان الموجودة أصلاً بشكل كبير في عالم اليوم ، فهذه المجموعات الصغيرة ممّن يُسمون بعبدة الشيطان إنما هم الورم الظاهر على السطح لهذا المرض المستشري في جسد العالم ، وقد أرجع صفــوت وصفي أسباب هذه العبادة إلى أمور سبعة نوجزها هنا ليظهر لنا

---

[1] - مجلــة البيــان – عبــدة للشياطين في مصر ؟ مظاهر الخلل وأسبابه وعلاجه – صفوت وصــفي – ص 119 - العدد 113 – محرم 1418 ه ، 1997 م .

جانبٌ من أسباب تلك الطاعة العمياء للشيطان :

1- سياسة تجفيف المنابع[1] التي ازداد أوارها بعد عملية السلام مع العدو الصهيوني ، حيث انبثق عنها بما يعرف بعمليات تطبيع العلاقات مع اليهود والتي استتبعت غربلة المناهج الدراسية وإجراء كثير من التعديلات والحذف لصالح هـذا التوجـه ، فضلاً عما هو موجود أساساً من تحجيم لمواد التربية الإسلامية .
2- دور الإعلام المتواصل عن طريق وسائله المنوعة في إثارة نزوات الشباب من الجنسين ، وإشغالهم في الفكـر الهابط الرديء والأغاني الماجنة والأفلام الخليعة .
3- سوء استغلال شبكات الاتصالات الحديثة (الإنترنت) والتي تحتوي على برامج تروج لمثل هذا الفكر المنحرف .
4- تحجيم التوعية الإسلامية من برامج ومحاضرات وندوات عن طريق العلماء والدعاة ، ولاسيما في الجامعات والنوادي والمراكز التربوية بدعوى أن لمن يلقونها أهدافاً غير مرضيٍّ عنها .
5- الحياة المترفة والمنفلتة التي تعيشها أسر هؤلاء الشباب بكل ما تعنيه الكلمة من معنى من شيوع التبرج والسفور والاختلاط بيـن الجنسين وترك مسؤولية تربية الأبناء للخدم أو للمدارس الداخلية ، والتي عادة ما تكون أجنبية الولاء .
6- المدارس المختلطة بين الجنسين في كثير من الدول العربية وخاصة الجامعات ، ووضع المناهج المختلطة ، ووصول الأمر إلى تدريب هؤلاء الشباب من الجنسين في دورات ومعسكرات مختلطة ، لا شك أنها وسيلة لإشاعة الفاحشة بينهم .
7- السياسة الأمنيـة المتطرفة حيال الاتجاهات الإسلامية في بعض الدول العربية ، والتي لا تفرق بين صالح وطالح ، ولا بين معتدل وغالٍ .[2]

---

[1] - هذه سياسة دولية برزت في أواخر التسعينيات من القرن الماضي وتهدف إلى مراقبة وتتبع وتجفيـف مصادر الدعم المالي والمعنوي للحركات الإسلامية التي تسعى إلى استعادة الإسلام كنظام سياسي .

[2] - انظر - مجلة البيان – أعبدة للشياطين في مصر ؟ مظاهر الخلل وأسبابه وعلاجه – صفوت وصفي – ص 123 ، 124 -العدد 113 – محرم 1418 ه ، 1997 م .

أسباب موالاة الشياطين :

وبعد هذا البيان لمعنى ولاية الشيطان ، وحدودها ، وكيفيتها ، لعلك تتســاءل : ما الذي دفع هؤلاء الأولياء إلى مثل هذه الولاية ؟ أو بعبارة أخرى : ما هي تلك الفائدة المتحصلة من وراء تلك العلاقة ؟

نعم ، سؤال إذا كشف النقاب عن إجابته اتضح أمر تلك العلاقة بما لا يدع مجالاً للتعجب من كنه هذه الولاية ودوافعها ، وإذا أردنا أن نزيد الأمر وضوحاً جعلنا السؤال على النحو التالي : ما الذي دفع هؤلاء الأتباع ، وهم بهذه الكثرة ، إلى تولي الشيطان ، وماذا يجنون من وراء تلك الولاية ، ثم ماذا يجني الشيطان من وراء تلك الولاية ؟

لقد أجاب الحق سبحانه وتعالى عن هذه التساؤلات في غير موضع من كتابه العزيز ، فها هم أولاء الأتباع المضلَّلون يصرحون بما كانوا يظنونه استفادة متبادلة بينهم وبين الشيطان في الدنيا ، ويوضحون نوع هذه العلاقة وتناغمها يقول تعالى على ألسنتهم : ﴿ **وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْأِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا** ... ﴾ [1] وقد ورد تفسير هذا الاستمتاع عند السلف كما ذكره ابن كثير حيث يقول في تفسير هذه الآية : " يعني أن أولياء الجن من الإنس قالوا مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا ، روى ابن أبي حاتم : بسنده ، عن الحسن في هذه الآية قال : استكثر ربكم أهل النار يوم القيامة ، فقال أولياؤهم من الإنس : (ربنا استمتع بعضنا ببعض) . قال الحسن : وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس .

وقال محمد بن كعب في قوله : (ربنا استمتع بعضنا ببعض) قال : الصحابة في الدنيا .

وقال ابن جرير : كان الرجل (في الجاهلية ينزل الأرض) ، فيقول : أعوذ بكبير هذا الوادي . فذلك استمتاعهم فاعتذروا يوم القيامة .

---

[1] - سورة الأنعام ، الآية 128

وأما استمتاع الجن بالإنس : فإنه كان فيما ذكر : ما ينال الجن من الإنس في تعظيمهم إياهم في استعانتهم بهم ، فيقولون : قد سُدْنا الإنس والجن . " [1]

وقد وضح الألوسي هذه العلاقة الجدلية بين الطرفين حيث قال : " ربنا استمتع بعضنا ببعض " أي : انتفع الإنس بالجن حيث دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها ، والجن بالإنس حيث اتخذوهم قادة ورؤساء واتبعوا أمرهم فأدخلوا عليهم السرور بذلك " [2] فتلك هي المصلحة المشتركة بين الشيطان وأتباعه ، يدل الأول منهم الثاني على الشهوات والملذات ، وسبلها وطرقها ، وهي أمور يستمتع بها الأتباع ، ويزيد الثاني الأول عظمة وغروراً ونشوة بالتعظيم والطاعة والاتباع والتسويد ، وقد بين الحق سبحانه ما كان يقع من الأتباع من زيادة كبر الشياطين ، في سورة الجن حيث ذكر مشهداً من ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ كَـانَ رِجَـالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً** ﴾ [3] وقد ذكر الماوردي في تفسيره ثمانية تأويلات لكنه هذه العلاقة ، تدور حول احتمالين : إما زيادة الإنس للجن رهقاً ، أو زيادة الجن للإنس رهقاً : " **أحدها** : طغياناً قاله مجاهد ، **الثاني** : إثماً قالـه ابن عبـاس وقتادة ، **الثالث** : خوفاً قاله أبو العالية والربيع وابن زيد ، **والرابع** : كفراً قاله سعيد ابن جبير ، **والخامس** : أذىً قاله السدي ، **والسادس** : غياً قاله مقاتل ، **والسابع** : عظمة قاله الكلبي ، **والثامن** : سفهاً حكاه ابن عيسى " [4] أما إن كان المقصود أن يزيد الإنس الجنَّ رهقاً فيكون التأويل لهذا الرهق : إما طغياناً ، أو غياً ، أو عظمة ، أو سفهاً ، وكلها متقاربة تدل على تلك المنفعة المتحصلة من تلك الولاية ، وقد بين السعدي هذين الاحتمالين حيث قال : " أي : كان الإنس يعوذون بالجن عند المخاوف والأفزاع ويعبدونهم ، فزاد الإنس الجن رهقاً أي : طغياناً وتكبراً لما رأوا الإنس

---

[1] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 6 – ص 173

[2] - روح المعاني – للألوسي – ج8 – ص 38

[3] - سورة الجن ، الآية 6

[4] - النكت والعيون – للماوردي – ج 6 – ص 111

يعبدونهم ويستعيذون بهــم ، ويحتمل أن الضمير وهو (الواو) يرجع إلى الجن أي : زاد الجن الإنس ذعــراً وتخويفــاً لمــا رأوهــم يستعيذون بهم ليلجئوهم إلى الاستعاذة بهم والتمسك بما هــم عليه فكان الإنسي إذا نزل بوادٍ مخوف قال : (أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه) " [1] .

وفي الختام فإن ولاية الشيطان وعبادته لا تقتصر على مجرد صرف بعض الشعائر التعبدية لوثن من الأوثان أو رمز من الرموز ، وليس شرطاً في الولاية أن تجد الرجل يصلي ، ويركع ويسجد لوثن أقامه أو رمز قصده يقول الماوردي في تفسير آية التوبة التي ذكرنا قبل : " ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهَم وَرُهْبَانَهُم أرباباً مِنْ دُونِ الله** ﴾ يعني آلهــة بقبولهم منهم تحريم ما يحرمونه عليهم وتحليل ما يحلونه لهم ، فلذلك صاروا لهم كالأرباب وإن لم يقولوا إنهم أرباب " [2] .

المطلب الثاني : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا والآخرة :

تلك هي ولاية الشيطان ، وتلك هي طاعته ، ولاية انتشرت بين الإنس والجن انتشار النار في الهشيم ، وطاعة قادت أربابها إلى تنكب الصراط المستقيم والوصول إلى نار الجحيم ، طريق آخره خراب ، ضلال في الدنيا ، وتبار في الآخرة ، ولكن للأسف كثير هم رواد هذا الطريق والسائرون فيه ، بل هم إلى الأكثر أقرب منهم إلى الكثير ، وتلك حقيقة قرآنية يقررها رب العزة على العموم حيث يقــول تعالــى : ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ... ﴾ [4] ، ويقرر رب العزة هذه الحقيقة فيمن خرجوا عن طاعة الله بالفسق فيقول : ﴿ **وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** ﴾ [5] .

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص 987

[2] - النكت والعيون – للماوردي – ج 2 – ص 354

[3] - سورة يوسف ، الآية 103 .

[4] - سورة الأنعام ، الآية 116 .

[5] - سورة المائدة ، الآية 49 .

أما على صعيد هذا البحث ، فهذه الحقيقة مقررة في ثنايا الكتاب العزيز ، بدأً بإنظار إبليس ، وتوعده إذ ذاك بإغواء أكثر البشر ، ثم مروراً بتنفيذ ما توعد به الإنسَ والجنَّ هو وجنوده من الشياطين ، ثم انتهاء بتبرئه من كل أتباعه يوم القيامة ، وسنتحدث حول هذه المسألة على مرحلتين :

الأولى : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا .

الثانية : كثرة أتباع الشيطان في الآخرة .

المرحلة الأولى : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا :

أبى الرجيم إبليس أن يسجد لآدم إذ أمره ربه ، واستكبر ثم كفر ، وبدلاً من أن يتوب إلى ربه ويرجع عن غيه ، أخذته العزة بالإثم ، فتوعد أبناء آدم وكل من سار على الإيمان معهم بالغواية والإضلال ، وقال لربه أنه سوف يتخذ من ذرية آدم نصيباً مفروضاً ، وسوف لن يجد الله في نهاية المطاف من عباده إلا القليل الشاكر له ، يقول تعالى مخبراً عن توعد إبليس : ﴿ **لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً** ﴾ [1] ومفروضاً : " معيَّناً مقدَّراً معلوماً : قال مقاتل بن حيان : من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة " [2] ، وقال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : " معنى الآية أن الشيطان لعنه الله قال عند ذلك : لأتخذن من عبادك حظاً مقدراً معيناً ، وهم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ... " [3] ، وقد زاد الحق سبحانه وتعالى هذا الأمر وضوحاً في سورة الأعراف فيما نقله على لسان إبليس عليه لعنة الله ،حيث يقول تعالى : ﴿ **ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [4] ، وبعد انتهاء هذا المشهد السماوي ، ونزول آدم وحواء إلى الأرض ، واتباع إبليس وجنوده لهم بالغواية والإضلال في كل مكان ، ها هي

---

[1] - سورة النساء ، الآية 118

[2] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج4 – ص 277

[3] - التفسير الكبير – للرازي – ج11 – ص 38

[4] - سورة الأعراف ، الآية 17

نبوءة إبليس تتحقق فيخبر عز وجل أن ظنه على البشر قد صدق فاتبعوه إلا النزر اليسير ممن آمنوا بالله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [1] ، قد ذهب بعض المفسرين إلى أن مرجع الضمير في (عليهم) عائد إلى قوم سبأ لا إلى الناس أجمعين يقول الطبري : " ولقد ظن إبليس بهؤلاء الذين بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط ، عقوبة منا لهم ، ظناً غير يقين ، علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله فصدق ظنه عليهم بإغوائه إياهم ، حتى أطاعوه وعصوا ربهم ، إلا فريقاً من المؤمنين بالله ، فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس " [2]، وذهب الأكثر إلى عمومها في بني آدم والثقلين أجمعين ، وإن كانت في سياق قصة قوم سبأ يقول السعدي : " ثم ذكر أن قوم سبأ من الذين صدق عليهم إبليس ظنه حيث قال لربه ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [3] " [4] ، ويقول ابن عطية : " ومعنى الآية أن ما قال إبليس من أنه سيفتن بني آدم ويغويهم ، وما قال من أن الله لا يجد أكثرهم شاكرين وغير ذلك ظناً منه فصدق فيهم ، وأخبر الله تعالى عنه (فاتبعوه) وهو اتباع في كفر لأنه في قصة قوم كفار " [5] ، ولقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها أنها على العموم حيث قال " قال إبليس إن آدم خلق من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون خلقاً ضعيفاً وأنا خلقت من نار ، والنار تحرق كل شيء ، لأحتنكن ذريتـــه إلا قليلاً قال : فصدق ظنه عليهم فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين قال : هم المؤمنون كلهم " [6] ، وقد أشار الفخر الرازي إلى أن هذه الحقيقة ، وهي كثرة أتباع الشيطان ، نقلية الثبوت كما هي عقلية الثبوت أيضاً حيث يقول : " فإن قيل : النقل والعقل يدلان على أن حزب الشيطان أكثر عدداً

---

[1] - سورة سبأ ، الآية 20

[2] - جامع البيان – للطبري – ج 22 – ص 108

[3] - سورة ص ، الآيتان 82 ، 83 .

[4] - تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص 741

[5] - المحرر الوجيز – لابن عطية – ج 4 – ص 417

[6] - الدر المنثور – للسيوطي – ج 22 – ص 695

من حزب الله . أما النقل فقوله تعالى في صفة البشر (فاتبعوه إلا قليلاً منهم) [1] وقال حاكياً عن الشيطان ﴿ **لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلا قَلِيلاً** ﴾ [2] وحكي عنه أيضاً أنه قال ﴿ **لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إلا عِبَــادَكَ مِنْهُــمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [3] ولا شك أن المخلَصين قليلون .

وأما العقل : فهو أن الفساق والكفار أكثر عدداً من المؤمنين المخلصين ولا شك أن الفساق والكفــار كلهــم حزب إبليس . " [4] ، ويرِدُ على هذه القضية – كثرة أتباع إبليس في الدنيا والآخرة – اعتراضٌ متعلق بقوله تعالى : ﴿ **لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً** ﴾ [5] فقيل : كلمة النصيب تدل على القلة ، أو على عدم الكثرة ، وقد ردَّ الفخر الرازي على هذا الاعتراض فقال : " لِمَ قال : (لأتخذن من عبادك نصيباً) مع أن لفظ النصيب لا يتناول القِسْم الأكثر وإنما يتناول الأقل ؟ . والجواب : أن هذا التفاوت إنما يحصل في نوع البشر ، أما إذا ضُمَّت زمرة الملائكة مع غلبة كثرتهم إلى المؤمنين كانت الغلبة للمؤمنين المخلصين ، وأيضاً فالمؤمنون وإن كانوا قليلين في العدد إلا أن منصبهم عظيم عند الله ، والكفار والفساق وإن كانوا كثيرين في العدد فهم كالعدم ، فلهذا السبب وقع اسم النصيب على قوم إبليس " [6]

وقد أثار العلماء القدماء والمحدثون سؤالاً حول هذه الآية يتعلق بظن إبليس في إضلال البشر فهل كان إبليس يعلم حقيقة أنه سيغوي هذا العدد الكبير من الناس ؟ وكيف حقق إبليس مقالته هذه بالتوكيد (لأحتنكن) (لأغوينهم) ، (ولا تجد أكثرهم شاكرين) ... ؟

---

1 - سورة الأنعام ، الآية 153

2 - سورة الإسراء ، الآية 62

3 - سورة الحجر ، الآية 39

4 - التفسير الكبير – للرازي – ج 11 – ص 38

5 - سورة النساء ، الآية 118

6 - التفسير الكبير – للرازي – ج 11 – ص 38

لقد ذهب بعض العلماء في قديم وحديث إلى أن ما وقع من إبليس كان مجرد ظن إذ هو غير قادر أبداً على استشراف الغيب ومعرفة ما سوف يحصل في قابل الأيام ، وإنما دليلهم في ذلك قول الحق سبحانه في الآية السابقة ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ** ﴾ [1] فكان إخبار الله تعالى بأن ما قاله إبليس هو ظن ، هو حجتهم فيما ذهبوا إليه ، يقول ابن عطية : " وذلك ظناً منه فصدق فيهم " [2]، ويقول أبو حيان : " وهذا الإخبار منه كان على سبيل التظني لقوله ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ** ﴾ [3] أو على سبيل العلم قولان ... " [4]، ويقول السعدي : "وهذا ظن من إبليس لا يقين لأنه لا يعلم الغيب ، ولم يأته خبر من الله أنه سيغويهم أجمعين إلا من استثنى " [5]، ويقول صاحب روح البيان فيما اختصره له الصابوني : " وإنما قال ذلك ظناً لا علماً لقوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ** ﴾ [6] لما رأى فيهم مبدأ الشر وهو الشهوة والغضب والحسد والبغضاء " [7]

ولقد ذهب الكثير من العلماء إلى أن هذا الظن كان منه ليس مجرداً ، ولكن على علم مسبق بشكل من الأشكال وقد فسره أبو حيان بقوله : " وسبيل العلم إما رؤيته ذلك في اللوح المحفوظ أو استفادته من قوله ﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ [8] أو من الملائكة بإخبار الله لهم ، أو بقولهم ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا** ﴾ [9]، أو بإغواء آدم ،وذريتُه أضعف منه ... " [10].

---

[1] - سورة سبأ ، الآية 20

[2] - المحرر الوجيز – لابن عطية – ج 4 – ص 417

[3] - سورة سبأ ، الآية 20

[4] - البحر المحيط – لابن حيان - - ج 5 – ص 23

[5] - تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص 742

[6] - سورة سبأ ، الآية 20

[7] - تنوير الأذهان من تفسير روح البيان – الأصل للبروسوي ، والتنوير للصابوني – ج 1 – ص 526

[8] - سورة سبأ ، الآية 13 .

[9] - سورة البقرة ، الآية 30 .

[10] - البحر المحيط – لأبي حيان – ج 5 – ص 23

ويقول الطاهر بن عاشور : " وقوله : ﴿ **وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [1] زيادة في بيان قوة إضلاله بحيث لا يفلت من الوقوع في حباله إلا القليل من الناس وقد علم ذلك بعلم الحدس وترتيب المسببات . " [2] .

ويقول الميداني : " ونتساءل : ما الذي جعل إبليس يخبر أن خطته ستنجح في المستقبل ، عبر تاريخ الإنسان في الأرض ، فيكون أكثرهم كفورين لربهم ؟

أقول : لقد كان هذا ظناً منه ، مستنداً إلى ما رآه من عوامل ضعف تكوينه وتأثير أهوائه وشهواته وغرائزه على إراداته ، وإمكان استهوائه بها .

وربما قاس الإنسان على ما سبق أن عرفه من طبيعة الجن ، ذوي الإرادات الحرة والأهواء والشهوات والغرائز ، وهذه مشابهة لما لدى الإنسان . والدليل على أن هذا قد كان ظناً من إبليس مستنداً إلى أمارات لاحظها ، قول الله عز وجل في سورة (سبأ/34 مصحف 58 نزول)[3] في معرض الحديث عن سبأ ومعاقبتهم بالسيل العرم وتمزيقهم كل ممزق : ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [4] " [5] .

وبعد النظر في رأي الفريقين وحجة كلٍ منهما ، نرى أن الفريق الأول لم يكن له من الأدلة سوى التمسك بآية سبأ على ظاهر نصها ، أما الفريق الثاني فلم يتجاهل هذه الآية ولم يقل أبداً أن إبليس تيقن في لحظة من اللحظات بما يقول ، بل كل ما قاله من توعد وتهديد إنما كان على سبيل الظن ، ولكن ليس الظن المجرد ، وإنما الحدس المبني على أصول وقواعد ، سار عليها واتبعها ، فبنى النتائج على المقدمات واستفاد من التجارب السابقة ، فكانت النتيجة لديه ظناً لا يقيناً أنه سيقدر على إغواء بني آدم وسائر المؤمنين ، وعلى ذلك يكون كل

---

[1] - سورة الأعراف ، الآية 17

[2] - التحرير والتنوير – لابن عاشور – ج 8 – ص 50-51

[3] - يرتب الميداني تفسيره (معارج التفكر ودقائق التدبر) على زمن نزول السور القرآنية مبتدأً بأولها نزولاً ثم ما يليها وهكذا .

[4] - سورة سبأ ، الآية 20

[5] - معارج التفكر ودقائق التدبر – للميداني – ج 4 – ص 124-125

ما ذكر العلماء من مقدمات بنى عليها إبليس ظنه هذا ، صحيحة ، فهو استفاد من تجربته من قبـــل مع الجن حيث كـــان فســـاق وكفار الجن يغوون المؤمنين منهم – وإن كان إبليس إذ ذاك ليس واحداً من الفساق والكفار - ، وهو أيضاً رأى ما هنالك من ضغف في طبيعة آدم وخلقته ، وهكذا ومما يستدل عليه في هذا المجال القراءات الصحيحة التي قرئت بها آية سبأ ، حيث تدل بعضها على أن إبليس لما ظن هذا الظن عمل جاداً لأجل تحقيقه ،لأنه يعلم أنه بناه على أسس صحيحة قابلة للتطبيق يقول ابن عطية : " قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر (ولقد صَدَقَ) بتخفيف الدال (إبليسُ) رفعاً (ظنَّه) بالنصب على المصدر ، وقيل على الظرفية أي في ظنه ، وقيل على المفعول على معنى أنه لما ظن عمل عملاً يصْدُق به ذلك الظن ، فكأنما أراد أن يصْدُق ظنه وهذا من قولك أخطأت ظني وأصبت ظني وقـــرأ عاصم وحمزة والكسائي (صدَّق) بتشديد الدال فالظن على هذا مفعول ب(صدّق) " [1] .

المرحلة الثانية : كثرة أتباع الشيطان في الآخرة :

إذا كانت تلك هي صورة أكثر الإنس والجن في الدنيا.. اتّباعٌ للشيطان ، وانجرافٌ في طريق الضلال والعصيان ، وتنكّبٌ لصراط الرحمن ، فإن النتيجة الطبيعية بعد انتهاء هذه الدنيا وقيام الناس ليوم الحساب ، هي ثلة من الكافرين ، وقليل من المؤمنين ، أنبياء لا ترى معهم إلا الرجل والرجلين ، وشياطين يفرون من كثرة أتباعهم .

وقد تقررت هذه الحقيقة المريرة في كثير من آيات الكتاب العزيز ، يقول الحق سبحانه : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ [2].

---

[1] - المحرر الوجيز – لابن عطية – ج 4 – ص 417

[2] - سورة الأعراف ، الآية 179

ويقول تعالى في بيان هذه الخاتمة: ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ [1] " **(وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي**) يقول : وجب العذاب مني لهم . وقوله : **(لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)** يعني : من أهل المعاصي والكفر بالله منهم " [2].

ويقرر الحق سبحانه أَتْباعَ إبليس يوم القيامة حيث لا ينفع الندم ، بتلك الحقيقة المريرة من أن إبليس قد خدعهم فاستكثر منهم فصدق عليهم ظنه ، يقول تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْس ...** ﴾ [3] فعن ابن عباس : " يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس يعني أضللتم منهم كثيراً وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة " [4] ، وقد استطرد الألوسي في بيان معشر الجن وما وقع منهم من إضلال فقال : " والمراد بالجن أو بمعشرهم على ما قيل الشياطين ، وذكر بعض الفضلاء أن الجن يقال على وجهين ، أحدهما للروحانيين المستترين عن الحواس كلها فيدخل فيهم الملائكة والشياطين ... وأيما كان فالمقصود بالنداء الأشرار الذين يغوون الناس فإنهم أهل للخطاب بقوله سبحانه : (قد استكثرتم من الإنس) أي أكثرتم من إغوائهم وإضلالهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد ، والزجاج ، فالكلام على حذف مضاف أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كما يقال : استكثر الأمير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع " [5] .

ثم يزيد الحق سبحانه في تقريع أتباع الشيطان يوم القيامة وتوبيخهم ، مذكراً إياهم بالعقل الذي أعطاهم في الدنيا وكيف أنه لم ينفعهم ، بل قادهم إلى هذا المصير الأسود يقول تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا**

---

1 - سورة السجدة ، الآية 13

2 - جامع البيان – للطبري – م 11 – ج 21 – ص119

3 - سورة الأنعام ، الآية 128

4 - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 6 – ص 172-173

5 - روح المعاني – للألوسي – ج 8 – ص 37-38

تَعْقِلُونَ ﴾ [1] " أي : ولقد صد الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي وإفرادي بالألوهية ، حتى عبدوه ، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها " [2] ، ويقول صاحب التفسير المنير : " أي لقد أغوى الشيطان خلقاً كثيراً ، وزين لهم فعل السيئات ، وصدهم عن طاعة الله وتوحيده ، أفلم تعقلوا عداوة الشيطان لكم ، وتبتعدوا عن مثل ضلالات السابقين ، حتى لا تعذبوا مثلهم " [3] .

ولقد ورد على هذه الحقيقة القرآنية أيضاً بعض التعارضات الموهمة نوعاً من التناقض ، وأهم تلك التعارضات الظاهرية ما جاء عند البخاري وغيره من الحديث الذي سيأتي ذكره من طريق أبي هريرة وفيه (ولكل واحدة منكما ملؤها) أي للجنة كما للنار ملؤها من أهلها ، فهذا يوهم أن أهل الإيمان يوم القيامة هم كأهل الكفر من حيث العدد حيث تُملأ بهم الجنة كما تُملأ بأهل النار .

وقبل أن نرد على هذا التعارض يحسن بنا أن نورد الحديث كاملاً ففي إيراده بعض الجواب إن شاء الله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال " قال النبي صلى الله عليه وسلم : تحاجت الجنة والنـــار ، فقالت النار : أُوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلنـــي إلا ضعفاء الناس وسقطهم ، قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تُملئ ، حتى يضع رجله فتقول قطٍ قطٍ قطٍ فهاهنا لك تمتلئ ، ويزوى بعضها إلى بعض ، ولا يظلـــم الله عز وجل من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً" [4] .

وقد بين الحافظ ابن حجر في سياق تفسيره لهذا الحديث الجواب على الاعتراض السابق حيث يقول : " ويفهم جوابه من التفصيل الواقع ثالث أحاديث

---

[1] - سورة يس ، الآية 62

[2] - جامع البيان – للطبري – م 12 – ج 13 – ص31

[3] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 23 – ص 37

[4] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب التفسير – باب : وتقول هل من مزيد – ص 414 – ح 4850 .

الباب حيث قال فيه (ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار) فذكر الحديث وقال فيه (ولا يظلم الله من خلقه أحداً) فإن فيه إشارة إلى أن الجنة يقع امتلاؤها بمن ينشؤهم الله من أجل ملئها ، وأما النار فلا ينشئ لها خلقها ، بل يفعل فيها شيئاً عبـــر عنه بما ذكـــر ، يقتضي لها أن ينضم بعضها إلى بعض ، فتصير ملأى ولا تحتمل مزيداً ، وفيه دلالة على أن الثواب ليس موقوفاً على العمل ، بل ينعم الله بالجنة على من لا يعمل خيراً قط كما في الأطفال " [1]

المطلب الثالث : أولياء الشيطان وصفاتهم :

وكي يستوي هذا المبحث على سوقه ويؤتي أكله ، نختمه بذكر هؤلاء الأصناف الذين وقعت عليهم ولاية الشيطان ، وبيان صفاتهم الرئيسة التي اكتسبوها من تلك الولاية وسنبدأ الحديث عن أولياء الشيطان ثم عن صفاتهم :

أولاً : أولياء الشيطان :

لا نقصد هنا تعريف أولياء الشيطان أو بيان ماهية ولايتهم ، فقد بينا ذلك في المطلب الأول من هذا المبحث ، ولكن يأتي هذا القسم هنا تتمة للولاية ، حيث نذكر أولئك الأصناف من البشر وغيرهم ، والتي تقع فيهم تلك الولاية كما ذكرهم رب العزة في كتابه ، وإذا تتبعنا آيات الذكر الحكيم ، وجدنا أن أولياء الشيطان ينضوون تحت صنف عام شامل لهم جميعاً ، ألا وهو صنف الكفار والمشركين ، فهم من أعلن العداء لمنهج الحق ، واتبعوا منهج الباطل فاتخذوا الشيطان ولياً من حيث يدرون أو لا يدرون ، فبمجرد كفرهم بالله وإشراكهم معه غيره في العبادة اتخذوا الشيطان ولياً من دون الله ، يقول تعالى : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [2] ، يقول الزحيلي : " وأما الكافرون بالله ورسوله فلا سلطان على نفوسهم إلا لمعبوداتهم الباطلة التي تقودهم إلى الضلال ، فإن لاح لهم نور الحق والإيمان بادر الشيطان وما يلقيه من

---

1 - فتح الباري – لابن حجر – ج 8 – ص 462

2 - سورة البقرة ، الآية 257

وساوس إلى إطفاء هذا النور ، وإبقاء الكفار في ظلمات الشك والضلال ، والكفر والعصيان ، أو النفاق والتردد " [1] .

وهذا الصنف من الأولياء هو صنف شامل لكل من والى الشيطان؛ فالكفر عموم يدخل فيه اليهود والنصارى والمنافقون نفاقاً أكبراً ، كما هو مقرر في كثير من آيات الكتاب العزيز : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ** ﴾ [2] ، ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ [3] ، ولذا فقد وقع تفسير الكفار أولياءِ الشيطان في هذه الآية على أنهم رؤوس الكفر من اليهود وغيرهم ، فقد نقل البغوي عن مقاتل بن حيان في هذه الآية : " يعني كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة " [4] .

وتحت هذا اللواء الكبير ، لواء الكفار والمشركين أولياء الشيطان ، تتميز أنواع من البشر دخلوا إلى ساحة الكفر وولاية الشيطان من باب من أبواب الكفر وقد ذكر القرآن الكريم من هؤلاء الأتباع للشيطان ثلاثة أصناف سنقف على ذكرهم بعد قليل ، ولا يعني ذكر هؤلاء الأصناف أن غيرهم ليس من أتباع الشياطين ، بل -كما ذكرنا- فقد أجمل القرآن أولياء الشيطان في زمرة الكفار والمشركين بالله ، مع ما تحتوي هذه الزمرة من أصناف كثيرة ، ولكنه هنا يخص هذه الأصناف الثلاثة بالذكر لأهمية إبرازها للطائفة المؤمنة ، ولكي يحذِّر منها المؤمنين ، ويبين لهم أن هؤلاء إنما هم أتباع الشيطان ، مهما اتخذوا من ستائر يخفون تحتها مكرهم وكيدهم بالمسلمين ، نعم إنهم أصناف اشتد خطرهم على أمة الإسلام بوحي من الشيطان، هؤلاء هم : اليهود ، والمنافقون ، والكهنة والسحرة والمشعوذون :

---

[1] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 3 - 23

[2] - سورة البينة ، الآية 5.

[3] - سورة الحشر ، الآية 11 .

[4] - معالم التنزيل – للبغوي – ج 1 – ص 350 .

1- اليهود :

لا يعد هذا الجنس من البشر أكثر أتباع الشيطان فحسب ، بل إن أكثرهم هم الشياطين بعينهم ، ولذلك ورد ذكرهم والتنفير منهم في أول سورة البقرة ، مطلع كتاب الله عز وجل حيث وصفهم الله بالشياطين ، حيث إنهم هم أسياد الكفار والمنافقين الذين يفضون إليهم بالولاء والكفر ، فهم المقصودون بقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [1] أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس قال : " **(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا)** قال : كان رجال من اليهود إذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو بعضهم ، قالوا : إنا على دينكم ، وإذا خلوا إلى أصحابهم – وهم شياطينهم – **(قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)** ، وعن ابن عباس : وإذا خلوا إلى شياطينهم من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب) " [2] وقد بينهم ابن عباس حيث قال : " وهم خمسة نفر من اليهود : كعب بن الأشرف بالمدينة ، وأبو بردة في بني أسلم ، وعبد الدار في جهينة ، وعوف بن عامر في بني أسد ، وعبد الله بن السوداء بالشام ، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له " [3] فهذا الذي نقل الطبري بعضُ أقوال أهل التأويل في الشياطين ، ولا يعني كون اليهود أكثرهم شياطين أنهم لم يتبعوها بل إنهم الأكثر اتِّباعاً لها ، فمنهم من ارتقى في سلم الاتباع فانتقل من الذيل إلى الرأس فصار شيطاناً ، ومنهم من بقي تابعاً لأسياده ، ولذلك تجد القرآن الكريم يخبر أنهم اتبعوا الشياطين في صنعة السحر ، كمثال على إغراقهم في اتباع الشيطان يقول تعالى : ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ...** ﴾ [4] يقول الطبري : " يعني

---

[1] - سورة البقرة ، الآية 12

[2] - جامع البيان – للطبري – م 1 – ج 1 – ص 169 ، 170

[3] - معالم التنزيل – للبغوي – ج 1 – ص 89

[4] - سورة البقرة ، الآية 102

بقوله : (واتبعوا ما تتلو الشياطين) الفريق من أحبار اليهود وعلمائهم الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى وراء ظهورهم ، تجاهلاً منهم وكفراً بما هم به عالمون ، كأنهم لا يعلمون . فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه عليه الصلاة والسلام ، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه ، وآثروا السحر الذي تلته الشياطين " [1] .

ويتبع اليهودَ في هذه الولاية للشيطان النصارى ، على أن كثيراً منهم ضالون يتبعون الشيطان ولا يصلون إلى حد المكر والتحول من التبعية إلى العتو والتمرد والإغواء ، وهذا ما تقرره سورة الفاتحة التي وصفت اليهود بالمغضوب عليهم لشدة مكرهم وكثرة شياطينهم ، والنصارى بالضالين لغفلتهم وتيههم .

2- المنافقون :

وفي كل زمان ومكان وعلى مر الأزمان وفي خضم الصراع بين الحق والباطل ، وبين الشيطان والإيمان تظهر فئة تبيع نفسها للشيطان ، ولكن على خوف ، أو مكر لأهل الإيمان فتسر الولاء للشيطان في القلوب ، وتظهر الإيمان على الألسنة ، هؤلاء هم المنافقون الذين اتبعوا الشيطان ، ولشدة خطر هذه الفئة على المسلمين قرنهم الله تعالى باليهود في مطلع كتابه العزيز حين تحدث عن هذه الظاهرة المقيتة ، حيث يأخذ المنافقون أوامرهم من أسيادهم من الشياطين ، ويظهرون الإيمان كذباً على المؤمنين ، يقول تعالى : ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [2] "يعني هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار ... " [3] وقد أسهب الطبري في وصف هذا الموقف فقال : " هذه الآية نظيرة الآية الأخرى التي أخبر الله جل ثناؤه فيها عن المنافقين بخداعهم الله ورسوله والمؤمنين ، فقال : (ومن الناس من

---

1 - جامع البيان – للطبري – م 1 – ج 1 – ص 583

2 - سورة البقرة ، الآية 12

3 - معالم التنزيل – للبغوي – ج 1 – ص 89

يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) ثم أكذبهم تعالى ذكره بقوله : (وما هم بمؤمنين) وإنهم بقيلهم ذلك يخادعون الله والذين آمنوا . وكذلك أخبر عنهم في هذه الآية أنهم يقولون للمؤمنين المصدقين بالله وكتابه ورسوله بألسنتهم : آمنا وصدقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله ، خداعاً عن دمائهم وأموالهم وذرياتهم ، وذرأً لهم عنها وأنهم إذا خلوا إلى مردتهم وأهل العتو والشر والخبث منهم ومن سائر أهل الشرك الذين هم على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله – وهم شياطينهم ... قالوا لهم : (إنا معكم) ، أي إنا معكم على دينكم ، وظهراؤكم على مَن خالفكم فيه ، وأولياؤكم دون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم " [1] .

وقد ظهر التلازم بين المنافقين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى في اتباعهم جميعاً سبل الشيطان ، عند قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ** ﴾ [2] ، فقد ذهب بعض أهل السلف إلى أن هذه الآية تتحدث عن المنافقين ، وذهب فريق آخر منهم إلى أنها في حق أهل الكتاب من يهود ونصارى ، فعن ابن عباس ، والضحاك ، والسدي : " هم المنافقون قعدوا عن القتال بعدما علموه في القرآن " [3] ، وعن الضحاك ، وابن عباس في قولٍ : " هم أهل الكتاب " [4] وعن قتادة وابن جريج مثلهم [5] .

يقول الشنقيطي : " الظاهر أن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ، قوم كفروا بعد إيمانهم . وقال بعض العلماء هم اليهود الذين كانوا يؤمنون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما بُعث وتحققوا أنه هو النبي الموصوف في كتبهم كفروا به . وعلى هذا القول فارتدادهم على أدبارهم هو كفرهم به بعد أن عرفوه وتيقنوه ، وعلى هذا فالهدى الذي تبين لهم هو صحة

---

1 - جامع البيان – للطبري – م 1 – ج 1 – ص 169
2 - سورة محمد ، الآية 25
3 - الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 8 – 531 ، 532
4 - جامع البيان – للطبري – م 13 – ج 26 – ص 72
5 - الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 8 – ص 531 ، 532

نبوته صلى الله عليه وسلم ومعرفته بالعلامات الموجودة في كتبهم ... وقال بعض العلماء نزلت الآية المذكورة في المنافقين ، وقد بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : إن سبب ارتداد هؤلاء القوم من بعد ما تبين لهم الهدى هو إغواء الشيطان لهم كما قال تعالى مشيراً إلى علة ذلك (الشيطان سول لهم) أي زين لهـــم الكفـــر والارتـــداد عن الدين ، وأملى لهم أي مد لهم في الأمل ووعدهم طول العمر " [1] .

والظاهر من كلام الشنقيطي ميله إلى كون هؤلاء من اليهود وهو على عكس ما ذهب إليه الطبري حيث رجح كونهم من المنافقين فيقول في تفسير هذه الآية : " وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا ، أشبه منها بصفة أهل الكتاب ، وذلك أن الله عز وجل أخبر أن ردتهم كانت بقيلهم ﴿ **لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ** ﴾ [2] ولو كانت من صفة أهل الكتاب ، لكان في وصفهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدوا من أجل قيلهم ما قالوا " [3] .

وقد بينت الآية التالية من سورة محمد مدى خطورة هؤلاء الشياطين وأتباعهم حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ** ﴾ [4] " أي ذلك الإملاء لهم حتى يتمادوا في الكفـــر بأنهـــم قالوا - يعني المنافقين واليهود - (للذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الأمر) أي مخالفة محمد والتظاهر على عداوته ، والقعود عن الجهاد معه ، وتهوين أمره في السر " [5] ، فالتظاهر على النبي محمد صلى الله عليه وسلم والكيد للإسلام لا يزال مستمراً قائماً على دين الله وأتباعه إلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

---

1 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – للشنقيطي – ج 5 – ص 145

2 - سورة محمد ، الآية 26

3 - جامع البيان – للطبري – م 13 – ج 26 – ص 72.

4 - سورة محمد ، الآية 26 .

5 - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 8 – ص 531 ، 532 .

3- الكهنة والسحرة والمنجمون :

ومن تلك الطائفة ، ومن هذه الطائفة ، من أولئك اليهود ، ومن هؤلاء المنافقين ، وبالعموم من الكفار والمشركين ، تبرز طائفة مفسدة بايعت الشيطان ، واتحدت معه في الأهداف ، فأخذوا يضلون الناس بما علمهم أسيادهم من الشياطين هؤلاء هم الكهان والمشعوذون من سحرة ومنجمين ، هم مَن تتنزل عليهم الشياطين يقول تعالى : ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ** ﴾ [1] وقد بيَّن ابن الزبير رضي الله عنهما أن هــذه الآية نص في وحي الشيطان إلى أوليائه ، فهم - أي هؤلاء الكهنة - متصلون بشياطينهم اتصالاً مباشراً بالإيحاء والوسواس : " أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن سعيد بن وهب قال : كنت عند عبد الله بن الزبير فقيل له : إن المختار[2] يزعم أنه يوحى إليه فقال ابن الزبير : صدق ثم تلى ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** ﴾ [3] " [4] .

هؤلاء الأفاكون الآثمون هم الكهان والعرافون يقول قتادة : " الأفاك : الكذاب . وهم الكهنــة ، تسترق الجن السمع ثم يأتــون بــه إلى أوليائهم من الإنس " [5] ، ويوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية هذا التنزل فيما ترويه عائشة قالت : " سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس عن الكهان فقال ليس بشيء فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحيانا بشيء فيكون حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه

---

[1] - الشعراء ، الآيات 221 – 223.

[2] - هو : المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق ، من زعماء الثائرين على بني أمية ، شاعت الأخبــار عنــه بأنــه ادّعــى النبوة ، ونزل الوحي عليه ، وأنه كان لا يُقف له على مذهب ، مــات سنة 67 هــ - الأعلام – للزركلي – ج 7 – ص 192 .

[3] - سورة الشعراء ، الآيتان 221 ، 222 .

[4] - الدر المنثور – للسيوطي – ج 6 – ص 323.

[5] - المرجع السابق – ج 6 – ص 323.

فيخلطون معها مائة كذبة " [1]، ويقول قتادة في هذا التنزل :" كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتسمع ، ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم ، فتحدث الكهنة بما أنزلت به الشياطين من السمع وتخلط به الكهنة كذباً كثيراً فيحدثون به الناس فأما ما كان من سمع السماء فيكون حقاً وأما ما خلطوا به من الكذب فيكون كذباً " [2] .

ويظهر استفحال خطر هذه الفئة من الناس وأعوانهم في كون هؤلاء كذابون أفاكون مفترون ، يصل الحد بهم إلى الافتراء على الله والكذب عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك جاء الحديث عنهم في سورة الشعراء في سياق دفاع الله سبحانه وتعالى عن وحيه لنبيه وعن هذا القرآن العظيم ، يقول ابن كثير : " يقول تعالى مخاطباً لمن زعم من المشركين أنما جاء به الرسول ليس حقاً وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه ، أو أنه أتـــاه بـــه رئـــيٌّ من الجن فنزه الله – سبحانه - جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ، ونبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله ، وأنه تنزيله ووحيه ، تنزل به ملك كريم أمين عظيم ، وأنه ليس من قبيل الشياطين ، فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم ، وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة ، ولهذا قال : (هل أنبئكم) أي : أخبركم (على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم) أي : كذوب في قوله ، وهو الأفاك الأثيم ، أي الفاجر في أفعاله ، فهذا هو الذي تتنزل عليه الشياطين كالكهـــان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة ، فإن الشياطين أيضاً كذبة فسقة " [3].

شياطين اليوم :

ويدخل في هؤلاء المجرميـــن المفتريـــن علـــى الله ، الكذابين الأفاكين ، ما نراه اليوم من أهل التنجيم والتخمين والحدس الباطل ، أولاء الذين يمتهنون

---

[1] - موسوعة الحديث الشريف – الكتـــب الســـتة – صحيح البخـــاري – كتاب الطب – باب : الكهانة – ص 492 – ح 5762 . .

[2] - الدر المنثور – للسيوطي – ج 6 – ص 333.

[3] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 10 – ص 383.

قراءة ما يسمونه بأبراج الإنسان ويتنبئون من خلالها بما سيحدث له ، أولاء كلهم هم أتباع الشيطان ، الذين يضللون الناس ويكذبون عليهم ، وللأسف فقد امتلأت صحف المسلمين ومجلاتهم وإذاعاتهم ووسائل إعلامهم بمثل هذا الكذب والتنجيم ، ففتحوا بذلك باحة واسعة يرتع فيها الشياطين ؛ فيفسدوا على الناس دينهم ، ويقودوهم إلى سبيل الضلال .

وأسوق هنا فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله حول الأبراج والطالع والنجوم يقول : " الحمد لله : ما يسمى بعلم النجوم والأبراج والحظ والطالع من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها ، وبيان أنها من الشرك لما فيها من التعلق بغير الله تعالى ، واعتقاد الضر والنفع في غيره ، وتصديق العرافين والكهنة الذين يدعون علم الغيب زورا وبهتانا ليبتزوا أموال الناس ويغيروا عقائدهم ، والدليل على ذلك ما رواه أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » [1] وما رواه البزار بإسناد جيد عن عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ليس منا من تطير أو تُطير له ، أو تكهن أو تُكهن له ، أو سحر أو سُحر له »[2] ومن ادعى معرفة علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن ، وإما مشارك له في المعنى ، لأن الله تعالى استأثر بعلم الغيب ، فقال عز وجل ﴿ **قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ** ﴾ [3] ونصيحتي لكل من يتعلق بهذه الأمور أن يتوب إلى الله ، ويستغفره وأن يعتمد على الله وحده ، ويتوكل عليه في

---

[1] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – سنن أبي داود – كتاب الكهانة والتطيّر – باب في النجوم – ص 1510 – ح 4905 ، صححه الألباني – صحيح الجامع الصغير وزيادته – ح 6074 - ج 2 – ص 1049 .

[2] - أخرجه البزار في زوائده – مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد – لابن حجر – ح 1170 – ج 1 – ص 646 ، وصححه الألباني – السلسلة الصحيحة – ح 2195 – ج 5 – ص 228 .

[3] - سورة النمل ، الآية 65 .

كل الأمور، مع أخذه بالأسباب الشرعية والحسية المباحة ، وأن يدع هذه الأمور الجاهليـــة ويبتعـــد عنها ، ويحذر سؤال أهلها أو تصديقهم طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وحفاظا على دينه وعقيدته " [1].

ثانياً : صفات أولياء الشيطان :

هؤلاء الأولياء الذين باعوا أنفسهم للشيطان ، فساروا في دربه ، ودعوا إلى غيه ، لابد أن يكونوا قد اتصفوا بصفات سبغتها عليهم تلك الولاية ، وهي صفات مخصوصة ، أكسبها الشيطان لأوليائه كي يقوموا بمهمتهم في مساعدة الشيطان في الإغواء ، ونذكر هنا ما أبرزه كتاب الله تعالى من تلك الصفات :

1- الجدال بالباطل :

يحتاج الباطل في حربه الضروس ضد الحق إلى ظهراء وأعوان ، يواجهون أهل الحق تارة ، ويكيدون لهم تارة أخرى ، يزينون الباطل مرة ، وينفرون من الحق مرة أخرى ، وهم يستمدون في كل ذلك الدعم والتأييد من الشياطين، وقد جندت الشياطين على مر الزمان من أوليائهم مَن وقفوا أمام أهل الحق وواجهوهم بالطعن في حقائق دين الله ، وتتبع دقائقه ومحاولة إظهار هذا الدين العظيم على غير الصورة التي ارتضاها الله للبشر ، هذا الهجوم على أهل الحق هو الجدال بالباطل ، يقول تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ** ﴾ [2] " ويعني بقوله (من يجادل في الله بغير علم) : من يخاصم في الله ، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلي ، وصار تراباً ، بغير علم يعلمه ، بل بجهل منه بما يقول . (ويتبع) في قيله ذلك ، وجداله في الله بغير علم (كل شيطان مريد) . " [3].

وقد بين الحق سبحانه أنما يقوله هؤلاء الأولياء من جدال ، وما يفعلونه ويظهرونه من عداء لأهل الحق ، إنما هو من وحي الشيطان إليهم وتسويله لهم ،

---

[1] - نقلت بتصرف من مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز - رحمه الله –ج 2 – ص 123

[2] - سورة الحج ، الآية 3

[3] - جامع البيان – للطبري – م 10 – ج 17 – ص 149

يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ... ﴾ [1] " أي إن شياطين الإنس والجن ليوسوسون إلى أوليائهم وأعوانهم من المشركين ليجادلوا محمداً وصحبه في أكل الميتة ... " [2].

وقد حذر المولى في سياق الآية السابقة من طاعة مثل هؤلاء المجادلين بالباطل ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [3] فهذا نكير كبير على من أطاع أهل الجدل بالباطل ، فاتبعوا ما أرادوا من قلب حقائق هذا الدين ، فقد أخرجهم الحق سبحانه من الدين الحق ، إذ لم يعودوا يستحقون الانتماء إليه بصنيعهم هذا ، وقد نفَّر ديننا الحنيف من الجدل وكثرته حتى وإن كان الإنسان محقاً لما يفضي إليه كثرة الجدل من الخلاف والتنازع وإثارة الشكوك ، ولكون هذه الصفة هي لصيقة بأولياء الشيطان ، يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة : " المراء في القرآن كفر " [4] فهذا تنفير شديد من المجادلين في دين الله وآياته ، ومن جهة أخرى يبشِّر صلى الله عليه وسلم مَن ترك المراء ببيت في الجنة ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : " أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ولو كان مازحاً ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه " [5] ، والأحاديث في فضل ترك المراء كثيرة.

وقد ساق الحق سبحانه في كتابه العزيز مثلين لقضيتين كثر الجدال فيهما من قبل أهل الباطل ، مبيناً تعالى ذكره كيفية مكر هؤلاء الشياطين وأوليائهم في تتبع دقائق الأمور ولطائفها ، والدخول على الناس من أبواب الهوى والضعف في العقول ، ونذكر هنا هذين المثلين ليتبين مدى مكر الشيطان ، ومدى خطورة الجدل :

---

[1] - سورة الأنعام ، الآية 121

[2] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 8 – ص 23

[3] - سورة الأنعام ، الآية 121

[4] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – سنن أبي داود – كتاب السنة – باب : النهي عن الجدال في القرآن – ص 1561 – ح 4603 ، ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير – ج2 – ح 6687 .

[5] - المرجع السابق – كتاب الأدب – باب : حسن الخلق – ص 1576 – ح 4800 ، ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير – ج1 – ح 1464 .

المثل الأول :

وقد ذكره الله تعالى في سورة الأنعام في سياق الحديث عما أحل الله لنا من النَّعَم وما حرم يقول تعالى : ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ [1] وقد ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه حيث قال : " أتى ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، أنأكل ما نقتل ، ولا نأكل ما يقتل الله ؟ فأنزل الله : (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين – إلى قوله تعالى – وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) [2].

وأخرج أبو داود والحاكم وغيرهما عن ابن عباس في قوله (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) قالوا : ما ذبح الله لا تأكلون ، وما ذبحتم أنتم تأكلون ؟ فأنزل الله هذه الآية " [3] وقد ذكر الطبري قصة شبيهة بما نقل السيوطي ولكنه بيَّن فيها مَن هم أولاء الذين أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومن أوحى لهم بمثل هذا الجدل " فقد أخرج الطبري بسنده عن عكرمة : لما نزلت هذه الآية بتحريم الميتة ، قال : أوحت فارس إلى أوليائها من قريش أن خاصموا محمداً – وكانت أولياؤهم في الجاهلية – قالوا له : إن ما ذبحت فهو حلال ، وما ذبح الله – قال ابن عباس : بشمشار [4] من ذهب – فهو حرام فأنزل الله هذه الآية (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) قال : الشياطين : فارس ، وأولياؤهم : قريش ... ومن طريق آخر عن عكرمة ... وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء ... وعن عبد الله بن كثير قال : سمعت أن الشياطين يوحون إلى أهل الشرك يأمرونهم أن يقولوا : ما الذي يموت والذي تذبحون إلا سواء ! يأمرونهم

---

[1] - سورة الأنعام ، الآية 121 .

[2] - سورة الأنعام ، الآيات 118 – 121 .

[3] - لباب النقول في أسباب النزول – للسيوطي – ص 124.

[4] - لم أقف على هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية ، والظاهر أنها أعجمية ، ويبدو من سياق النص أنها تعني أداة الذبح من سكين ومنشار وغيره .

أن يخاصموا بذلك محمداً صلى الله عليه وسلم ... وعن ابن عباس قال : لما حرّم الله الميتة أمر الشيطان أولياءه ، فقال لهم ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم ، فقال الله ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾ (1) فمجمل الروايات التي ساقها الطبري تبين هذه الأكذوبة والجدل الدنيء الذي اتبعه الشيطان وأولياؤه في التلبيس على المؤمنين ، والناظر في هذا الجدل الذي ساقه المجرمون ، وفي تلك الحجج الواهية في الاعتراض على تحريم الميتة ، ليدرك تماماً ميراث الشياطين عن أبيهم إبليس - لعنة الله عليه- فهذه الحجة الباطلة ، وهذا القياس الفاسد هو نفسه قياس إبليس عليه لعنة الله ، ولكن بلباس آخر يتناسب مع الموضوع المطروح ، فذاك فضّل النار على الطين من تلقاء نفسه ، وهؤلاء يفضلون ما مات دون أن يذبحه أحد – والذي ينسبون ذبحه إلى الله – على ما ذبحه الإنسان ، فقديمهم وحديثهم واحد ، نفس العقلية ونفس التفكير ونفس الجدل ، ولكن بقوالب مختلفة وأشكال متعددة ، ويمتلئ زماننا اليوم بمثل هذه الأنواع من الجدل الشيطاني الذي يقوم به أولياء الشيطان في حربهم المعلنة على دين الله وأتباع الحق في كل مكان ، وقد توجه هذا الجدل بشكل خاص على أصل هذا الدين وصراطه المستقيم ، القرآن الكريم ، حيث وُجهت له سهام الحقد الشيطانية بإثارة الجدل الباطل حول بعض قضاياه ، وحول قضايا هذا الدين بشكل عام وهذا مجال واسع من الجدل وإثارة الشُّبهات لا يتسع المقام هنا بتناوله وقد حظي هذا الباب بحظ وافر في كتب المتأخرين ، حيث نشطوا في الرد على أعداء هذا الدين (2).

---

[1] - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 8 – ص 26 ، 27 ، 28 .

[2] - انظر :

- مناهل العرفان في علوم القرآن –لعبد العظيم الزرقاني .
- الأساس في التفسير – لسعيد حوى .
- شبهات حول الإسلام – لمحمد قطب .
- بيِّنات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمغتربين – للدكتور يوسف القرضاوي .
- دراسات في القصص القرآني : مقاصده وأغراضه ودفع الشبهات عنه – لعبد المنعم القصاص .
- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول – لمحمد علي الصابوني .
- مكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية والرد على ما أثير من شبهات حول حجيتها وروايتها – لعلي الخفيف .

وقد رد السندي - في حاشيته على سنن النسائي – على هذه المجادلة الباطلة بكلمات قليلة قوية هي تبيان للرد الرباني : يقول : " قوله : (خاصمهم المشركون) أي : خاصم المشركون المؤمنين فقالوا في معرض الاستدلال على بطلان دين المسلمين بأنكم تحرمون ذبيحة الله تعالى التي هي الميتة ، وتحلون ذبيحتكم ، وهذا شيء بعيد ، فأنزل الله تعالى دفعاً لهذه الشبهة قوله (ولا تأكلوا) إلخ ، وحاصل الجواب : أن الذبيحة إنما حلت لأنه قد ذكر عليها اسم الله ، والميتة لم يُذكر عليها اسم الله فحرمت لذلك " [1].

المثل الثاني :

وهو يتحدث عن قضية ثار حولها جدل كثير في الماضي ، وحتى في حاضرنا اليوم ، هذه القضية هي قضية البعث بعد الموت ، ولكون هذا الأمر غير محسوس للبشر فقد كان مسرحاً لجدل طويل من قبل أولياء الشيطان ، ويتحدث الحق سبحانه عن هذه القضية في معرض الرد على مجادلات أولياء الشيطان في مطلع سورة الحج حيث يقول : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ** ﴾ [2].

وهذه الآيات نزلت في النضر بن الحارث [3].وكان ذا جدلٍ يقول : الملائكة بنات الله ، والقرآن أساطير الأولين ، والله غير قادر على إحياء مَن بلى

---

[1] - حاشية السندي على سنن النسائي – ج 4 – ص 194 – ح 4449

[2] - سورة الحج ، الآيات3 – 7 .

[3] - تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم – ج 8 – ص 2373

وصار تراباً [1]..وهذه الآية كما يبدو من سياقها عامة في كل من تعاطى الجدال ، فيما يجوز على الله ، وما لا يجوز من الصفات والأفعال ، ولا يرجع إلى علم ، ولا يتبع حجـــة ولا برهاناً صحيحة فهو يخبط خبط عشواء ، غير فارق بين الحق والباطل [2]

وهذا الجدال من قبل الشيطان وأتباعه مبني على الجهل وعدم العلم الصحيح ، بل هو علم مضلَّل باطل يقول الطبري : " يعني بقوله (من يجادل في الله بغير علم) : من يخاصم في الله ، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء مَن قد بلى ، وصار تراباً ، بغير علم يعلمه ، بل بجهل منه بما يقول . (ويتبع) في قيله ذلك ، وجداله في الله بغير علم (كل شيطان مريد) " [3] .

2- الاغترار بالباطل :

وهذه صفة مهمة في درب اتباع الشيطان ، يصنعها الشيطان في أوليائه ، ليغويهم به ، ويغريهم بأهل الحق ، فالشيطان يحتاج في حربه على الحق وأهله أتباعاً بعيدين كل البعد عن الخير والحق والإيمان ،ولا يتأتى ذلك فيهم إلا بزيادة اغترارهم بباطلهم الذي اتبعوا ، فلا يرون غيره صواباً ، ويلج الشيطان اللعين إلى نفس أتباعه من مدَّخلٍ يتميز البشر فيه بالضعف ، ألا وهو : حب الذات والظهور فيبدأ اللعين يوسوس لأتباعه ويوحي إليهم بأنهم على حق ، وأنهم الأفضل والأقوى وما عليهم إلا أن يبدأوا الحرب على المؤمنين بكل قوة وكِبر وغرور ، بل إن الحق سبحانه سمَّى الشيطان غَروراً : أي يخدع أعداءه ويُغَرِّر بهم يقول تعالى : ﴿ ... **إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الغَرُورُ** ﴾ [4] "قراءة العامة هنا وفي سورة الملائكة والحديد بفتح الغين وهو الشيطان في قول مجاهد وغيره وهو الذي يغر الخلق ويمنيهم الدنيا ويلهيهم عن الآخرة " [5] .

---

[1] - انظر التفسير المنير – للزحيلي – ج 17 – ص 153 ، 154

[2] انظر الكشاف – للزمخشري – ج 3 – ص 144 .

[3] - جامع البيان – للطبري – م 10 – ج 17 – ص 149

[4] - سورة لقان ، الآية 33 .

[5] -جامع البيان – للطبري – م 8 – ج 14 – ص 72 .

ولقد رسم الله هذه الصورة للشيطان وأتباعه المغرورين مع أهل الإيمان ، وذلك قبيل معركة أحد ، حيث يقول تعالى : ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [1] ، " أي يخوفكم أولياءه ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة " [2] ، وقد بين الطبري هذا المعنى فقال : "إنما الذي قال لكم أيها المؤمنون : إن الناس قد جمعوا لكم ، فخوّفوكم بجموع عدوكم ، ومسيرهم إليكم ، مِن فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم ، يخوِّفكم بأوليائه من المشركين ، أبي سفيان وأصحابه من قريش ، لترهبوهم وتجبنوا عنهم ... وقال آخرون : معنى ذلك : إنما ذلكم الشيطان يعظِّم أمر المشركين أيها المنافقون في أنفسكم فتخافونهم " [3] وقد فصَّل الألوسي ما ذكر الطبري من خلاف في معنى الآية هنا على معنيين حيث يقول : " والمستكين [4] في (يخوِّف) إما للمقدر ، وإما للشيطان يُحــذَف الراجع إلى المقــدر أي : يخوِّف به والمراد بأوليائه إما أبو سفيان وأصحابه ، فالمفعول الأول ليخوِّف محذوف ، أي يخوفكم أولياءه بأن يعظمهم في قلوبكم ، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ **لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً** ﴾ [5] وبذكر هذا المفعول قرأ ابن عباس . وقرأ بعضهم يخوفكم بأوليائه ، وعلى هذا المعنى أكثر المفسرين ، وإليه ذهب الزجاج ، وأبو علي الفارسي وغيرهما ويؤيده قوله تعالى : (فلا تخافوهم) أي : فلا تخافوا أولياء الذي خوَّفوكم إياهم (وخافون) في مخالفة أمري " [6] .

وحاصل المعنى الأول أو الثاني أن الشيطان يعظم صورة أوليائه في نظر المؤمنين ، ويستعملهم لتخويف المؤمنين .

---

1 - سورة آل عمران ، الآية 175

2 - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 3 – ص 275

3 - جامع البيان – للطبري – م 3 – ج 4 - 229

4 - المستكين هنا هو الضمير المضمر في الفعل (يخوِّف)

5 - سورة الكهف ، الآية 2

6 - روح المعاني – للألوسي – ج 3 – ص 202 ، 203

وقد ذكرنا فيما سبق طرفاً من هذه العلاقة بين الشيطان وأوليائه في معرض الحديث عن العلاقة الجدلية بين الشيطان وأتباعه ، فالشيطان يزيد أتباعه منه خوفاً ، وهم بدورهم يتسلطون على المؤمنين وعلى غيرهم ليزيدوهم رهقاً كما كان يزيد الشيطان أتباعه رهقاً بطاعتهم إياه : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً** ﴾ [1]

3- الخوف من الشيطان :

ومقابل الاغترار بالباطل ، ونتيجة لتسخير الشيطان أتباعه للحرب على الحق ، يصبح هؤلاء الأولياء ضعفاء أمام سيدهم لا حول لهم ولا قوة ، فهو من أغرى فيهم حب الذات ، وهو من أذكى فيهم الكِبر والغرور ، فاستمدوا قوتهم الزائفة ، وكبرهم الضعيف من أسيادهم فكانت النتيجة أن تسلط عليهم وتمكن منهم فلا يعصون له أمراً ، ولا يشقون له عصا .

يقول تعالى في وصف حالهم هذه ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [2] " أي إن الشيطان ، أي جنسه ، ليس له قوة ولا تسلط على المصدقين بلقاء الله ، ويفوضون أمورهم إليه . (إنما سلطانه) أي إنما تسلطه بالغواية والإضلال على الذين أطاعوه واتخذوه ولياً ناصراً لهم من دون الله ، والذين أشركوا في عبادة الله " [3].

وقد اعترض البعض على حتمية تسلط الشيطان على أتباعه ، فقال إن الله لا يمكن أن يسلط الشيطان على جنس ما من البشر فيقدر له النار ، والحق أن تسلط الشيطان على أتباعه لم يكن هكذا جزافاً أو خبط عشواء ، بل إن الشيطان في الحقيقة ليس له سلطان تام على أحد ، فما كان منه إلا أن دعا إلى سبيله فأقبل عليه من أقبل وفر منه مَن فر ، وقد أعلن إبليس هذه الحقيقة يوم القيامة حيث

---

[1] - سورة الجن ، الآية 6

[2] - سورة النحل ، الآيات 98 -100 .

[3] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 14 –ص 233

يقول : ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ...** ﴾ [1]، ولكن تسلط الشيطان على أوليائه يكون بما كسبت أيديهم ولذلك ختم الله الآية بقوله (والذين هم به مشركون) ويقول القرطبي في ذلك : " (إنه ليس له سلطان) أي بالإغواء والكفر ، أي ليس لك قدرة على أن تحملهم على ذنب لا يغفر ، قال سفيان ، وقال مجاهد : لا حجة له على ما يدعوهم إليه من المعاصي ، وقيل : إنه ليس له عليهم سلطان بحال ، لأن الله تعالى صرف سلطانه عليهم حين قال عدو الله إبليس لعنه الله ﴿ **وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [2] قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ [3] إنما سلطانه على الذين يتولونه أي : يطيعونه " [4] .

---

[1] - سورة إبراهيم ، الآية 22 .

[2] - سورة الحجر ، الآيتان 39 ، 40 .

[3] - سورة الحجر ، الآية 42 .

[4] - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 14 – ص 522 ، 523

الفصل الثالث

خطوات الشيطان

وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الخطوات بين التعريف وبلاغة التعبير

المبحث الثاني : وسائل الشيطان ومداخله إلى النفس

وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : وسائل الشيطان في خطاب الإنسان

المطلب الثاني : مداخل الشيطان إلى النفس

المبحث الثالث : الخطوات المنجهية للشيطان

وينقسم إلى خمسة مطالب :

المطلب الأول : تزيين العمل وتسويله

المطلب الثاني : الإنساء

المطلب الثالث : التمنية والإملاء

المطلب الرابع : التخويف من الفقر والموت

المطلب الخامس : النزغ والمسّ

بين يدي الفصل

هذا الفصل هو صلب الرسالة ، وبيت القصيد، حيث كنا فيما سبق نتناول مظاهر تتعلق بالشيطان ولايةً وعُبَّاداً وأصنافاً وصفاتٍ .

أما الآن فندخل في حقيقة ما قد ضل به البشر ، وفي خبايا مكائد الشيطان وما من شأنه أن يُوقعَ به العباد في حبائله ،كل هذا وغيره كثيـــر يـــتلخص فـــي التعبير القرآني الجميل " خطوات الشيطان " فما هي تلك الخطوات يا تُرى ، وهل انحصرت هذه الخطوات في أمور معينة حددها كتاب الله ، بل هل اتفق علمـــاء الأمة على مفهوم هذا التعبير ومؤداه ؟ كل هذه التساؤلات وغيرها تطرح نفـــسها بقوة أمام الباحث في هذا الفصل الشائك وسنحاول – مستعينين بالله تعالى – فـــي ثنايا هذا الفصل أن نستقي الحقائق القرآنية ونجلِّيها في سياق واضح بعيـــد عمـــا وقع فيه كثير من السلف والخلف من تداخل وغموض في هذا التعبير .

المبحث الأول

الخطوات بين التعريف وبلاغة التعبير

قبل أن نخوض في خضمِّ الإجابة على هذا السؤال نفتتح هذا المبحث برأي أهل اللغة ، ثمّ نثنّي برأي أهل التفسير في تعريف كلمة خطوات :

أهل اللغة :

(**خطو**(أ)) : " الخاء والطاء والحرف المعتل والمهموز يدل على تعدي الشيء ، والذهاب عنه يقال : خطـوت أخطو خُطوة ، الخُطوة : مـا بـين الـرجلين ، والخطوة : المرة الواحدة . والخطأ من هذا ، لأنه مجاوزة حد الصواب ، يقـال أخطأ إذا تعدى الصواب ، وخطئ يَخطأ : إذا أذنب ... "[1].

وقد فسر كثير من أهل اللغة هذا التعبير القرآني " خطوات الشيطان " على حسب ما فهموا من معنىً لغوي فقال ابن السِكِّيت[2] " نقلاً عن أبي العباس فـي قوله تعالى : ﴿ **لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ** ﴾ [3] أي في الشر ، وقال الزجـاج : خطوات الشيطان : طرقه وآثاره ، وقال الفراء : معناه لا تتبعوا أثره فإن اتباعه معصية ، وقال الليث : معناه لا تقتدوا به " [4] .

هذا طرف من أقوال أهل اللغة في الخطوات كما أرادها التعبير القرآني ، ونلاحظ من خلال هذه الأقوال أنها تركزت على مفهومين هما : " الأثر والطريقة " ونحن إذ نذكر هذين المفهومين هنا لا نقصد أن نرجّح أحدهما على الآخر ، أو أن نوفق بينهما في مثل هذه المرحلة المتقدمة من المبحث ، بـل يجـدر بنـا أن نعرض لأقوال المفسرين في قديم و حديث وقبل أن نخلص إلى الرؤية القرآنيـة

1- معجم المقاييس في اللغة – لابن فارس – ص 322 ، 323

2- هو : يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكّيت ، إمام في اللغة والأدب ، أصله مـن خوزسـتان بـين البصرة وفارس ، توفي سنة 244 هـ - الأعلام – للزركلي – ج 8 – ص 195 .

3- سورة البقرة ، الآية 168

4- انظر لسان العرب – لابن منظور – ج 14 – ص 232

لهذا التعبير وسيتضح لك في السطور القادمة كيف اختلف المفسرون في تحديد مفهوم الخطوات بين هذين المعنيين الذَين خلصنا بهما عند أهل اللغة .

أهل التفسير :

- ينقل الطبري بسنده عن بعض الصحابة والتابعين من أرباب التفسير ما أثر عنهم في تعريف " خطوات الشيطان " : فعن ابن عباس : خطواته : أي عمله ، مجاهد : خطيئته ، قتادة ، خطاياه ، الضحاك : خطايا الشيطان التي يأمر بها ، السدي : طاعته ، ابن مجلز : النذور في المعاصي "[1] ثم يعلق على هذه الأقوال ذاكراً ما يرجحه في معنى الخطوات فيقول : " وهذه الأقوال التي ذكرناها فيمن ذكرناها عنه في تأويل قوله (خطوات الشيطان) قريب معنى بعضها من بعض ، لأن لكل قائل منهم قول في ذلك ، فإنه أشار إلى نهي اتباع الشيطان في آثاره وأعماله . غير أن حقيقة تأويل الكلمة هو ما بيَّنتُ من أنها بُعدُ ما بين قدميه ، ثم تستعمل في جميع آثاره وطرقه " [2] .
- ويبيّن صاحب الكشاف معنى هذا التعبير فيقول : " يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه إذا اقتدى به واستن بسنته " [3].
- ويقول أبو السعود : " أي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى " [4].
- ويسهب الألوسي في تبيان معنى الخطوات فيقول : " أي آثاره كما حُكِي عن الخليل ، أو أعماله كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ، أو خطاياه كما نقل عن مجاهد – وحاصل المعنى لا تقتدوا به وتستنوا بسنته فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام ، وعن الصادق : من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق ، والنذور في المعاصي ، وكل يمين بغير الله تعالى ، وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة (خطْوات) بتسكين الطاء ، وهما لغتان في جمع خطوة ، وهي ما

1- جامع البيان – للطبري – م 1 – ج 2 – ص 102
2- المرجع السابق – م1 – ج 2 – ص 103
3- الكشاف – للزمخشري – ج 1 – ص 195
4- إرشاد العقل السليم – لأبي السعود – ج 1 – ص 187

بين قدمي الماشي ، وقرأ علي كرم الله وجهه بضمتين وهمـــزة (خُطُــآت) وفي توجيهها وجهان : الأول : ما يقال : إن الهمزة أصلية من الخطأ بمعنى الخطيئة ،والثاني :إن الواو قلبت همزة لأن الواو المضمومة تقلب لها ..."[1].

- ويقول الطاهر بن عاشور في هذا التعبير : " واتباع خطواته استعارة تمثيلية أصلها أن السائر إذا رأى آثار خطوات السائرين تبِع ذلك المسلك، علماً منه بأنه ما ســار فيـــه السائر قبله إلا لأنه موصل للمطلوب ، فــشبه المقتــدي الذي لا دليل له سوى المقتدى به وهو يظن مسلكه موصـــلاً ، بالــذي يتبـــع خطوات السائرين ، وشاعت هذه التمثيلية حتى صاروا يقولون : هـــو يتبـــع خطا فلان بمعنى يقتدي به ويتمثل له " [2] .
- يقول محمد عبده فيما ينقله عنه تلميذه محمد رشيد رضا : " والمعنى لا تتبعوا سيرته في الإغـــواء ووسوسته في الأمر بالسوء والفحشاء وهو ما يبينه فـــي الآيـــة التالية معللاً النهي بكونه عدواً للناس بيِّن العداوة ، والعلم بعداوته مما لا يتوقف على معرفة ذاته ، وإنما يعرف الشيطان بهذا الأثر الذي يُنسب إليه وهو وحي الشر وخواطر الباطل والسوء في النفس ، فهو منشأ هذا الـــوحي والخواطر الرديئة ، قال تعالى : ﴿ **شَيَاطِينَ الإنس وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً** ﴾ [3] ... " [4] .
- يقول المراغي في تفسيره : " (لا تتبعوا خطوات الشيطان) : أي لا تتبعـــوا سيرته في الإغواء ووسوسته في الأمر بالسوء والفحشاء ، فهو عدو لكم بيّن العداوة ؛ إذ هو منشئ الخواطر الرديئة المحرضة علـــى ارتكـــاب الجـــرائم والآثام ... فهذا نهـــي عن اتبـــاع وحي الباطل والشر لأنــــه مـــن إغـــواء الشيطان ... " [5] .

1- روح المعاني – للألوسي – ج 2 – ص 58 ، 59

2- التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 2 – ج 2 – ص 103

3- سورة الأنعام ، الآية 112

4- تفسير المنار – لمحمد رشيد رضا –ج 1 – ص 71

5- تفسير المراغي – لأحمد مصطفى المراغي – ج 1 – ص 43

- يقول سعيد حوى في تفسيره : " (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) : أي طرقه التي يدعوكم إليها ، يقال اتبع خطواته فاقتدى به واستن بسنته ، والخطوات : تزيين الحرام واتباع الشهوات ... " [1] .
- ونختـم بنظـرات الشيخ الشعراوي في تبيـان معنى الخطوات حيث يقول : "(لا تتبعوا خطوات الشيطان) : أي لا تسيروا وراء الشيطان ، فـالخطوة هي المسافة بين القدمين عند المشي أو بـين النقلـة والنقلـة ، ولا تجعلـوا الشيطان قائدكم لأن الشيطان عداوته لكم مسبقة ويجب أن تحتـاطوا بـسوء الظن فيه ، فهو الذي عصى ربه ولا يصح أن يطاع في أي أمر ... " [2] .

نظرة في هذه الأقوال :

الناظر في هذه الأقوال قديمها وحديثها يدرك أنها في مجملها تعـود إلـى معنيين رئيسين ، هما ذاتهما اللذان دارت عليهما أقوال أهل اللغـة فـي معنـى الخطوات ،فعمله وخطيئته وخطاياه وآثاره والاقتداء به والسير وراءه كلها تصب في معنيين هما : الآثام أو الموصل إلى تلك الآثام ، فمن ذهب إلى أن الخطوات هي الآثار قصد أنها ما يعمله الشيطان ، وكذا من قال إنـه الاقتـداء والاتبـاع والسير في دربه . أما من قال أن الخطوات هي الخطايا فقد ضمَّن المعنى الأول زيادةً وهي دواعي الآثام وأسبابها .

ولقـد ذهـب كثير من علماء السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى أن خطوات الشيطان هـي آثـاره ، فالله يحذر بني البشر من اتباع تلك الآثار : (لا تتبعوا خطوات الشيطان) : أي لا تعملوا بأعماله وتقتدوا بأفعاله فتصيبوا الإثم كما أصاب هو الخطايا ، وعلى هذا التفسير تكون الخطوات هـي الغايـات التي أراد الشيطان لأعدائه أن يقعوا فيها .

أما علماء الخلف ممن كتبوا في هذا الموضوع فقد أضافوا إلى ذلك المعنى ما يكون به الاتباع والاقتداء وهو وسائل الشيطان في الإغواء من وسوسة وإيحاء وتخويف وتزيين وإملاء .

---

[1]- الأساس في التفسير – لسعيد حوى – ج 1 – ص 371

[2]- تفسير الشعرواي – للشعراوي – ج 2 - 699

ومن خلال هذين المعنيين المتداخلين تنبثق عدة أسئلة مهمة تتعلق بألفاظ الآية ومؤداها :

1- إذا كانت خطوات الشيطان بمعنى أعماله ، وإذا كان الإنسان اليوم وفي الماضي ما ترك خبيثاً إلا وقد وقع فيه ، فهل عمل الشيطان كل هذه الأعمال بالضرورة كي يحذرنا الله من اتباع خطواته ؟
2- إذا كان ما ذهب إليه أكثر السلف دقيقاً جامعاً لمعنى الخطوات ، فلماذا استعمل الحق سبحانه هذه الكلمة بالذات مع أن ما ذهبوا إليه يصدق على كلمة آثار أو أعمال ؟
3- ثم إن كانت الخطوات تتعدى الأعمال لتشمل ما يوصل إليه مما يزينه الشيطان ويوسوس به ، فكيف يكون الاتباع لمثل هذه الأشياء التي يصدق عليها الوقوع أو السقوط من باب أولى ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات أقول :

أول زلل وقع في البشر كان من قبل أبينا آدم عليه السلام ، وكان هذا الزلل بمثابة اتباع لخطوة من خطوات الشيطان – عن جهل تام من آدم بتلك الخطوات إذ لم يكن له سبق مثال أو حال ينبؤه بتلك الخطوات على ما كان من إبليس من إقسام لهما بالنصح – فكان هذا الزلل وهذا الاتباع لتلك الخطوة وهو الأكل من الشجرة ليس تقليداً لعمل عمله إبليس ، بل انخداع بتسويل وتمنية وكذب وعلى ذلك ليس شرطاً أن يكون إبليس وجنده وقعوا في كل ما أرادوا البشر أن يقعوا فيه .وإذا كان الأمر كذلك ، وإذا لم تكن الخطوات بمعنى الآثار فقط فكيف يتأتى اتباع ما ليس بعمل ؟ هذا الاتباع يكون إما بالتقليد لما يعمل الشيطان أو يكون بالانقياد لما يرده ، فالمنقاد لوساوس الشيطان وغوايته ، والمنجرف في دروبه وأهوائه هو متبع له ، فقد تسير أنت وراء الشيطان بمحض إرادتك فتعمل ما عمل ، أو قد تقع من حيث لا تدري في شراكه فتكون من أتباعه إن لم تستيقظ من غفلتك ، وتتوب إلى الله كما تاب آدم .

التعبير القرآني " خطوات الشيطان" :

لقد نظر السلف عليهم رحمة الله ورضوانه إلى ما يحدثه الشيطان في بني البشر من انغماس في الشهوات ، وعمل للمنكرات ، ووقوع في الفحشاء فقالوا هذه هي الخطوات التي يقع فيها البشر ، فنظرتهم تلك هي نظرة عملية واقعية ، ولما بدأ إمعان النظر يدخل على العلوم الإسلامية ، فيبحث الباحثون عن المكامن ويفتّشون عن الأسباب والدوافع اتسعت دائرة تعريف تلك الخطوات لتشمل ما من شأنه أن يوقع في مثل هذا الضلال .

ولقد جاء هذا التعبير القرآني الجميل ليرسم لنا صورة متكاملة لقصة الشيطان مع الإنسان ليس فقط على صعيد الخطايا وحدها أو السبل وحدها ، بل هو تعبير دقيق رائع يرسم لقارئه صورة واضحة جلية لما يريده الشيطان من الإنسان منذ تكليفه إلى حين خروج روحه من الجسد ، فالمتأمل في هذا التعبير يجد فيه صورة التدرج البطيء الذي يسلب الإنسان دينه من حيث لا يدري ، تدرج شديد البطء لا يكاد المرء يميز بين مراحله ، تماماً كما هو حال الخطوة التي تتبعها الخطوة في طريق طويل مليء بالخطوات ، وإذا عرفنا أن خطوات الشيطان هي سلسلة مترابطة العرى ، متداخلة الحلقات ، وجب أن ندرك أن طريق الشيطان لا تبدأ بتقليده في عمل ما ، أو اتباعه في أثر ما ، بل هي سلسلة تبدأ بالوسوسة فالتسويل والتزيين بالتحسين تارة والتخويف أخرى ، بالتمنية مرة والتسويف أخرى ثم تتوالى الخطوات حتى يحصل الزلل فيقع الإنسان في المعصية ، يقول الإمام الحارثي في هذا الباب : " إن العبد إنما يؤتى من قبل التهاون باليسير . وهو الذي يوقع في الإثم الكبير ، والتهاون باليسير هو الأساس الذي يبنى عليه الكثير فيكون أوله : كان تحفظاً . ثم صار انبساطاً . ثم صار من الانبساط إلى ذكر اليسير . ثم صار من اليسير إلى ما هو أكثر منه . فلا تشعر حتى ترى نفسك حيث كنت تكره أن ترى فيه غيرك ففي ترك اليسير ، ترك اليسير والكثير " (1)

---

[1]- مواعظ الإمام الحارثي المحاسبي – ص 88

وأرى في هذا المقام ، وقبل أن نخلص إلى التعريف الاصطلاحي للخطوات أن أسوق قصة تناقلتها كثير من كتب العلماء في الماضي والحاضر ، وإن كانت طويلة ، ولكنها تضرب أفضل مثال على خطوات الشيطان التي عنتها الآية الكريمة ، تلك هي قصة عابد بني إسرائيل والتي يوردها ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس حيث يقول : " عن وهب بن منبه [1] : أن عابداً كان في بني إسرائيل ، وكان مَنْ أعبد أهل زمانه ، وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت ، وكانت بكراً ، ليس لهم أخت غيرها ، فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا مَنْ يأمنون عليها ، ولا عند مَنْ يضعونها قال : فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل – وكان ثقة في أنفسهم – فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده ؛ فتكون في كنفه ، وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم ، فأبى ذلك ، وتعوذ بالله – عز وجل – منهم ، ومن أختهم ، قال : فلم يزالوا به ، حتى أطاعهم ، فقال : أنزلوها في بيت ، حذاء صومعتي ، قال : فأنزلوها في ذلك البيت ، ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت في جوار ذلك العابد زماناً ، ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ، ثم يغلق بابه ويصعد إلى صومعته ، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام .

قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ، ويعظِّم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوِّفه أن يراها أحد ، فيعلِّقها ، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلا يزال به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها ، قال : فلبث على هذه الحالة زماناً . ثم جاء إبليس فرغبه في الخير والأجر ، وحضه عليه ، وقال : لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها ، كان أعظم لأجرك ، قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ، ثم وضعه في بيتها ، فلبث على ذلك زماناً .

---

[1]- هو : وهب بن منبه بن كامل اليماني أبو عبد الله الأبناوي ، ثقة اشتهر بالتفسير وبالرواية عن أهل الكتاب ، تقريب التهذيب – لابن حجر – ت 7485 – ص 585 .

ثم جاء إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه ، فقال : لـو كنـت تكلمهـا وتحدثها فتأنس بحديثك ، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة ، قال : فلم يـزل بـه حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته .

قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال : لو كنت تنزل إليها ، فتقعد على بـاب صومعتك وتحدثها ، وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك ، كان آنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه ، وتخرج الجارية مـن بيتها حتى تقعد على باب بيتها ، قال : فلبثا زماناً يتحدثان .

ثم جـاءه إبليس فرغبـه في الخيـر والثواب ، فيما يصنع بها ، وقال : لو خرجت من باب صومعتـك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنـس لها ، فلم يزل به حتى فعـل ، قال : فلبث زماناً ، ثم جاءه فرغبه في الخيـر ، في ما له عند الله – سبحانه وتعالـى – من حسن الثواب فيما يصنع بها ، وقال له : لو دنوت منهـا وجلسـت عند باب بيتها فحدثتها – ولم تخرج من بيتهـا ، فلبثا على ذلك حيناً .

ثم جاءه إبليس : لو دخلت البيت معها فحدثتها ، ولم تتركها تبرز وجههـا لأحد ، كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت ؛ فجعل يحدثها نهارها كله ؛ فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته .

قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له ، حتى ضرب العابد علـى فخذها وقبلها ، فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ، ويسول له حتى وقع عليهـا فأحبلها ، فولدت له غلاماً .

فجاء إبليس فقال : أرأيت إن جاء إخوة الجارية وقد ولدت منـك ، كيـف تصنع ؟ لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك ، فاعمد إلى ابنها فاذبحه ، وادفنه ، فإنها ستكتم ذلـك عليك ، مخافة إخوانها أن يطلعوا على ما صنعت بها ؛ ففعل ، فقال له : أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها ، وقتلت ابنها ، قال : خـذها واذبحهـا ، وادفنها مع ابنها ، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها ، وأطبـق عليهما صخرة عظيمة، وسوى عليهما ، وصعد إلى صومعته يتعبد فيها ، فمكث

بذلك ما شاء الله أن يمكث ، حتى أقبل أخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوه عنها ؟ فنعاها لهم ، وترحم عليها وبكاها ، وقال : كانت خير امرأة ، وهذا قبرها انظروا إليه ، فأتى أخوتها القبر فبكوا أختهم ، وترحموا عليها ، فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم ، فلما جن عليهم الليل ، وأخذوا مضاجعهم ، جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر ، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم ، فأخبره بقول العابد وترحمه عليها ، وكيف أراهم موضع قبرها ، فكذبه الشيطان وقال : لم يصدقكم أمر أختكم ، إنه قد أحبل أختكم ، وولدت منه غلاما فذبحه ، وذبحها معه فزعاً منكم وألقها في حفيرة أحتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله ، فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه ، عن يمين مدخله فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً ، واتى الأوسط في منامه ، فقال له مثل ذلك ، فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم : لقد رأيت الليلة عجباً ؛ فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى فقال كبيرهم : هذا حلم ليس بشئ فامضوا بنا ، ودعوا هذا عنكم ، قال أصغرهم : والله لا أمضي حتى آتى هذا المكان فأنظر فيه ، قال : فانطلقوا جميعاً ، حتى آتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحوا الباب ، وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم ؛ فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم ، فسألوا عنها العابد ؟ فصدق قول إبليس فيما صنع .

فاستعدوا عليه ملكهم ، فأُنزل من صومعته ، وقدم ليصلب ، فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له : قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها ، وذبحتها وابنها ؛ فإن أنت أطعتني اليوم ، وكفرت بالله الذي خلقك وصورك ، خلصتك مما أنت فيه ، قال: فكفر العبد ، فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه ، قال : ففيه نزلت هذه الآية ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ**

الظَّالِمِينَ ﴾ [1])[2].

معنى خطوات الشيطان :

لم يأخذ هذا التعبير القرآني تعريفاً اصطلاحياً أو شرعياً ، إذ هو تعبير قرآني يخضع بشكل كامل للمعنى اللغوي البلاغي الذي يرسمه لنا ، ولقد رأينا كيف انبسط هذا التعبير ليملأ صفحات وصفحات بالوصف له وتبيينه ، ولذا فيعسر أن تلم كلمات قلائل بكل ما يخبر به هذا التعبير ، وأفضل سبيل في الخروج ببيان معنى لهاتين الكلمتين هو الدمج بين المفهوم البلاغي لهذا الأسلوب وبين المعاني الشرعية المترتبة على اتباع هذه الخطوات .

وإذا ألقينا نظرة على ما ورد في كتب المفسرين في قديم وحديث نجد أن أكثرهم ذكر المعنى اللغوي لكلمة خطوات ثم ربطه بسياق الآية ، ونجد البعض ركز على المعنى البلاغي وأبرز جمال هذا التعبير ، ولكننا نريد هنا أن نخرج بمعنى علمي دقيق لهذا التعبير القرآني ، (فهو ليس مجرد كلمة أو أسلوب ، بل هو نظم جميل وتعبير غاية في الدقة يربط تلك الصورة التي يتعامل بها الشيطان مع أعدائه بالآثار الشرعية المترتبة على ذلك الاتباع)، وهذا ما يظهر من خلال السياق القرآني ، فالحق سبحانه وتعالى يؤكد في الآية التي تليها أن تلك الخطوات إنما هي أوامر شرّ وفحش وسوء وتقوّل على الله ﴿ **إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [3] ، وهذه كلها محاذير شرعية تنتج عن تلك الخطوات واتباعها ، ولذا أرى أن يكون المعنى الشرعي لهذا التعبير على النحو التالي :

---

[1]- سورة الحشر ، الآيتان 16 ، 17 .

[2]- تلبيس إبليس – لابن الجوزي – ص 27 ، وهذه القصة مما روي موقوفاً على ابن منبه ، من الإسرائيليات التي نتبع فيها نهج النبي صلى الله عليه وسلم من حيث عدم التصديق أو التكذيب ، ولكنّا هنا نستأنس بها في أمر يوافق المشاهد من أمر الناس وإغواء الشيطان لهم . .

[3] - سورة البقرة ، الآية 169

معنى الخطوات شرعاً :

هي المراحل الشيطانية الموقعة في المعصية بدأ ببواعث تلك المعصية ودواعيها في النفس ثم مروراً بارتكابها واكتساب الإثم ثم انتهاءً بكون تلك المعصية مفتاحاً لما يتلوها من معاصٍ تنتهي إلى غاية الشيطان الكبرى وهي إيقاع الناس في الكفر والموت على ذلك .

بين الخطوات و الغايات :

رأينا من خلال المفهوم السابق لخطوات الشيطان أنها تشتمل على كل ما من شأنه أن يوقع الإنسان في الشر بدءاً بدواعي ذلك الشر في نفس الإنسان ومروراً بما يحيل هذه الدواعي والمُستحِثّات إلى شر واقع في الخارج بعد أن كان كامناً في الذهن ، ثم تتابع الشرور واحداً بعد الآخر كلٌ يُسْلِمُ إلى أخيه ، ثم انتهاءً بأكبر الشر وغاية الغايات التي يسعى الشيطان إلى تحقيقها ألا وهي موت الإنسان على غير دين الله وخلوده في النار ، كل هذه السلسلة بتفاصيلها وتشعّباتها هي الخطوات التي حذرنا الله سبحانه وتعالى من اتباعها ، ولكني آثرت في هذا البحث أن أقسم تلك الخطوات إلى فصلين أسميت أولهما بخطوات الشيطان ، والآخر بغاياته فما الذي دفعني إلى مثل هذا الفصل ؟

يطوي هذا التعبير القرآني " خطوات الشيطان " تحت لوائه عدة مراحل تبدأ بوسائل الشيطان في إيقاع الناس في الشر ، ثم إذا وقع الإنسان في الشر حصل الزلل ، ثم اكتُسِبَ الإثم ، ثم يتدرج الإنسان في الآثام حتى ينتهي إلى الهلاك ، فهذه ثلاثة معالم رئيسة على درب الخطوات : غواية فزلل فإثم ، وانطلاقاً من هذه المعالم الثلاث قسمت الخطوات إلى فصلين ، فما كان قبل الزلل من الخطوات كان خطوات خالصة عن الغايات إذ لم يُتَحصّل فيها الإثم بعد ، وهذا هو الفصل الخاص بالخطوات التي هي وسائل الغواية ، أما ما كان من خطوات بعد الزلل فقد صارت في حد ذاتها غايات للشيطان يريدها لأعدائه حيث

ترتب عليها إثم ، وقد يقف إنسان عند غاية واحدة من هذه الغايات فـلا تكـون خطوة إلى غاية أخرى تتبعها فتخرج عن كونها خطوة إذ هي عند هذا الإنـسان بعينه نهاية الطريق ، وقد تكون هذه الغاية عند آخر خطوة إلى غاية أخرى ثـم ثالثة ورابعة وهكذا ، أو قد تتوقف عند حد أسبق وهكذا ، فهذه الخطوات التـي تلبست بالإثم لا ضابط لكونها خطوات تُسلِم إلى ما بعدها ، أو لكونها غايات تقف عند حد معيّن ، ولهذا السبب فصلت تلك الغايات المجردة أو المرحلية في فصل مستقل لأبيّن الغايات التي يسعى الشيطان إلى إيقاع أعدائه فيها بـدءاً بأيـسرها وانتهاءً بأخطرها .

وقد لاحظت عدم وضوح هذا المفهوم لدى من اطلعت على كتـابتهم فـي ذكر خطوات الشيطان فقد أدخلوا فيها ما ليس منها ، وأخرجوا منها ما هو فيها فهذا الدكتور عمر الأشقر يورد مبحثاً عن خطوات الشيطان يجعل فيـه ضـعف الإنسان وحب الدنيا من خطوت الشيطان [1]، مع أن هذين الأمـرين همـا مـن مداخل الشيطان إلى النفس – كما سنرى لاحقاً إن شاء الله - ، ثم هو في نفـس المبحث يصنف بعض الخطوات المتضمنة للغايات على أنها وسائل للغواية فقـط فيذكر من ذلك الخمر ، والغناء وغيرها .

التدرج في الغواية :

أظهرت لنا القصة السابقة – قصة عابد بني إسرائيل – ذلك المنهج الذي يتعامل به الشيطان مع البشر ، إنه منهج التدرج البطيء ، لا بل شديد البطء الذي يأخذ الشيطان في الإنسان من حيث لا يدري يقول تعالى واصفاً تواجد الـشيطان مع الإنسان في كل طريق لا يسأم من إغوائه وذلك على لسان إبليس : " ﴿ **ثُـمَّ لآتِيَنَّـهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ**

---

[1]- انظر : عالم الجن والشياطين – لعمر الأشقر – ص 84 ، 108

شَاكِرِينَ ﴾ [1] وعن الحسن بن صالح يقول : " إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير ، يريد به باباً من الشر " [2] .

ومن المشاهد في حياة الإنسان أن الانحراف عن السنن الحميدة درجات : فمنه الزلة العارضة ، والنزوة الطارئة ، والخطأ غير المتكرر ، والذنب غير المقرون بالاستهتار أو الإصرار ، ثم كبريات الخطايا والآثام مما يشكل مخالفة خطيرة لأوامر الله ونواهيه ، وضرراً جسيماً بنظام المجتمع وسلامته [3] .

وإياك أن تتخيل أن تلك الخطوات بهذه البساطة التي وصَفتُ لك ، بل هي متشعبة متشابكة لا تقتصر على مستوى الوقوع في الحرام فقط بل تتعداه إلى تلويث الفكر الإنساني ، وإفساد الفطرة السليمة ففي ظل حزب الشيطان ينجح أعضاؤه وأتباعه في الوصول إلى قمم المجالات المختلفة إن كانت أدبية أو علمية ، وفي مجال الأدب بالذات وتخصصاته المتنوعة تبرز أسماؤهم وتفرض نفسها على المجتمع ، وينشأ الطفل ويكبر حتى يصبح شاباً نافعاً مدركاً وهو لا يقرأ إلا لهم ، حتى ليكاد يجهل أي كاتب لا يسير في اتجاههم ، ويظن الشاب أن ما بين يديه هو قمة الفكر وكأنه (ليس في الإمكان أبدع مما كان) ، وبذلك يهبط المستوى وينحدر ، وينفك الرباط بينه وبين خالقه تدريجياً ، فالسموم تنساب إلى عقله مع كل كتاب يقرأه من مؤلفات تلك المجموعة الشيطانية [4] .

ولا يقتصر هذا المكر الشيطاني في التدرج والغواية على مستوى الفرد وحسب ، بل يتعداه ليصيب مجتمعات بأكملها ، فهو وحزبه يخططون بدقة وينفذون مخططاتهم بقوة تستند على سيطرتهم على منابع التوجيه ، وهم يعلمون تماماً ماهية المعركة التي يقصدون لها ، ومدى شراسة المقاومة التي ستبرز وتتصدى لهم في حالة ما إذا كشفوا عن أوراقهم مرة واحدة وهم كذلك يتبعون

---

[1] - سورة الأعراف ، الآية 17 .

[2] - أخرجه أبو نعيم في الحلية ، وقال محقق الكتاب إسناده حسن .

[3] - الدين وحماية الشباب من الانحراف السلوكي والفكري - لمحمد خلف الله أحمد – التوجيه الإسلامي للشباب – ص 186 .

[4] - انظر : حزب الله في مواجهة حزب الشيطان – لوائل عثمان – ص42 ، 43 .

خطة بعيدة المدى ، لا يشعر أحد بخطورتها لأنها لا تضرب مرة واحدة ، وإنما بالتدريج وعلى مراحل إلى أن تتم لها السيطرة الكاملة بعد أن يتشبع جيلنا بأفكارهم فيعيش الحياة التي أعدوها له ... والتي تدور حول محور واحد ، هو الابتعاد عن الله ، تماماً مثل ما قرروا تعرية المرأة ، فبدأوا أولاً بكشف شعرها ثم تقصير ملابسها شيئاً فشيئاً حتى تدرجوا إلى أن أصبح المكشوف من جسد المرأة أكثر من المستور .[1]

ولقد أتاحت هذه السلسلة الطويلة من الخطوات الموصلة إلى الهلاك بالإضافة إلى نقاط الضعف الكثيرة التي توجد في الجنس البشري ، سمحت للشيطان بأن يحقق ما توعد به من إغواء أعدائه والكيد لهم ما أُعطي إلى ذلك سبيلاً ، يقول الحارث المحاسبي : " ومعرفة عدو الله إبليس ، هو أن تعلم أن الجليل قد أمرك بمحاربته ومجاهدته ، في السر والعلانية ، في الطاعة والمعصية وتعلم أنه قد عاند الله تعالى في عبده آدم – عليه السلام – وضاده في ذريته ، تنام ولا ينام عنك ، تغفل ولا يغفل ، وتسهو ولا يسهو ، دائباً مجتهداً في عطَبك وهلكتك ، في نومك ويقظتك ... "[2] ، وليس أدل على هذه الحرب الدءوب التي لا تتوقف إلا بتوقف الحياة من قوله تعالى على لسان إبليس : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾[3] .

نظرات ولطائف في تعريف الخطوات :

لعلك ، وبعد كل هذا العرض والتفصيل ، يدور في خلدك سؤال مهمّ هو :

وما الفائدة العملية والاجتماعية التي سيجنيها المجتمع من وراء إيضاح التعريف بهذا الشكل أو بقائه كما ورد قديماً وحديثاً في كتب المفسرين ؟

---

[1]- انظر :حزب الله في مواجهة حزب الشيطان – ص 44 ، 45 .

[2]- مواعظ للإمام الحارث المحاسبي – ص 72

[3]- سورة الأعراف ، الآيتان 16 ، 17 .

أقول – وبالله التوفيق – إن هدفنا الأول في هذا البحث هو إظهار وجهة نظر القرآن الكريم في موضوع البحث ، وإبراز مكانته ، ولقد حمل هذا الكتاب الكريم القضايا المتعلقة بالشيطان على مستوى واحد من الأهمية ، فلم يعتني بما يوقع الناس فيه من آثام على حساب دواعي تلك الآثام ، بل إنه أبرز الخطورة الشديدة لتزيين حب الدنيا والخلود فيها في قصة آدم ، وهي من الخطوات الممهدة للوقوع في الإثم .

لقد أُتِي المجتمع الإسلامي على مر العصور من قَبِل تشويه المصطلحات الإسلامية ، فالمجتمع بأفراده إنما هو متلقٍ عن العلماء وأهل الفكر ، يأخذ عنهم ما ألقوه إليه فيُنْفِذوه في حياتهم ، وقد رأينا كيف عانت الأمة على مدى أكثر من قرن من الزمان من غياب المفهوم الحقيقي لمصطلح الجهاد في الإسلام ، وكيف ضربه هذا الغياب أثره السيئ على طول الأمة وعرضها ، وبنفس المقياس تحدث عن مفهوم خطوات الشيطان في المجتمع المسلم ، فقد انتشر وعلى مدى زمن طويل ، المفهوم القاصر لتلك الخطوات بأنها ما يجلب الإثم من معصية وغيرها فأدى هذا التركيز على هذا المجال فقط إلى تناسي دواعي الإثم وممهداتها في ذهن الناس ، فأصبحوا لا يكترثون بكثير من القضايا كالبعد عن ذكر الله الذي يجلب وساوس الشيطان ، وكالتهاون في الاختلاط مع النساء الذي يفتح باب الشيطان ، وكالإسراف في الحلال والاستزادة من الدنيا بما لا يلزم مما يفتح أبواب حب الدنيا والانجراف إلى المعاصي بسبب حبها ، وكالتهاون في الضرب على يد الظالم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يسمح بانتشار الرذيلة وتلويث الجو الإسلامي بما يجذب شباب الأمة إلى الهاوية وهكذا من مثل هذه التهاونات والتساهلات التي كان أساسها – فيما أرى – قصور التعريف لخطوات الشيطان ، وغياب وجهة النظر القرآنية الشاملة في هذا الباب .

ولذا فإن حمل هذا المصطلح القرآني على ما أراده الله منه ، وهو أن يشمل كل ما من شأنه أن يوقع في الإثم من بواعث ودواعي ومداخل بالإضافة إلى الآثام صغيرها وكبيرها ، وإظهار أن كل ذلك في الخطورة بمكان واحد – ولا أقول هنا أنه في الوزر بمكان واحد ، فالخطايا تتفاوت بقدر آثامها بل إن

الإنسان إذ صرف الوساوس أُجر على ذلك – بل أقول أنها في خطورتها علـــى الفرد والمجتمع سواء فيجب أن يوضح للناس مثل هذا الأمر ، فيصبح الإنـــسان شديد الحساسية لخطوات الشيطان من مبدأها ، وبذلك نحقق باباً مهماً في حربنـــا مع أهل الباطل وهو باب سد الذرائع ودرأ الشبهات .

المبحث الثاني

وسائل الشيطان ومداخله إلى النفس

وبعد هذا البيان لماهية خطوات الشيطان وخطورتها على البشر ، نعرض الآن لتلك الوسائل التي يستعملها الشيطان في إلقاء تلك الخطوات في النفس وجر الإنسان إليها ، وهو في ذلك يتنقل بين الخطاب الخفي للنفس والتي لا تشعر بــه إلا من طرف خفي ، وبين القول المباشر الصادر من شياطين الإنس ، أو مــن بعض شياطين الجنّ ممَّن يتشكلون على هيئــة الإنسان فيكلمونه وهذا قليل جداً – كما سنرى – بالنسبة للطريق الأول ، ثم سنعرض للمداخل والمكــامن البــشرية التي يتسلل الشيطان من خلالها إلى نفس الإنسان فيصيب منه ما يريد .

المطلب الأول : وسائل الشيطان في خطاب الإنسان :

أولاً : الوسوسة :

وردت لفظة الوسوسة مقترنة بالشيطان في القرآن ثلاث مــرات ، ثنتــان منها في قصة إبليس مع آدم ، وثالثة في وسوسة الشيطان العامة للبشر ، وقبل أن نخوض في تعريف الوسوسة عند أهل العلوم نذكر المعنى اللغوي لها :

الوسوسة عند أهل اللغة :

الوسوسة والوسواس : الصوت الخفي من ريح . والوســواس : صــوت الحليّ ، وقد وسوس وسوسة ووِسواساً : بالكسر . والوسوسة والوسواس : حديث النفس . يقال : وسوست إليه نفسه ، والوَسواس بــالفتح الاســم مثــل الزّلــزال والزَّلزال ،وسوس الرجل : كلمه كلاماً خفيّاً .وسوس : إذا تكلم بكلام لم يبينه[1] .

هل الوسوسة من الخطوات ؟

أكثر من تحدث عن خطوات الشيطان من العلماء أدرج الوسوسة فيها ، بل وترد هذه الكلمة تقريباً في كل ما يتعلق بالشيطان مهما كان الأمر قريباً مــن

[1]- لسان العرب – لابن منظور – ج 6 – ص 254 ، 255 .

الوسوسة بمعناها الحقيقي أو بعيداً عنه ، ونحن في بحثنا هذا – كمـــا تعهـــدنا – نسوق الحقيقة القرآنية التي تنطق بها الآيات – بقدر طاقتنا البـــشرية - بغـــض النظر عما قيل وعما يقال إذا كـــان بعيداً عن تلك الحقيقة القرآنية ، وتعال بنـــا نتدبر آيات الله عز وجل لنرى موقع الوسوسة من الخطوات :

يقول تعالى : ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى** ﴾ [1] فالسياق هنا يذكر الوسوسة أولاً ، ولكنه يواصل بيان ما حملته تلك الوسوسة وهو قوله لآدم : **(هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى)** فليست الوسوسة أبداً هي هذا القول الذي به بدأت خطوات الشيطان مع آدم ، بل هي الوسيلة التي من خلالها وصل هذا القول إلى آدم ، وقد حُذِف هذا القول فـــي موضـــع الأعـــراف حيـــث يقول تعالى : ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ...** ﴾ [2]ف(ل) التعليل هنا (ليبـــدي) جـــاءت لتبيّن علة الوسوسة ومراد الشيطان ، ولكنه حذف القول الموضح للوسوسة هنـــا وأظهره في سورة طه، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً ، أما الموضع الثالث الـــذي ذكرت فيه الوسوسة وهو ﴿ **مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْـــوِسُ فِـــي صُدُورِ النَّاسِ** ﴾ [3] فيجلي فيه حرف الظرفية (في) كيفية الوسوسة وأنها وسيلة لإلقاء الخطوات ، فهو يوسوس فيرسل ما يريد من كلام وخواطر إلـــى الـــصدر عبر هذه الوسوسة ، والحق أن استخدام كلمة الوسوسة له خصيصة ذات دلالـــة مميزة فليس خطاب الشيطان في النفس مباشراً يلقي خلاله كلماتـــه مـــن تـــزيين وتسويل وتمنية إلى عقل المتلقي ، بل هي همسات خفية يسميها علمـــاء الـــنفس خواطر تجد طريقهـــا إلى النفس دونما شعور من المتلقي فتتسلل إلـــى بواعـــث خفيـــة داخلـــه وتخاطبـــه من أعماقـــه ولـــذا يسميها علمـــاء الـــنفس أحيانـــاً بحديث النفس .

---

[1]- سورة طه ، الآية120

[2]- سورة الأعراف ، الآية 20

[3]- سورة الناس ، الآيتان 5 ، 6 .

تعريف الوسوسة: وكيفيتها

الوسوسة صفة ملازمة للشيطان ، لا تفارقه في كل حالاته لذا فقد سمي بها (الوسواس الخناس) كما وصفه الحق سبحانه في سورة الناس يقول ابن عباس في هذه الآية : " الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سهى وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس "[1] وقد منع بعض المتكلمين والفلاسفة الدخول الحقيقي للشيطان في جوف الإنسان كي يلقي إليه بالوسوسة ، ولا يُلتفت إلى ذلك إذ إنه من الثابت في الصحيح أن الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم ، فقد أخرج البخاري عن صفية بنت حيي قالت " كان رسول الله معتكفا فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقلبني وكان مسكنها في دار أسامة ابن زيد فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي أسرعا فقال النبي على رسلكما إنها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يا رسول الله قال إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءا أو قال شيئا" [2]

يقول الألوسي : " ولا مانع عقلاً من دخوله (أي الشيطان) في جوف الإنسان ، وقد ورد السمع به كما سمعت فوجب قبوله والإيمان به ، ومن الناس من حمله على التمثيل وقال في الآية : إنها لا تقضي الدخول كما ينادي عليه البيان الآتي . وقال ابن سينا : الوسواس القوة التي توقع الوسوسة وهي القوى المتخيلة بحسب صيروريتها مستعملة للنفس الحيوانية ... ونحوه ما قيل إنه القوة الوهمية فهي تساعد العقل في المقدمات ، فإذا آل الأمر إلى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه ، ولا يخفى أن تفسير كلام الله تعالى بأمثال ذلك من شر الوسواس الخناس " [3] ، ويصف القاضي بدر الدين الشبلي كيفية وقوع تلك الوساوس في ضوء تفسيره لسورة الناس فيقول : " وقوله ﴿ **يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ**

---

[1]- الدر المنثور – للسيوطي – ج 8 – ص 694 .

[2]- موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق – باب : صفة إبليس وجنوده – ص 265 – ح 3281 .

[3]- روح المعاني للألوسي – ج 6 – ص 512 .

النَّاسِ ﴾ [1] صفة ثالثة للشيطان فذكر وسوسته أولاً ثم ذكر محلها ثانياً في صدور الناس ، وتأمل السرّ في قوله : **(يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ)** ولم يقل : في قلوبهم فالصدور هي ساحة القلب وبيته ، فمنه تدخل الواردات عليه فتُجمع في الصدر ثم تلِج في القلب فهو بمنزلة الدهليز ، من القلب تخرج الأوامر والإرادات إلى الصدر ثم تتفرق على الجنود ، فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته فيلقي ما يريد إلقاءه إلى القلب ولهذا قال تعالى : ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ** ... ﴾ [2] ولم يقل فيه والله أعلم " [3].

آراء علماء النفس الإسلامي في معنى الوسوسة :

ويسهب علماء النفس الإسلامي في وصف خواطر الشيطان ، وأرى هنا أن أسوق طرفاً من هذا الوصف لما له من دور في تجلية كنه هذه الخطرات ، فمما يورده الأستاذ حسن الشرقاوي : " الخاطر هو خطاب يرد على النفس ، شيطاناً كان أو ملاكاً... وسبب التميز بين الخاطر راجع إلى حال النفس ... إذ أن سبب غلبة الخواطر المذمومة ، انشغال النفس بحظوظها وشهواتها وأهوائها فترد عليها الوساوس الشيطانية التي تحجبها عن الحقائق وتحسّن لها الأعمال والأفعال المستقبحة وتشغلها باللذات التي تطلبها ... " [4] .

ويقول الأستاذ محمد خليفة :" وإنه ليجري مجرى الدم في العرق حتى يبلغ القلب فيخنس حتى يرى غفلة من الإنسان عن ربه – وما أكثر غفلات الإنسان – فيركب خواطره ، ويَسْبَح بها بين الذكريات والأحلام لترتع في لذائذ الشهوات ، وتلهث المشاعر وراء الخواطر فإذا وصل الشيطان إلى ما يريد ضحك من أعماقه لأنه أضل ذلك الإنسان عن صراط الله المستقيم "[5] .

---

[1]- سورة الناس ، الآية 5 .

[2]- سورة طه ، الآية120

[3]- غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة – لبدر الدين الشبلي – ص 217 .

[4]- نحو علم نفس إسلامي – لحسن الشرقاوي – ص 95.

4- مجلة الأزهر – الاستعاذة في القرآن الكريم – لمحمد خليفة – ص 161 - 6/ 1973 .

هل تقتصر الوسوسة على شياطين الجن ؟

كل ما سبق من وصف للوسوسة يتعلق بشياطين الجن ، فهم مَن لديهم القدرة على الجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق ، وهم مَن يجثم على قلب الإنسان كما ذكر ابن عباس ، ولكن هل يوسوس شيطان الإنس ؟ من البديهي أن شياطين الإنس لا يستطيعون شيئاً مما سبق ، ولا ينطبق عليهم المعنى المباشر للوسوسة ، التي هي حديث النفس والهمس فيها ، بل حديثهم لغيرهم مباشر واضح وبعد كل ذلك نقف ، أمام قوله تعالى ﴿ **مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾ [1] فالآيات صريحة في أن الوسواس الخناس هو من الناس كما هو من الجِنة ، فوسوسة الإنس لبعضهم ثابتة إذاً ، ولكن كيف تكون ؟

وقد كفانا الأستاذ عبد الحمن حبنكه الميداني مؤنة الإجابة عن هذا السؤال حيث يقول :" وقد وُصف الشيطان بأنه خناس ، لأنه يخنس كلما ذكر العبد ربه ... كذلك يفعل شياطين الإنس ، بل شياطين الإنس أشد خطراً واعظم ضرراً من شياطين الجن ، فشيطان الإنس يوسوس بالأقوال التي تمرّ عن طريق الفكر ، حتى تصل إلى مراكز الانفعالات والعواطف والشهوات والأهواء في الصدر ، وحين يستجيب الإنسان بإراداته إلى هذه الوساوس فإنه تُنتِج سلوكاً منحرفاً يجلب الشر والضر للإنسان "[2].

الوسوسة والإرادة :

لم يكتف شياطين الجن وشياطين الإنس بالوسوسة في صدور أعدائهم وما تحدثه من ضرر كبير في قلب من ابتعد عن تحصينه بالإيمان ، بل إن شياطين الإنس خاصة أكسبوا تلك الوسوسة لباس الرهبة والتخويف فهذا

1- سورة الناس ، الآيات4، 6 .

2 - معارج التفكر – للميداني – ج 2 – ص .

فرويد [1] كبير شياطين الإنس في علم النفس الحديث يرى أن " الوساوس تطلـــق على فكرة أو مجموعة أفكار تفرض نفسها على لا شعور المريض مخالِفة إرادته ورغبات نفسه ، حتى إن المريض النفسي يستطيع أن يتعرف على شـــذوذ هـــذه الفكرة بل ربما يشكو منها ... وقد كان المرضى الذين حللتهم يتمتعون بـــصحة نفسية جيدة حتى عرضَت لحياتهم النفسية حالة لا تطاق ، أي حتى واجـــه الأنـــا لديهم خبرة أو تصور أو عاطفة أثارت انفعالاً من العنف جعل الـــشخص يقـــرر نسيانه لأنه فقد الثقة في قدرته على إزالة التناقض بين التصور المؤلم والأنـــا أي أنه عجز عن دفع التصور عن طريق عمل الفكر فعمد إلى أن يتعامل معه وكأنه لم يحدث على الإطلاق "[2] وفي تعليقه على هذه القصة يقول صاحب الكتاب : " فالوسواس بهذا المعنى عند علماء النفس حالة نفسية قهرية تبدو في صورة فكرة متصلبة أو شعور متسلط أو اندفاع إجباري للقيام بعمل معين " [3] .

وقد حارب علماء النفس والمفكرون المسلمون هذه الفكرة الشيطانية التـــي ترمي إلى جعل الإنسان منقاداً للشيطان ، وبيَّنوا أن الوسواس لم يكن أبداً ليقهـــر

---

[1] - ولد سيجموند فرويد في 6 مايو 1856م في مدينة فريبورج بمقاطعة مورافيا بتشيكوسلوفاكيا الحالية من والدين يهوديين.

- استقرت أسرة أبيه في "كولونيا "بألمانيا زمناً طويلاً، نشأ يهودياً، وأصدقاؤه من غير اليهود نادرون إذ كان لا يأنس لغير اليهود ولا يطمئن إلا إليهم. دخل الجامعة عام 1873م وكان يصر على أنه يرفض رفضاً قاطعاً أن يشعر بالدونية والخجل من يهوديته. لكن هذا الشعور الموهوم بالاضطهاد ظل يلاحقه على الرغم من احتلاله أرقى المناصب ، انضم عام 1895م إلى جمعية (بناي برث) أي أبناء العهـــد وهذه التي لم تكن تقبل في عضويتها غير اليهود، وكان حينها في التاسعة والثلاثين من عمـــره، وقـــد واظب على حضور اجتماعاتها على مدى سنوات، كما ألقى فيها محاضراته عن تفسير الأحلام ، أسس في فيينا مركز دائرة علمية، واتصل به أناس من سويسرا وأوروبا عامة، مما أدى إلى انعقاد المؤتمر الأول للمحللين النفسيين سنة 1908م إلا أن هذه الدائرة لم تدم طويلاً إذ انقسمت على نفسها إلى دوائر مختلفة ، وقد بنى أسس مدرسته النفسية على أمور ثلاث : الجنس والطفولة والكبت ، غادر إلى لندن ليقضي أيامه الأخيرة فيها مصاباً بسرطان في خده وقد أدركته الوفاة في 23 سبتمبر 1939- موقـــع موسوعة العقائد والأديان على شبكة الإنترنت – www.aklaam.net/ency/encfroid.htm .

2 - نحو علم نفس إسلامي – لحسن الشرقاوي – ص 127 .

3- المرجع السابق – ص 128 .

الإنسان أو ليسلب إرادته ، يقول الميداني : " والإنس والجن لهم آثار ذات شرّ ، وهم يتحركون ويتصرفون في الكون بإرادات حرّة مختارة منحهم الله – عز وجل – إياها ، ومكّنهم من تنفيذ بعض مراداتهم ممّا يدخل ضمن استطاعة قدراتهم ، فيما سخر لهم في كونه ، فالإنس قد يمكرون ويكيدون ويوسوسون بأسباب خفية أو ظاهرة ، لإنزال الشرّ أو الضرّ أو الأذى ، فيمَن يكيدونه ، وهذا من لوازم التخيّير والتمكين والتسخير ، للابتلاء في ظروف الحياة الدنيا . والجن قد يفعلون مثل ذلك ، بأسباب خفية مكّنهم الله منها ، وسخر لهم ، غير أسباب الإنس ، وهذا من لوازم التخيّير والتمكين والتسخير . والشياطين وهم كفرة الجن ومردتهم قد يوسوسون ، ويُغرون ، ويسوّلون إطماعاً بالباطل ، لدفع النّاس بوساوسهم ، وإغراءاتهم وتسويلاتهم إلى الكفر والفسوق والعصيان وهذا من لوازم التخيّير والتمكين والتسخير " [1].

ويفصّل الدكتور حسن الشرقاوي في علاقة الوسواس بالإرادة من وجهة النظر الإسلامية فيقول : " ينظر أئمة الإسلام إلى الوسوسة إلى أنها نتاج حديث النفس وأمانيها وأحلامها في الشهوات واللذات ، توقد نارها الغفلة ونسيان الحق ، ويزيد سعيرها الشيطان ، وذلك بتحسين الأفعال والأعمال ، وما يفتأ يزيد لهيبها حتى ينحرف الموَسوَس إلى الغواية والضلال ويرتكب أفحش الأعمال ويسقط في النهاية صريع الفتنة ، وإذا اعتاد الإنسان على الغفلة أصبحت الوسوسة طبعه الغالب واستمرأ ذلك الطريق ... [2].

وقد أفصح اللعين عن هذه الحقيقة التي تخبط فيها كثير من أتباعه في الدنيا وذلك على رؤوس الأشهاد يوم القيامة حيث ينقل عنه رب العزة قوله للناس : **﴿ ... وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ... ﴾** [3] ، فهذا براء صريح من وجود أي سلطان أو قوة قهرية

1- معارج التفكر – للميداني – ج 2 – ص 46 ، 47 .

2- انظر :نحو علم نفس إسلامي – لحسن الشرقاوي – ص 131 .

3- سورة إبراهيم ، الآية22

أو خفية للشيطان على الإنسان مهما كثرت عليه الوساوس ، بل إن الإنسان هو من يُسلِم نفسه لإبليس ووساوسه بالابتعاد عن حياض الله سبحانه وتعالى والعوذ به.

علاج الوساوس :

ويعالج علم النفس الإسلامي مرض الوسواس بغير الطرق المستخدمة في علم النفس الحديث ، فالأصل في الوسواس عند الأئمة أنه شيطان رجيم يدخل إلى صدر العبد الذي يوسوس له . فإذا ذكر الله خنس الشيطان وخرج من صدره ... والشيطان يزيّن للعبد طريق الضلالات ويحسن له سبيل العصيان ويخدعه بوسوسته ، إلاّ أنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك لقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ** ... ﴾ [1] [2] .

ثانياً : الإيحاء :

الإيحاء لغة :

(وحي) : الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك ، فالوحي : الإشارة ، والوحي : الكتاب والرسالة ، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان [3] .

وقد ورد الوحي مرتبطاً بالشيطان وأوليائه في كتاب الله في موضعين ، يقول سبحانه وتعالى في أولاهما : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإنس وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً** ... ﴾ [4] .

أما الموضع الثاني فقوله تعالى : ﴿ ... **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ** ... ﴾ [5] " أي : يلقي بعضهم إلى بعض القول المزيّن

1- سورة ق ، الآية 16 .

2- انظر : نحو علم نفس إسلامي – لحسن الشرقاوي – ص 131 .

3- معجم المقاييس في اللغة – لابن فارس – ص 1085 .

4- سورة الأنعام ، الآية 112 .

5- سورة الأنعام ، الآية 121 .

المزخرف ، وهو المزوّق الذي يغترّ سامعه من الجهلة بأمره . " [1] ، وقد أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في الآية : " قال إن للجنّ شياطين يـضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم ، قال : فيلقى شيطان الإنس وشيطان الجن ، فيقول هذا لهذا : أضْلِله بكذا وأضْلِله بكذا ، قال : فهو قوله ﴿ **يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً** ﴾ " [2] ، " عن عكرمة عن أبي زميل قال : كنت قاعداً عند ابن عباس ، وحجَّ المختار بن أبي عبيد ، فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس ، زعم أبو إسحاق أنه أوحي إليه الليلة . فقال ابن عباس : صدق ، فنفرت وقلت : يقول ابن عباس صدق . فقال ابن عباس : هما وحيان ، وحي الله ، ووحي الشيطان ، فوحي الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ووحي الشيطان إلى أوليائه ثم قرأ ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ** ﴾ " [3] .

وقد تفاوتت أقوال علماء اللغة والتفسير في تعريف كنه الوحي بين الإيماء والإشارة إلى القول المباشر ، وهذا ما يظهر من تعريف الكلمة عند ابن فارس حيث يقول : " في خفاء أو غيره " ، وقد ذهب الراغب إلى أن وحي الشيطان خاصة يقصد به الوسوسة حيث يقول : " وقوله وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم فذلك بالوسواس المشار إليه بقوله من شر الوسواس الخناس" [4] ، أما أبو السعود فقد ارتقى مرتبة في ذلك فجمع في معناه بين الوسوسة والقول السريع يقول : "والوحي عبارة عن الإيماء والقول السريع أي يلقى ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض كل من الفريقين إلى بعض آخر " [5] ، وقد جلّى المناوي في التعاريف هذا الوحي فبيّن أنه لا يكون بالكلام بل بما يشابهه من إشارة أو كتابة فيقول : " الإيحاء إيقاع المعنى في النفس بخفاء وسرعة ولتضمن السرعة قيل أمر وحي وذلك بكون الكلام على طريق الرمز والتعريض

1- تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 6 – ص 143 .
2- تفسير القرآن العظيم – لابن أبي حاتم – ج 4 – ص 1372 .
3- تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 6 – ص 155 .
4- المفردات في غريب القرآن - الأصفهاني ج1/ص4515 .
5- إرشاد العقل السليم – لأبي السعود – ج 3 – ص 175 .

وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكتابة وعلى هذه الأوجه يوحي بعضهم إلى بعض " [1] .

نظرات ولطائف في وحي الشيطان :

لقد مرّ علماؤنا الأفاضل مروراً سريعاً على هذا الباب ، ولم يتعدَّوا فيه المعنى اللغوي مع نوع من الإبهام في ذلك نشأ من تفاوت المعاني اللغوية التي حملتها هذه الكلمة ، والحق أن هذا الباب ، وهذا السبيل هو باب كبير ، وسبيل واسع من وسائل الشيطان في إلقاء الغواية إلى أعدائه ، وهذا الباب يدور حول محورين ، تكلم الأكثرون عن الأول ، ولم يتكلموا عن الثاني – فيما أعلم - :

الأول : هو وحي الشيطان إلى الكهنة والسحرة والمتنبئين ، وهذا ما نلمسه في قصة تنبؤ المختار ، وما قاله ابن عباس عن ذلك بأنه وحي الشيطان إليه ، ومنه الوحي إلى الكهان بما يسترقه الشياطين من السمع ، وذلك بإلقاء ذلك الكلام في النفس بتمتمات وإشارات خفيّة .

الثاني : ويدور هذا المعنى الثاني للإيحاء حول محور المعنى اللغوي لهذه الكلمة ألا وهو إلقاء معنى ما دونما خطاب مباشر ، ومن تلك الطرق في الإلقاء كما رأينا الرسالة والكتابة ، ومن هنا نفهم أن الوحي يكون بالتقاط معانٍ وكلام وفكر من كتب ومؤلفات سبق كتابتها ، وإذا علمنا أن شياطين الإنس خاصة اعتمدوا كثيراً على هذه الوسيلة الخفيّة في بث السموم لأدركنا خطر هذا الباب في إيقاع الناس في الغواية .

فكم من مبادئ هدامة ، وأفكار ضالة ، وسلوكيات منحرفة ، وسموم قاتلة بُثَّت عبر أدعياء الشياطين من المفكرين والأدباء ، فكتبوا من تلك السموم ونشروها في العالم ليلقاها الناس فيأخذوا من وحيها ، ويتشربوا من خبثها ، وكأنّ الشياطين يلقون ويوحون إلى هؤلاء الناس دون أن يشعروا بأنه وحي شيطان ، ولا يقتصر الأمر في هذا على وحي من زمان بعينه ، بل نجد كثيراً ممن يَدَّعون تنوير الفكر الإنساني يقتبسون من وحي الماضي والتراث ، فيجدون كتباً مُلِئت

[1]- التعاريف – للمناوي – ج 1 – ص 105 .

سموماً فيحتسوها ، فيصيروا أولياء للشيطان ، ثم يرتقون مرتبة ليصبحوا هم الشياطين الذين يضلون غيرهم ، ولقد أخبر الكتاب العزيز عن قصة في غابر الزمان على عهد سليمان ، ارتكزت فيها غواية الشيطان على هذا الضرب من الإيحاء ، وكانت نتيجتها فساد عظيم حلّ بالبشر بعد ذلك ، تلك هي قصة الشياطين وسليمان والسحر فقد أخرج الحاكم في مستدركه عن عمران بن الحارث أنه قال " بينا نحن عند ابن عباس إذ جاءه رجل فقال من أين جئت قال من العراق قال من أيهم قال من الكوفة قال فما الخبر قال تركتهم وهم يتحدثون أن عليا خارج عليهم فقال ما تقول لا أبا لك لو شعرنا ذلك ما أنكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ثم قال أنا سأحدثك عن ذلك إن الشياطين كانوا يسترقون السمع وكان أحدهم يجيء بكلمة حق قد سمعها الناس فيكذب معها سبعين كذبة فيشربها قلوب الناس فأطلع الله على ذلك سليمان بن داود فأخذها فدفنها تحت الكرسي فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال ألا أدلكم على كنز سليمان الذي لا كنز لأحد مثل كنزه الممتنع قالوا نعم فأخرجوه فإذا هو سحر فتناسختها الأمم فبقاياها مما يتحدث به أهل العراق فأنزل الله عذر سليمان فقال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر "[1] ، فهذه هي الآية ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ...** ﴾[2] "واتبعوا أي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك إن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس "[3] ، فهذه أكاذيب واختلاقات افترتها الشياطين وكتبتها أولياؤهم من الكهنة فحبسها سليمان فلما مات

1- المستدرك على الصحيحين – للحاكم – ج 2 – ص 291 – ح 3050 ، قال الذهبي في تلخيص المستدرك : صحيح .

2- سورة البقرة ، الآية 102 .

3- الكشاف – للزمخشري – ج 1 – ص 198 .

استقى اليهود وحي الشرّ من خلالها ونشروها بين الناس فقرءوها وكانت النتيجة خروج السحر – ذلك البلاء العظيم – إلى الوجود ، وذلك كله منشأه من تلك الإيحاءات المكتوبة ونسأل الله العفو والعافية من تلك السموم ومن ذلك الإيحاء .

ثالثاً : الخطاب الصريح :

هذه هي الطريقة الثالثة التي يوصل الشيطان من خلالها صوته بالباطل والإغواء إلى أعدائه ، القول الصريح المباشر بالألفاظ الواضحة ، وهذه الوسيلة تكاد تكون منعدمة بين شياطين الجنّ الذين يغوون الإنس وبالعكس إلا بعض الحالات النادرة والتي يتشكل فيها شيطان الجنّ على هيئة الإنس ، ومن ذلك ما ورد في كتاب الله فيسياق الحديث عن غزوة بدر يقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (1) فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء إبليس في جند من الشياطين ومعه راية في صورة رجال من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك ابن جعشم ، فقال الشيطان لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، وأقبل جبريل عليه السلام على إبليس وكانت يده في يد رجل من المشركين ، فلما رأى جبريل انتزع يده وولى مدبراً هو وشيعته ، فقال الرجل يا سراقة إنك جار لنا ، فقال إني أرى ما لا ترون ، وذلك حين رأى الملائكة ، إني أخاف الله والله شديد العقاب ، قال ولما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركين ، فقال المشركون وما هؤلاء ؟ غر هؤلاء دينهم ، ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم (2)، فهذا البيان من السنة النبوية يوضح أنّ إبليس تشكل على صورة إنسي كان معروفاً لدى المشركين كي تكون غوايته لهم وتغريره بهم أوقع وآكد .

---

[1]- سورة الأنفال ، الآية 48

[2]- الدر المنثور – للسيوطي – ج 4 – ص 77 ، 78 .

أما الأعم الأغلب في مثل هذه الوسيلة فهو إغواء الجنّ للجـنّ ، وإغـواء الإنس للإنس ، ففي مثل هذه الحالة يكون الخطاب المباشر أيسر وأسـرع فـي حصول المراد – وإن كان لا يوازي الوسوسة في قوته وتأثيره على الـنفس - ، وقد ذكرنا في حديثنا عن الوسوسة أنّ هذه الوسوسة يمكن أن تقع مـن شـياطين الإنس ، وهذه الوسيلة الثالثة هي المستخدمة في هذا الباب في إثارة الوساوس في عقول الآخرين .

وكما ذكرنا في شأن الوسوسة وخطورتها ، وكمـا هـو شـأن الإيحـاء وخطورته ، فإنّ هذه الوسيلة الثالثة لا تقل خطورة عن سابقتيها فكم من نـدوات تعقد ، وكم من محاضرات تعطى ، وكم من خطابات تلقى ، وكم مـن غـسيل للعقول يدبر ، كل ذلك في سبيل نشر الباطل والغواية بين الناس ، وكل ذلك عبر القول المباشر الذي تنقل من خلاله خطوات الشيطان الموصـلة إلـى غـضب الرحمن والبعد عن الجنان .

وقد ذكر الذكر الحكيم كثيراً من تلك الأمثلة التي كانت الغواية فيها عـن طريق تردُّد الأقوال وتكرارها ، فهذا الظالم يعضُّ على يديه ندماً على مـا كـان منه من سماع واتباع لدويٍّ كلام خليله في الدنيا ، وهـو الـذي يـصفه الحـق بالشيطان ، يقول تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَـذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً** ﴾ [1] ، فهذه الآيات نزلت في أبـي معيط وخليله فقد أخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما " ان أبامعيط كان يجلس مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة لا يؤذيه وكان رجلا حليما وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش صبا أبو معـيط وقدم خليله من الشام ليلا فقال لامرأته ما فعل محمد مما كان عليه فقالت أشد مما كان أمرا أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية فقال مالك لا ترد علي تحيتي فقال

[1]- سورة الفرقان ، الآيات27-29 .

كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت قال أَوَقَد فعلتها قريش قال نعم قال فما يبرىء صدورهم ان أنا فعلت قال نأتيه في مجلسه وتبصق في وجهه وتشمته باخبث ما تعلمه من الشتم ففعل فلم يزد النبي صلى الله عليه وسلم ان مسح وجهه من البصاق ثم التفت اليه فقال إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبرا فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج فقال له أصحابه أخرج معنا قال قد وعدني هذا الرجل ان وجدني خارجا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبرا فقالوا لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليهن فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وحل به جمله في جدد من الأرض فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا في في سبعين من قريش وقدم اليه أبو معيط فقال تقتلني من بين هؤلاء قال نعم بما بصقت في وجهي فانزل الله في أبي معيط الآية " [1] وهذا إبليس يُعظِم القول على الله في معرض تنفير الجنّ من عبادته ، وهذا ما سطره الحق سبحانه وتعالى على لسان الجنّ حيث يقول : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً** ﴾ [(2)] ، فهذان مثلان أولهما في حق الإنس ، والثاني في حق الجنّ ، وقد استعمل شياطينهم في كل مثل القول المباشر في إغواء نُظرائهم ، وكتاب الله فيه من ذلك الكثير .

المطلب الثاني : مداخل الشيطان إلى النفس :

تحدثنا في المطلب السابق عن الكيفية التي يدخل الشيطان بها إلى نفس أعدائه ، ورأينا كيف كانت الوسوسة سيّد تلك الوسائل ، والتي يلقي من خلالها بخطواته لينزلق فيها العبد ، ولكن هل يلقي الشيطان بخطواته عبر هذه الوسائل بنفس الكيفية في نفس كل إنسان ؟

يختلف الناس في طبائعهم ومشاربهم وطرق تفكيرهم وما يجذبهم اختلافاً كبيراً يتراوح بين النقيضين فهذا يُفتَتنُ بالعقل ، وهذا يُجذَبُ بالعاطفة ، وثالثٌ يُؤتى من حبّ المال ، ورابعٌ من حبّ الظهور ، وخامسٌ من حبّ الخلود وهكذا ،

---

[1]- الدر المنثور – للسيوطي – ج 6 – ص 250 .

[2]- سورة الجن ، الآية 4 .

ولذا فقد تعددت واختلفت المداخل التي من خلالها يتسنّى للشيطان أن يلــج إلــى نفس الإنسان فيغويّه ، وتلك المداخل هي التي نسمّيها نقاطَ الضعف لدى الإنسان وهي في مجملها نوازع سوء وشرّ اقتضتها طبيعة الإنسان الأرضية ، فكل إنسان أو جانّ جُبِل على الخير والشرّ وفُطِر على الخير ، فمَن نازعتــه جِبِلَّتــه علــى فطرته غلبت عليه تلك النوازع السيئة وكثرت فيه نقاط الضعف وبالتالي مــداخل الشيطان وأما من نازعت فطرته جِبِلَّته فغلبتها – وذلك بالتمسك بدين الله - خَفَتَت فيه مكامن الشرّ وكادت مداخل الشيطان إليه أن تغلق .

يقول ابن القيّم واصفاً تلك المداخل : " اختار الله الإنسان من بــين خلقــه فكرّمه واصطفاه ، وجعله محلاًّ للإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والرجاء ، وابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة ، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه ... فهو (أي الشيطان) يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه ، فتميل نفسه معه ، لأنه يدخل عليها بما تحب ، فيتفق هو نفسه وهواه على العبد : ثلاثــةٌ مــسلطون أمّارون ، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم ، والجوارح آلة منقادة ، فلا يمكنها إلا الانبعاث ، فهذا هو شأن هذه الثلاثة " [1] .

وقد توسع العلماء ممن كتبوا في هذا الموضوع في سرد مداخل الــشيطان على النفس فمنهم من حدّهــا بعــدد معين ، فقد أوصلها الغزالي إلــى ثمانيــة مداخل [2] ، ومنهم من زاد على ذلــك ومنهم من أنقص ، ومنهم من لم يحِــدَّها بحد بل جعلها تشمل كل أمراض القلوب ، يقول الأستاذ عمر الأشــقر : " فــي الإنسان نقاط ضعــف كثيــرة ، هــي في الحقيقــة أمراض ، والشيطان يعمــق هــذه الأمراض في نفس الإنسان ، بل تصبح مداخلــه إلى الــنفس الإنــسانية ، ومن هــذه الأمراض : الضعف ، واليأس ، والقنــوط ، والبطــر ، والفــرح ، والعجب ، والفخــر ، والظلم ، والبغــي ، والجحــود ، والكنــود ، والعجلــة ، والطيش ، والسفه ، والبخل ، والشح ، والحرص ، والجدل ، والمِراء ، والشك ،

1- الوابل الصيب – لابن القيم –ص 21 .

2- انظر : إحياء علوم الدين – للغزالي – ج 3 – ص 960 وما بعدها .

والريبة ، والجهل ، والغفلة ، واللدد في الخصومة ، والغرور ، والادّعاء الكاذب ، والهلع ، والجزع ، والمنع ، والتمرد ، والطغيان ، وتجاوز الحدود ، وحب المال ، والافتتان بالدنيا ... " [1] .

النظرة القرآنية :

هذه هي نظرة العلماء إلى مداخل الشيطان ، نظرة متوسعة مفصلة مسهبة وحيث إن بحثنا هذا هو بحث قرآني ، يرتكز في تصوره على آيات الكتاب العزيز ، فإننا سنضرب صفحاً عن تفصيلات العلماء وإطنابهم في هذا المجال وننطلق مباشرة إلى الوجهة القرآنية فيه :

فالقرآن ، هذا الكتاب المعجز ، لا يعنى بتفاصيل الأمور ودقائقها بل يكتفي بذكر جوامع الكلم ، وقد أبرز القرآن الكريم ثلاثة مداخل للغواية ، واحداً في شأن إبليس نفسه ، وإثنين في حق آدم وحواء :

أما ما هو في حق إبليس فهو الكبر ، وما في حق آدم وحواء فهما حبّ الخلود ، وحبّ الملك ، فهذه الصفات الثلاثة هي مجمع كل صفة خبيثة تأتي بعد ذلك ، فكل ما ذكر العلماء من نقاط ضعف وأمراض قلب تندرج تحت هذه الثلاث :

أولاً : الكِبْر والعُجْب :

تلك هي الصفة التي أُتي منها إبليس أبو الشياطين ، فقد كان عابداً زاهداً ، بلغ به الحد في الطاعة والعبادة أن سُمِّي طاووس الملائكة ، ومن هذه النقطة بالذات دخل إلى نفسه العجب بنفسه والتكبر على غيره ، وهذا ما يقرره الحق سبحانه في غير آية في كتاب الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [2] .

---

[1] - عالم الجن والشياطين – لعمر الأشقر – ص 104 ، 105 ، وانظر : مجلة الأزهر – الإنسان والشيطان كارم السيد غنيم – ص 1321 – 1994 .

[2] - سورة البقرة ، الآية34

قال الفضيل بن عياض : " إذ ظفر إبليس من ابن آدم بإحدى ثلاث خصال قال لا أطلب غيرها : إعجابه بنفسه ، واستكثاره عمله ، "ونسيانه ذنوبــه وهــذا يعني أن هذه الثلاث الجامعة لأوصاف العجب هي رأس الــسوء عنــد الفــضيل بحيث أن إبليس يضمن بعدها كل عيب يحبه ، أي أن العجب أصل كل بلاء وفتنة عنده ، ويذكر الفضيل في هذا ما نقل له عن عيسى عليه السلام حين قال : " كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عبادة قد أفسدها العجب فالعمــل الــصالح ضياء ونور يتحول إلى ظلام إذا هبّت رياح العجب عليه " [1]

وقد سبق الحديث عن الكِبر في سياق هذا البحث [2] ، ولكنّا ذكرنا هنا ما يتصل منه بمداخل الشيطان إلى النفس .

ثانياً : حبُّ الخلود :

وهذه هي الصفة الثانية التي يبرزها القرآن في معرض حديثه عمّا أزلّ به إبليس آدمَ وزوجــه ، فهي إذاً إحــدى المدخلين الذين دخل منهما إبليس على آدم – عليه السلام – وزوجه ، قال تعالى : " ﴿ ... **وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾ [3] أخرج الطبري بسنده عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم " أن آدم حين دخل الجنة ورأى مــا فيهــا مــن الكرامة وما أعطاه الله منها قال لو أن خلدا كان ، فاغتنمها منه الــشيطان لمّــا سمعها منه فأتاه من قبل الخلد " [4] .

وحبّ الخلــود هنــا لا يُتَصــوّر منه اعتقاد الخلود الأبدي في الدنيا وأن لا جنــة ولا نــار ، ولكنه حبّ طول العيش في الدنيا ، وعــدم الرغبــة فــي مفارقتها [5] .

1- العوائق – لمحمد الراشد – ص 50 ، بتصرف يسير .
2- انظر : ص 24 من هذا البحث .
3- سورة الأعراف ، الآية20
4- جامع البيان – للطبري – م 5 – ج8- ص179
5- انظر : روح المعاني – للألوسي- م5 – ج 8 – ص 146 .

ثالثاً : حبّ المُلك :

ومَن أحب الخلود في هذه الأرض ، ورغب عن هجرها ، أُورِث في قلبه حبّها وحبّ التملك فيها ، والترقي في مراتب مُلكها ، ولذا جاءت الصفة الثانيـــة التي نفذ الشيطان من خلالها إلى قلب آدم – ذاك الذي كان يجهل من تلك المكائد والوساوس الكثير – فبعد أن حببه في الخلود دفع بوسواسه من خلال حبّ التملك والعلو في دنيا أحبّ الإنسان البقاء فيها يقول تعالى : ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الـــشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى** ﴾ [(1)]، فهذا مكمـــن ضـــعف لدى البشر أجمعين ، جبلوا عليه ، فمن غذاه بحبّ الخلود وطول الأمل فتح على نفسه أبواب الشيطان على مصارعها ، ومن داواه بالزهد في الدنيا وحبّ لقاء الله ، أغلق على الشيطان تلك الأبواب فردّه صاغراً .

---

[1]- سورة طه – الآية 120

المبحث الثالث
الخطوات المنهجية للشيطان

بعد أن تعرفنا على ماهية خطوات الشيطان وخطورتها علـــى الإنـــسان ، وبعد أن رأينا كيف تنتقل هذه الخطوات إلى العبد ومن أين يُـؤتى بهـا إليـه ، نتعرف في هذا المبحث على هذه الخطوات المنهجية التي يجذب بهـا الـشيطان أعداءه إلى مصائده فيوقعهم في المعصية تلو المعصية حتى ينتهي بهم إلى الموت على الكفر ولكننا سنذكر هنا – كما سبق وأن ذكرنا – تلك الخطوات التي تـسبق الوقوع في الإثم كي تكون مجردة عن الغايات الشيطانية ، فمتى وصل الإنـسان إلى الزلل الموقع في الإثم وصل إلى غاية من غايات الشيطان ، قد تكون هـذه الغاية بدورها خطوة إلى غاية تتلوها وهكذا .

المطلب الأول : تزيين الباطل وتسويله :

تزيين الباطل وتحسينه في نفس المرء هو مـن أول وأخطـر خطـوات الشيطان حيث يأخذ هذا التزيين طريقه إلى القلب والعقل عبر الوساوس ، فتحمله فيدخل عبر نقاط الضعف لدى الإنسان .

وقد استعمل الكتاب العزيز ألفاظ التزيين والتسويل للدلالـة علـى هـذه الخطوة فما هو التزيين ، وما هو التسويل عند أهل اللغة ؟

التزيين والتسويل لغة :

التزيين : الزاء والياء والنون أصل صحيح يدل على حـسن الـشيء وتحـسينه فالزّيْن نقيض الشّيْن ، يقال زيّنتُ الشيء تزيّيناً ، وازَّيَّنت الأرض وازدانـت إذا حسّنها عشبُها [1].

سوّل : السين والواو واللام أصل يدل على استرخاء في شيء ، يقـال : سَـوِلَ يَسْوَل سوْلاً ، فأما قولهم سوّلتُ له الشيء ، إذا زيّنتُه لـه ، فممكـن أن تكـون أعطيته سؤله على أن تكون الهمزة مليَّنة [2] .

---

[1] - معجم المقاييس في اللغة – لابن فارس – ص 467 .

[2] - المرجع السابق – ص 498 ، 499 .

فالكلمتان – بحسب اللغة – تجتمعان على معنى واحد هو : تحسين وتسهيل المعصية لفاعلها ، وإن كانت هناك فروق بين الكلمتين فهي فروق دقيقة تتعلق بطريقة هذا التحسين ، وعلى أيّ حال ، فالتسويل ورد مرتبطاً بالشيطان ، مرة واحدة في كتاب الله وذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ** ﴾ [1] فعن قتادة : "سوّل لهم : زيّن لهم " [2] ، وعن الحسن : " زيّن لهم خطاياهم " [3]، فالسلف هنا يساوون بين التسويل والتزيين باعتبار أن مؤداهما واحد ، ولكننا إذا نظرنا إلى المفسرين من أهل اللغة والبلاغة وجدنا عندهم زيادة تفصيل على هذا المعنى فيقول أبو السعود : " أي سهّل لهم ركوب العظائم من السَّوَل وهو الاسترخاء ، وقيل السُّول المخفف من السؤل لاستمرار القلب فمعنى سوّل له أمراً حينئذٍ : أوقعه في أمنيّته فإن السؤل الأمنية " [4] ، ويقول الطاهر بن عاشور : "والتسويل : التسهيل وتزيين النفس ما تحرص على حصوله " [5].

نلاحظ من خلال هذه الأقوال أن التسويل يتحدث عن معنىً عميق في النفس البشرية ، فالتزيين هو تحسين الباطل في نظر الإنسان فيسلكَه ، وهذا المعنى يُفهم من اللفظ اللغوي وهو الحُسن والتحسين فالتزيين قلب الأمر الشائن حسناً في عقل المرء وقلبه ، أما التسويل فهو إما من السوَل بمعنى الاسترخاء والتّمطّي ، أو من السؤل بمعنى الأمنية والطلب ، وإذا أردنا أن نبسط هذا المعنى في كلمات شارحة نقول :

ارتبطت هذه الكلمة في موضع ذِكْرها الوحيد بلفظة الإملاء والتي هي بمعنى التسويف وطول الأمل ، وهو من الأمور المحببة إلى النفس ، بل هي من مداخل الشيطان إليها ، فإذا حُبِّب طول الأمل والخلود إلى نفس الإنسان حُبِّبت إليه

---

1 - سورة محمد ، الآية 25 .

2 - جامع البيان – للطبري – م 13 – ج 26 – ص 72 .

3 - النكت والعيون – للماوردي – ج 5 – ص 303 .

4 - إرشاد العقل السليم – لأبي السعود – ج 7 – ص 99 .

5 - التحرير والتنوير – لابن عاشور – م6 – ج 12 – ص 238 .

الدنيا ، فتتنافر نفسه مباشرة مع دين الله والتزام أوامره ، وهنا يـــأتي دور هـــذه اللفظة بالتعاون مع الشيطان ، فالنفس الآن تدور بين حب الدنيا والرغبة في اتباع دين الله ، وهي حين ترضي شهواتها تشعر بالألم والتأنيب في ترك أوامـــر الله ، فيأتي الشيطان ليسهل لها ارتكاب الإثم ويُذهِب عنهـــا هـــذا التـــوتر فيـــشعرَها بالاسترخـــاء بهذا التسويل ويعطيها أمنيتها التي طلبـــت علـــى رضـــىً زائـــف واسترخاء كاذب .

وقد ورد التزيين في كتاب الله في مواضع كثيرة منها ما هو عام ومنها ما هو مقيد بالشيطان وبغيره ، وقد تحدث الألوســـي عـــن هـــذه المعـــاني حيـــث يقول : " التزيين له معانٍ : إحدها إيجاد الشيء حسناً مزيَّناً في نفس الأمر كقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ...** ﴾ [1] ، والثاني : جعله مزيَّناً من غير إيجاد كتزيين الماشطة للعروس ، والثالث : جعله محبوباً للـــنفس مـــشتَهى للطبع وإن لم يكن في نفسه كذلك ، وهذا إما بمعنى خلق الميل في النفس والطبع وإما بمعنى تزويقه وترويجه في القول وما يشبهه كالوسوسة والإغواء ، وعلـــى هذا يُبنى أمر إسناده ، فإنه جاء في النظم الكريم تارة مسنداً إلى الشيطان ، كمـــا في قوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [2] وتارة إليه سبحانه كما في قوله سبحانه : ﴿ **كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُم ...** ﴾ [3]، وتارة إلى البشر كقوله عز وجل : ﴿ **وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ ...** ﴾ [4] ، فإن كان بالمعنى الأول فإسناده إلى الله تعالى حقيقة ، وكذا إذا كان بالمعنى الثاني بناءً على المراد منه أولاً ، وإذا كان بالمعنى الثاني أو الثالث بناءً على المراد منه ثانيـــاً فإســـناده إلى الشيطان أو البشر حقيقة ، ولا يمكن إسناد ما يكون بالإغواء والوسوسة إليه

---

[1] - سورة الملك ، الآية 5 .

[2] - سورة الأنعام ، الآية 43 .

[3] - سورة الأنعام ، الآية 108 .

[4] - سورة الأنعام ، الآية 137 .

سبحانه كذلك . " [1] ، وقد توعد إبليس أعداءه بتزيين الباطل لهم ،وذلك بما أودعه الله فيه وفي أتباعه من قوى الشرّ والوسوسة يقول تعالى على لسان اللعين : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [2] " قال إبليس : بإغوائك ، وكأن قوله بما أغويتني : خرج مخرج القسم ، كما يقال : بالله أو بعزة الله لأغوينهم . وعنى بقوله : (لأزيينن لهم في الأرض) لأحسّننّ لهم معاصيك ولأحبّبنّها إليهم في الأرض ... " [3]

محاور التزيين :

ويعمل الشيطان في تزيينه العمل لأعدائه على محورين أساسيين هما : تحبيب الباطل إلى النفس ، والتنفير من الحق ، يقول ابن القيّم : " ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده ... فيزين له الفعل الذي يضرّه حتى يُخيل إليه أنه أنفع الأشياء ، ويُنفِّره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له حتى يُخيل له أنه يضرّه ... فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة ... وزيّن لهم عبادة الأصنام ، وقطيعة الأرحام ، ووأد البنات ، ونكاح الأمهات ،ووعدهم الفوز بالجنات ، مع الكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه ووضعهم ذلك في قالب التنزيه ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس ، وحسن الخلق معهم ، والعمل بقوله ﴿ ... **عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ** ... ﴾ [4] والإعراض عما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – في قالب التقليد ، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم ، والنفاق والمداهنة في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس " [5].

وقد أورد القرآن كثيراً من تلك الأمثلة التي زيّن فيها الشيطان الكفرَ والباطلَ لأعدائه فاتبعوه على ما أراد ، فهؤلاء قوم سبأ يعبدون الشمس من

---

[1] - روح المعاني – للألوسي – ج 5 – ص 220 .
[2] - سورة الحجر ، الآية 39 .
[3] - جامع البيان – للطبري – م 8 – ج 14 – ص 42 .
[4] - سورة المائدة – الآية 105 .
[5] - إغاثة اللهفان – لابن القيم – ج 1 – ص 130 .

دون الله ، فيقرر الحق سبحانه وتعالى أنّ هذه الفعلة الشنعاء إنما هي من تزيين الشيطان يقول تعالى على لسان الهدهد : ﴿ **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَـدُونَ** ﴾ [1] فالشيطان زيّن لهم ما هم فيه من الكفر ، وصدّهم عن طريق التوحيد [2] .

وفي سورة النحل يقسم الحق سبحانه على هذه الحقيقة ليؤكد لكل شاكٍّ دور الشيطان في ضلال البشر فيقول : ﴿ **تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [3] " أي حسن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان مقيمين ، حتى كذبوا رسلهم ، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند ربهم " [4] .

وفي خضم هذا التيار الجارف من تزيين الباطل ، والذي لا ينفك الشيطان عن إرساله على أعدائه ، يحمل إليهم المحور الآخر من التزيين ، وهو ليس تزييناً مباشراً للعمل ، بل هو لازم ذلك التزيين ، وهو المحور الثاني الذي ذكرناها قبيل قليل ، ألا وهو التنفير من الحق ، فصاحب الهوى وحبّ الدنيا بعيد بالضرورة عن الحق وحبه ، بل إن الشيطان يعمد في بعض الأحيان إلى بدأ رحلة الخطوات مع المؤمنين خاصة بالتنفير من اتباع الحق ، ومن إظهار الخير في غير اتباعه ، أما على وجه العموم فهو يعمد إلى تزيين الباطل أولاً مما يؤدي إلى التنفير من الحق .

تزيين الدنيا والتنفير من الحق :

ويعمد الشيطان في وساوسه إلى التنفير من الحق عن طريق تحبيب الإنسان في الدنيا ، فهذه عادٌ وثمود يضرب الله لنا المثل في مساكنهم وكيف زيّن لهم الشيطان حبها وحب الدنيا التي احتوتها يقول تعالى : ﴿ **وَعَاداً وَثَمُـودَ وَقَـدْ**

---

[1] سورة النمل ، الآية 24 .

[2] - انظر : الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 13 – ص 185 .

[3] - سورة النحل ، الآية 63 .

[4] - جامع البيان – للطبري – م 8 – ج 14 – ص 160 .

تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [1] .

وينقل الرازي عن الزجاج أحد تأويلين في قوله تعالى : ﴿ **وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ... ﴾ [2] فيقول : " اختلفوا في المراد بقوله تعالى (**فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**) وذكر الزجاج فيه وجهين : الأول : زينوا لهم ما بين أيديهم من الآخرة أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ، وما خلفهم من أمر الدنيا ، فزينوا أن الدنيا قديمة ، وأنه لا فاعل ولا صانع إلا الطبائع والأفلاك ... " [3].

وهذا التزيين للدنيا يقود إلى التنفير من الدين وأهله يقول تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا** ... ﴾ [4] فتحسين الدنيا في قلوب هؤلاء الكفار قادهم بالتالي إلى بُغض أهل الإيمان والسخرية منهم .

وقد ساق الغزالي قصة في تنفير الشيطانِ الدعاةَ عن الدعوة إلى الله ، وفي المقابل تزيين الدنيا لهم كي تصرفهم عن دعوتهم ، وأرى أنه من المفيد أن أذكر هذه القصة باختصار لنرى مثالاً حياً لتزيين العمل والتنفير من الحق .

ذكر الغزالي في الإحياء أن عابداً كان يعبد الله دهراً طويلاً ، فبلغه أن أناساً يعبدون شجرة من دون الله تعالى ، فغضب لذلك وقصد إلى الشجرة ليقطعها ، فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال : ماذا تريد ؟ قال : أريد قطع الشجرة ، فقال : تترك عبادتك لشأن ما لك فيه ، فقال : إن هذا من عبادتي ، فقاتله إبليس كي لا يقطعها فصرعه العابد وجلس على صدره ، فقال إبليس : اتركني كي أكلمك ، فتركه فقال : ما كلفك الله بهذا ، بل إن لله أنبياء لهذا الغرض ولو شاء لبعثهم لقطعها ، قال العابد : لا بد من قطعها فصرع إبليس مرة أخرى ،

---

1 - سورة العنكبوت ، الآية 38 .

2 - سورة فصلت ، الآية 25 .

3 - التفسير الكبير – للرازي – م 14 – ج 27 – ص 103 .

4 - سورة البقرة ، الآية 212 .

فعاوده التوسل ليكلمه فقال له : أنت رجل فقير لا تجد ما يعولك وتحب أن تتفضل على إخوانك ، قال نعم ، قال فارجع عن هذا ولك عليَّ أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين ، تنفق على نفسك وعيالك وأصدقائك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع الشجرة ، فتفكّر العابد فيما قال ، وقال : صدق الشيخ ، لستُ بنبيّ فيلزمني قطع هذه الشجرة ، ولا أمرني الله أن أقطعها ، فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له ، ورجع العابد إلى متعبده فبات ، فلما أصبح وجد دينارين ، وكذلك اليوم الثاني ، وأصبح الثالث والذي بعده فلم يجد شيئاً ، فغضب وقصد إلى الشجرة ليقطعها ، فلقيه إبليس ثانية على هيئة الشيخ ، فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة ، ولكن إبليس صرعه وقال : لتنتهينَّ عن هذا الأمر أو لأذبحنّك فقال له العابد : لقد غلبتني فخلِّ عني وأخبرني كيف غلبتُك أولاً وغلبتني الآن ؟ فقال : لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيّتك الآخرة فسخرني الله لك ، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك " [1].

لطائف في تزيين الشيطان :

مرّ بنا قوله تعالى : ﴿ **وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾ [2] ، في معرض الحديث عن حبّ الدنيا ، ولكننا نقف هنا وقفة تأمل وتدبر لفاصلة الآية (مستبصرين) فهي تدل على أن هؤلاء الأقوام كانوا أولي ألباب وبصائر ، وقد وهبهم الله دقة النظر والتفكير يقول الفراء : " كانوا عقلاء ذوي بصائر " [3]، ويقول الزمخشري : " وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ، ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل عليهم السلام ، ولكنهم لجوا حتى هلكوا " [4]، فهذان قومان من

---

[1] - انظر : إحياء علوم الدين – للغزالي – ج 3 – ص907

[2] - سورة العنكبوت ، الآية 38 .

[3] - تفسير البغوي – ج 3 – ص 467 .

[4] - الكشاف – للزمخشري – ج 3 – ص 458 .

أكبر وأشهر الأقوام البائدة ، يمنحهم الله العقل وسداد النظر ، فيأتيهم الشيطان من هذا الباب ، باب العقل ، فيغريهم بعقولهم فيلجّوا ويجادلوا فيهلكوا ، وما أريد أن أقوله أنّ هذا باب كبير واسع من أبواب تزيين الشيطان العمل للإنسان ، فكم من علماء ومفكريـــن وأدبـــاء سقطوا في مراتـــع عقولهم لما تركوا الاحتكام إلـــى شرع الله ، فالشيطان يأتي لمثل هؤلاء من باب تزيين قوة العقل ، ويـــدعوا إلـــى الافتتان بها ، وما تلك الأفكار الباطلة التي انتشرت في عالمنـــا اليـــوم ، أمثـــال الشيوعية ، والوجودية ، وتحرير المرأة والرأسمالية وغيرها إلا مثال حيّ علـــى فتنة العقل أهلَه بتزيين الشيطان ، فكم من مفكر غره عقله حتـــى أوصـــله إلـــى الهلاك والكفر بالله ، فهذه فتنة جرفت كثيراً من البشر في غمارها في عـــصرنا هذا ، وإنما كل ذلك من تزيين الشيطان .

أدوات التزيين :

ولا يكتفي الشيطان في تزيينه الباطل لأعدائه بمجرد تحسين الأمـــر فـــي أعينهم وعقولهم ، أو تنفيرهم مما يخالفه وهو الحق ، بل يأتي على ذلك بـــأدوات ومؤكدات ومحفِّزات يرفع بهنَّ الشكَّ عن قلوب الشاكّين ، ويزيل بهنَّ الريب عن عقول المتردّدين في سعيه إلى قلب الحقائق عندهم ، تلك الأدوات سلاح لـــصيق بإبليس وجنده مُذ بدأت رحلة الغواية والإغواء بينه وجنده من جهة وبين من نجا من براثن حزبه .

أولاً : الكذب :

ذكرنا أن التزيين هو تحسين الأمر في النفس ، وهذا التحسين يـــأتي إمـــا لتشويه صورة هذا الأمر في نفس السامع فيعيدها المزيّنون إلى أصـــلها ، وهـــذا مختص بالدعاة الصادقين ، وإما أن يقلب الصورة الحقيقية للأمر علـــى خلافهـــا وهذا هو عمل الشيطان ، وهذا العمل قائم بالدرجة الأولى على الكذب ، فلا يتأتى تزيين الشيطان بلا كذب ، فهذه الأداة هي ديدن الشيطان في كل تزيين يقوم به ، وخذ على ذلك مثالاً قرآنياً زيّن فيه الشيطان حرب المسلمين في أعين الكفـــار ، وأقام تزيينه هذا على أكذوبة هيّجها في نفوسهم المريضة يقول تعالى فـــي حـــق

مشركي بدر : ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ** ... ﴾ [1] فهذا تزيين فحواه كذبٌ ومدخله إليهم العجب والبطر الذي ملأ نفوسهم ، ألم تر أن الله وصفهم في الآية التي قبلها فقال : ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [2] ، فلمّا رأى إبليس منهم عجبهم بأنفسهم وبطرهم أتاهم من هذا الباب فزيّن لهم قوتهم ، وأكذبهم النصيحة بوسواسه في صدورهم "فحسّن لهم – لعنه الله – ما جاءوا له وما همّوا به وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس " [3]، وأينما وقعت عينك على تزيين للشيطان في كتاب الله وجدت رائده الكذب والتدليس ، وأول ذلك الكذب تزيين الشيطان الأكل من الشجرة لآدم وزوجة ، فقد أخبرهما أنهما ما نُهيا عن الأكل من هذه الشجرة إلا خوفاً من أن يكونا ملكين ، أو من أن يخلدا ﴿ ... **وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾ [4].

ثانياً : الحلف والوعد الكاذب :

وبعد أن يزين الشيطانُ الباطلَ في قلب العبد ، وينفره من الحق ، قد لا يستقر هذا التزيين في قلبه تمام الاستقرار ، فيجد في نفسه شيء من هذا التزيين ، وكأنما لم يُحبك على أشدّه ، فيلجأ الشيطان في مثل هذه الحالات إلى أداة أخرى من أدوات التزيين يزيل بها الريب عن هذا القلب ، تلك الأداة هي الوعد الكاذب والحلف له بالله .

وأول ما وقع من ذلك هو الحلف والإقسام بالله لآدم وزوجه على صدق ما زيّن لهما ، وإنما أتى بالقسم هنا لمعرفته بحال آدم وزوجه من الثقة الكاملة بالله فأتاهما من هذا الباب يقول تعالى : ﴿ **وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ** ﴾ [5]

---

[1] - سورة الأنفال ، الآية 48 .
[2] - سورة الأنفال ، الآية 47 .
[3] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 7 – ص 99 .
[4] - سورة الأعراف ، الآية 20 .
[5] - سورة الأعراف ، الآية 21 .

"وقاسمهما أي حلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين ، فإني من قبلكما ها هنـــا وأعلم بهذا المكان ، وهذا من باب المفاعلة والمراد أحد الطرفين ، وقال قتادة في الآية حلف بالله إني خُلقت قبلكما ، وأنا أعلم منكما فاتبعان أرشدكما ، وكان بعض أهل العلم يقول من خدعنا بالله انخدعنا له " [1] .

وقد فشا هذا الأسلوب الخبيث من أساليب التزيين والإغواء بين شـــياطين الإنس، فاتخذوا الحلف بالله ديدنهم في سبيل الوصول إلى ما يريدون من إغـــواء غيرهم وإيقاعهم في الضلالة ، وفي سبيل تأكيد باطلهم لغيرهم ، فهؤلاء شياطين الإنس من الكفار يكثرون من الإقسام بالله على تأكيد قضايا الباطل التي يؤمنـــون بها ، فهاهم يقسمون على قضية البعث في معرض إنكارهم لها ، وتـــزيين ذلـــك الإنكار لغيرهم يقول تعالى : ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّـــهُ مَـــنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [2] .

أما الوعد الكاذب فسلاح الشيطان في أهل الدنيا ومحبّيها ، وهـــذا الوعـــد ليس كاذباً فقط ، بل هو غَرور وخادع لمن يقع عليه ، وقد أخبر الحق ســـبحانه عن إبليس أنه سوف يعِد الناس أجمعين بالكذب والخداع ، وأخبرهم بكنـــه تلـــك الوعود ، يقول تعالى في سياق خطابه لإبلـــيس : ﴿ ... **وَعِـــدْهُمْ وَمَـــا يَعِـــدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُوراً** ﴾ [3] .

وقد سبق لنا أن ذكرنا كذب الشيطان في تزيينه للمشركين الخـــروجَ يـــوم بدر لملاقاة المؤمنين ، وقد استعان الشيطان في هذا الكذب والتزيين بوعدٍ كـــاذبٍ أطلقه للمشركين حيث قال لهم : ﴿ ... **وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ** ... ﴾ [4] " لمّا كان يوم بدر سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين ، وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم وأني جارٌ لكم ، فلمّا التقـــوا ، ونظر الشيطان إلي إمداد الملائكة فرجـــع مدبراً وقال : إني أرى ما لا ترون " [5] .

---

[1] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 6 – ص 273 .

[2] - سورة النحل ، الآية 38 .

[3] - سورة الإسراء ، الآية 64 .

[4] - سورة الأنفال ، الآية 48 .

[5] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 7 – ص 100 .

وفي نهاية الأمر ، وبعد أن يغرق الشيطان أتباعه في تلك الوعود الكاذبة فيقودهم بها إلى جهنم ، يفصح لهم عن الحقيقة المرة والتي لطالما حذرهم القرآن الكريم منها ، فيقف الشيطان في الناس يوم القيامة خطيباً يخبرهم بأنـــه وعـــدهم وعوداً كثيرة لا حصر لها ، وما صدقهم فيها من وعد ، وإنما الصدق كله كـــان عند الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْــدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُـمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَـيْكُمْ مِــنْ سُـلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَــوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ...** ﴾ [1] وقــد مرّ تفسيرهــا عند الحديث عن خــذلان الــشيطان أتباعه [2].

المطلب الثاني : الإنساء :

لا يوفر الشيطان جهداً في اقتناص كل ما مِن شأنه أن يوقع أعــداءه فـــي حبائله ، فهو – كما ذكر الحق سبحانه – يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم : ﴿ **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَــانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [3] ، ومن تلك الخطوات التـــي يعمــد إبليس وجنده على زرعها في قلب عدوّه إنساؤه الحق ، ومحاولة صــرفه عــن أوامر الله ما أمكنـــه ذلــك ، يقــول تعالـــى : ﴿ **اسْـتَحْوَذَ عَلَـيْهِمُ الـشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْـرَ اللَّهِ أُولَئِـكَ حِـــزْبُ الـشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِـزْبَ الـشَّيْطَانِ هُـمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [4] " (فأنساهم ذكر الله) : أي أوامره في العمل بطاعته ، وقيل : زواجره في النهي عن معصيته والنســيان قد يكــون بمعنى الغفلـــة وقد يكـــون بمعنى الترك والوجهان محتملان هنا " [5]، فهذا هو هدف الشيطان ، إنساء أعدائه كل ما يربطهم بطريق الخلاص من هذه الدنيا .

---

1 - سورة إبراهيم ، الآية 22

2 - انظر – ص 31 من هذا البحث .

3 - سورة الأعراف ، الآية 17 .

4 - سورة المجادلة ، الآية 19 .

5 - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 17 – ص 309 .

ويحذر تعالى من استمرار النسيان عند العبد فيصير غفلة تميت القلب ، فيخاطب الرسول – صلى الله عليه وسلم – قائلاً : ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [1] " أي : وإن أنساك الشيطان نهْيَنا إياك عن الجلوس معهم ، والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا ثم ذكرت ذلك ، فقم عنهم ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه " [2] .

في الآية إشكال :

الظاهر من سياق الآية أنها في حق النبي – صلى الله عليه وسلم - ، وإذا كان الأمر كذلك ورد إشكال على الإنساء هنا ، فالإنساء في الآية مُسندٌ إلى الشيطان وهو في حق النبي – صلى الله عليه وسلم - ، فهل يُنسي الشيطان الأنبياء ؟

هذا الخطاب في شأن النبي على سبيل الفرض لا التحقيق لوقوع ما يحذر منه تعالى إذ لا سبيل للشيطان على الأنبياء كما يقول الألوسي : " وإما ينسينك الشيطان بأن يشغلك فتنسى الأمر بالإعراض عنهم فتجالسهم ابتداءً أو بقاءً ، وهذا على سبيل الفرض إذ لم يقع ، وأنى للشيطان سبيل إلى إشغال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولذا عبر بـ(إنْ) الشرطية المزيدة (ما) بعدها "[3]

"ويجوز وقوع النسيان على النبي – صلى الله عليه وسلم – بغير وسوسة الشيطان لقوله تعالى ﴿ **وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾ [4] ، وقد وقع النسيان من آدم – عليه السلام - : ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً** ﴾ [5] ، ومن موسى – عليه السلام - : ﴿ **قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي**

---

[1] - سورة الأنعام ، الآية 68 .

[2] - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 7 – ص 285 .

[3] - روح المعاني – للألوسي – ج 5 – ص 265 .

[4] - سورة الكهف ، الآية 24 .

[5] - سورة طه ، الآية 115 .

عُسْراً ﴾ [1] ، وثبت في كتب السنة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سها في الصلاة وقال : (إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني) [2] ، وأما في تبليغ الوحي والدين المنزل من الله – سبحانه وتعالى – فإن الأنبياء معصومون عن نسيان شيء مما أمرهم الله بتبليغه من حلال أو حرام ، لقوله تعالى : ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾ [3] " [4] .

والشيطان يطمع دوماً لإيقاع أعدائه في نسيان ما أمرهم الله به ، أو ما نهاهم عنه ولو للحظة واحدة علّه يفوّت عليهم خيراً أراده الله لهم ، أو يوقعهم في شرٍّ كرهه الله لهم ، فالنسيان المذموم إذاً هو ما يكون من الشيطان بإلهاء العبد وإشغاله عن الطاعة والعبادة ، أو بإنسائه أوامر الله من حلال و حرام فيدفعه إلى ارتكاب ما نهى الله عنه فها هو يحاول جهده أن ينسي فتى نبي الله موسى – عليه السلام – حوتَهما يقول الطاهر بن عاشور : " ومع كون المنسي أعجوبة شأنها ألا تُنسى ، يتعيَّن أن الشيطان ألهاه بأشياء عن أن يتذكر ذلك الحادث العجيب ، وعلِم يوشع أن الشيطان يسوؤه التقاء هذين العبدين الصالحين ، وما له من الأثر في بث العلوم الصالحة ، فهو يصرف عنها ولو بتأخر وقوعها طمعاً في حدوث العوائق " [5].

وقد يقع الإنساء على الأنبياء فيما لا يؤثر على الوحي أو التشريع – كما أسلفنا - ، وهذا ما وقع على نبيّ الله يوسف – عليه السلام – حيث أنساه الشيطان تعليق خروجه من السجن بالمشيئة فتأخر خروجه بضع سنين ﴿ **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي**

---

[1] - سورة الكهف ، الآية 73 .

[2] - وهذا الحديث مخرّج بطوله في البخاري عن علقمة عن عبد الله : موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب الصلاة – باب : التوجه نحو القبلة – ص 34 – ح 401 .

[3] - سورة القيامة ، الآيات 16 – 18 .

[4] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 7 – ص 248 .

[5] - التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 7 – ج 15 – ص 367 .

السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [1] وقــد اختلــف المفســرون في عود الضمير في كلمة (فأنساه) هل هو إلى يوسف – إذ لم يعلق خروجه من السجن على مشيئة الله – أو إلى الناجي ، ولهم في ذلك كلام كثير ، فممن ذهب إلى أن الضمير يعود إلى الناجي ابن كثير حيث يقول : " فأنساه الشيطان ذكر ربه عائد على الناجي كمـــا قاله مجاهد ومحمد ابن إسحاق وغير واحد ، ويقال إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه بن جرير عن بن عباس ومجاهد أيضا وعكرمـــة وغيـــرهم ، وأسند ابن جرير ها هنا حديثا عن بن عباس مرفوعا قال قال النبـــي صـــلى الله عليه وسلم لو لم يقل يعني يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله . وهذا الحديث ضعيف جداً لأن ســـفيان بـــن وكيع ضعيف ، وإبراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف منه أيضاً ، وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما وهذه المرسلات ها هنا لا تقبـــل مـــن قبـــل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن والله أعلم " [2]، وقد ذهب آخرون إلى أن الضمير يعود على يوسف – عليه السلام – يقول الرازي : " وفيـــه قـــولان الأول : أنه راجع إلى يوسف والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف أن يذكر ربه ... القول الثاني أن يقال إن قوله فأنساه الشيطـــان ذكر ربه راجـــع إلـــى النـــاجي ، والمعنى أن الشيطان أنسى ذلك الفتى أن يذكر يوسف للملك حتى طال الأمر فلبث في السجن بضع سنين بهذا السبب ، ومن الناس من قال : القول الأول أولى لمـــا روي عنه عليه السلام قال رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبـــث في السجن ... واعلم أن الحق هو القول الأول ، وما ذكره هـــذا القائـــل الثـــاني تمسك بظاهر الشريعة وما قرره القائل...الأول تمسك بأسرار الحقيقـــة ومكـــارم الشريعة ومن كان له ذوق في مقام العبودية وشرب من مشرب التوحيد عرف أن الأمر كما ذكرناه ، وأيضا ففي لفظ الآية ما يدل على أن هذا القول ضعيف لأنه لو كان المراد ذلك لقال فأنساه الشيطان ذكره لربه " [3].

---

[1] - سورة يوسف ، الآية 42 .

[2] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 7 - ص 480 .

[3] - التفسير الكبير – للرازي – ج 9 – ص 116 – 118 .

والفيصل في هذا الأمر حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي ضعفه ابن كثير ، وأخذ به آخرون ، فقد ورد هذا الحديث بنحوه من طريق أخرى في صحيح ابن حبان [1]، وقد أورده الألباني أيضاً في صحيح الجامع [2]، فهذا الحديث يقرر أن يوسف – عليه السلام – نسي ذكر ربه فكان ذلك سبباً في طول مُكثه في السجن .

الإنساء في عصرنا الحاضر :

هذه خطوة ، لطالما ، أوقعت عباداً لله في شَرَك البعد عنه ونسيان فرائضه وقد تولّى كِبَر هذه الخطوة في عصرنا هذا شياطين الإنس بما لهم من دويّ عجيب على أصدقائهم ، وهم يتسللون إلى ذلك المأرب من باب الرفقة والصحبة فكم من صديق ألهى صديقه عن ذكر الله ، وأغفله عن حدوده ، وقد اتخذت هذه الظاهرة شكلاً منظماً في العقود الأخيرة ، فأُنشأت لأجلها المؤسسات والجمعيات ودور الشباب مِمَّن يعمدون إلى شغل أوقات فراغ الشباب عن ذكر الله ، وتضييعها في ما يغضب الله – عز وجل - ، فيجب على كل إنسان أن يحذر من هذه الخطوة أشد الحذر ولا ينزلق في متاهاتها ، ورائده في ذلك الرفقة الطيبة ، والبعد عن كل ما من شأنه أن يلهيه عن ذكر الله ، ولذا نوصي الشباب خاصة بعدم النشأة على مائدة الوِحدة كي لا يكونوا أكثر عرضة للانجراف في تيارات شياطين الإنس ، بل عليهم أن يلزموا الرفقة الصالحة فالمرء بإخوانه .

المطلب الثالث : التمنية والإملاء :

ويستمر الشيطان في نصب حبائله لأعدائه بخطوة تلو الأخرى ، أو بمجموعة من الخطوات معاً ، بحسب ما يقتضيه حال عدوه ، فهو يزيّن ويُنسي ، وها هو يربط عباد الله من الجن والإنس بأكذوبة كبرى هي خديعة الخلود قبل البعث ، تلك الحقيقة التي لا ينكرها أدنى الخلق في قرارة نفسه ، ولكنّ الشيطان يتخذ إلى إيقاعها في النفس سبيل التمنية وبناء الأحلام الكاذبة في نفوس الخلائق

---

[1] - صحيح ابن حبان – ج 14 – ص 86 – ح 6206 .

[2] - صحيح الجامع الصغير – ج 2 – ح 3984 .

الذين يجد إلى نفوسهم سبيله من مدخل حبّ الخلود والمُلك .

وقد وقع كثير من الخلق في شباك هذه الخطوة الشيطانية ، فأحبوا الدنيا وعملوا لها وفيها عمل الخالد الملازم لها ، وتركوا في المقابل العمل لآخرتهم ، وقد بيّن الحق سبحانه أن هذا الإملاء والتسويف هو من فعل الشيطان يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ** ﴾ [1] " (وأملى لهم) أي ومدّ لهم الشيطان في الأماني والآمال ، ومعنى المدّ فيها : توسيعها وجعلها ممدودة في نفسها أو بزمانها بأن يوسوس لهم بأنكم تنالون في الدنيا كذا وكذا مما لا أصل له حتى يعوقهم عن العمل ، وأصل الإملاء : الإبقاء ملاوة من الدهر أي برهة ، ومنه قيل : المعنى وعَدهم بالبقاء الطويل " [2] .

والشيطان – كما ذكرنا – يتبع في بلوغ هذه الغاية وتحصيلها في قلب الإنسان سبيل التمنية بالباطل ، فهو ما يفتؤ يعظِّم الدنيا في قلوب البشر ، يهيئ لهم أنها الفوز العظيم حتى ينجرفوا فيها ويقعوا في سلسلة خطواته الموصلة إلى الغفلة عن الحق ومرض القلب والكفر بالله والموت على ذلك ، وقد توعد اللعين بهذه الخطوة أن يسوم بها أعداءه فقال : ﴿ **وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُوراً** ﴾ [3] "إنهم يدعون الشيطان -عدوهم القديم – ويستوحونه ويستمدون منه هذا الضلال ، ذلك الشيطان الذي لعنه الله ، والذي صرح بنيته في إضلال بني آدم إلا المخلصين منهم ، وتمنيتهم بالأمنيات الكاذبة في طريق الغواية ، من لذة كاذبة ، وسعادة موهومة ، ونجاة من الحساب في نهاية المطاف " إنها حالة استهواء معينة هي التي يزين فيها الشيطان للإنسان سوء عمله ، فيراه حسناً ، ويعده السبق

---

[1] - سورة محمد ، الآية 25 .

[2] - روح المعاني – للألوسي – ج 14 – ص 112 .

[3] - سورة النساء ، الآية 119 ، 120 .

والسعادة في طريق المعصية فيعدو معه في الطريق ، ويمنيه النجاة من عاقبة ما يعمل ، فيطمئن ويمضي في طريقه إلى المهلكة ، وحين يرتسم المشهد على هذا النحو ، والعدو القديم يفتل الحبال ويضع الفخّ ، ويستدرج الفريسة ، ولا تبقى إلا الجبلاّت الموكوسة المطموسة هي التي تظل سادرة لا تستيقظ ، ولا تتلفت ولا تحاول أن تعرف إلى أي طريق تُساق ، وإلى أية هُوَّة تُستهوى " [1] .

" كم خطر على قلب يهودي ونصراني حبّ الإسلام فلا يزال إبليس يثبِّطه ويقول له : لا تعجل ، وتمهّل في النظر ، فيسوِّفه حتى يموت على كفره ، وكذلك يسوِّف العاصي بالتوبة ، فيجعل له غرضه من الشهوات ، ويمنِّيه الإنابة . وكم من عازم على الجدّ سوّفه ، وكم ساعٍ إلى فضيلة ثبَّطه ، فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه ، فقال : استرح ساعة ، أو انتبه العابد في الليل يصلي ، فقال له : عليك وقت .

ولا يزال يحبب الكسل ، ويسوِف العمل ، ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغي للحازم أن يعمل على الحزم ، والحزم تدارك الوقت ، وترك التسويف والإعراض عن الأمل ... وقال بعض السلف : أنذركم (سوف) فإنها أكبر جند إبليس " [2] .

ولا ينفك إبليس وجنده عن تمنية العبد حتى في سكرات موته " إن إبليس لا يكون في حال أشد منه على ابن آدم عند الموت ، يقول لأعوانه : دونكموه فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه ، وقد يستولي على الإنسان حينئذٍ فيضله في اعتقاده وربما حال بينه وبين التوبة ، وربما منعه من الخروج من مظلمة ، أو آيسه من رحمة الله ، يقول له : قد أقبَلَت إليك سكرات الموت لا تطيقها الجبال ، ونزْعٌ شديد ، وقد كان يمكن أن يرفق بك ربك ... " [3] .

---

[1] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 2 – 761 .

[2] - تلبيس إبليس – لابن الجوزي – ص 408 .

[3] - الثبات عند الممات – لابن الجوزي – ص 129 – 132 .

المطلب الرابع : التخويف من الفقر والموت :

ويمضي الشيطان في خطواته الماكرة الرامية إلى إيقاع أعدائه في الغواية ومن تلك الخطوات تخويف أعدائه من الفقر والموت ، فالشيطان يعمل على تعميق نقاط الضعف ، التي ذكرنا قبل ، كي تبلغ مبلغها في قلب الإنسان ، فهو يعمل على إذكاء حبّ الدنيا والملك فيها في قلب بني البشر كي يقلب تلك النقاط الضعيفة إلى أعداء على الإنسان وأعوان للشيطان تؤدي غرضها في إيقاعه في ارتكاب المحرمات :

أولاً : التخويف من الفقر :

يقول تعالى : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [1] " والوعد في أصل وضعه لغة شائع في الخير والشرّ ، وأما في الاستعمال الشائع فالوعد في الخير والإيعاد في الشرّ حتى يحملوا خلافه على المجاز والتهكم ، وقد استُعمل هنا في الشرّ نظراً إلى أصل الوضع لأن الفقر مما يراه الإنسان شرّاً ، ولهذا يخوّف الشيطان به المتصدقين فيقول لهم : لا تنفقوا الجيّد من أموالكم وإنّ عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا ، وتسمية ذلك وعداً مع أنه اعتُبِر فيه الإخبار بما سيكون من جهة المخبِر والشيطان لم يُضِف مجيء الفقر إلى جهته للإيذان بمبالغة اللعين في الإخبار بتحقق مجيئه كأنه نزّله في تقرر الوقوع منزلة أفعاله الواقعة حسب إرادته ، أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريق المشاكلة " [2] ، وقد جاء سبب نزول الآيات ليبيّن تلك الحقيقة المغروسة في نفوس الكثير مِمَّن لم يحاربوها ، فعمّقها الشيطان فيهم ، فقد أخرج ابن جرير عن عطاء قال : " علّق إنسانٌ حَشَفاً [3] في الأقناء[4] التي تُعلّق بالمدينة : فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

[1] - سورة البقرة ، الآية 268 .

[2] - روح المعاني – للألوسي – ج 3 – ص 64 .

[3] - الحشف من التمر : ما لم يُنْوِ ، فإذا يبس صلب وفسد ، لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة – لسان العرب لابن منظور – ج 9 – ص 47 .

[4] - االقنو : العِذق بما فيه من الرطب ، وجمعه أقناء وقنوان – لسان العرب – لابن منظور – ج 15 – ص 204 .

(ما هــذا ؟ بئسما علّــق هــذا) فنزلــت ﴿ **وَلا تَيَمَّمُــوا الْخَبِيــثَ مِنْــهُ تُنْفِقُونَ ...** ﴾ [1]." [2].

وقد أجاد سيد قطب في الحديث عن هذه الخطوة من خطــوات الــشيطان وأبان ما لها من أثر على النفس ، وعلى المجتمع بارتكاب الفــواحش ، يقــول : "ولما كان الكف عن الإنفاق ، أو التقدم بالرديء الخبيث ، إنما ينشأ عــن دافــع السوء وعن تزعزع اليقين فيما عند الله – سبحانه وتعالى – وعن الخــوف مــن الإملاق الذي لا يساور نفساً تتصل بالله ، وتعتمد عليه ، وتدرك أن ما عندها إليه ... كشف الله للذين آمنوا عن هذه الدوافع لتبدو لهم عارية ، ولِيعرفوا مــن أيــن تنبت النفوس ، وما الذي يثيرها في القلوب ... إنه الشيطان ... الشيطان يخوّفكم الفقر ، فيثير في نفوسكم الحرص والشح والتكالب . و الشيطان يأمركم بالفحشاء والفحشاء كل معصية تفحُش ، أي تتجاوز الحد ، وإن كانت قد غلبت على نــوع معين من المعاصي ولكنها شاملة . وخوف الفقر كان يدعو القوم في جــاهليتهم لوأد البنات وهو فاحشة ، والحرص على جمع الثروة كان يؤدي ببعضهم إلى أكل الربا وهو فاحشة ، ... على أن خوف الفقر بسبب الإنفاق في سبيل الله في ذاتــه فاحشة ... وحين يعدكم الشيطان الفقر ويأمركم بالفحــشاء يعــدكم الله المغفــرة والعطاء "[3] .

ثانياً : التخويف من الموت :

وتلك هي المرحلة الثانية في خطوة الشيطان الرامية إلى تخويف أعدائه ، تلك مرحلة أشد على الإنسان ، أيسر على الشيطان ، وهذا هو المــدخل الثــاني الذي ذكرنا قبل ، حبّ الخلود في هذه الدنيا ، فمنه يلج الشيطان علــى الإنــسان ويخوفه كلَ ما من شأنه أن يفوت عليه دقيقة يعيشها في الدنيا ، أو يذهب روحــه

---

[1] - سورة البقرة ، الآية 267 .

[2] - الدر المنثور – للسيوطي – ج 2 – ص 59 ، وقد ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة في كتب السنن فقد أخرجه أبو داود في سننه – موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – سنن أبي داود – كتاب الزكاة باب : ما لا يجوز من الثمرة في الصدقة – ص 1343 – ح 1607 ، ذكره الألبــاني فــي صــحيح الترغيب والتهذيب – ج1 – ص 879 .

[3] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 1 – ص 312 .

ويُنهي أجله ، وهي مرحلة يتمسك بها الإنسان حتى آخر رمق في حياته ، إن هو لم يتصل بالله ، حتى إن هـو أُصيب بالفقر المدقع فيبقى متمسكاً بهـذه الـدنيا ، ولقد تحدث الله- سبحانه وتعالى – عن هذه المعاني في سياق آيات غزوة أحـد ، فتلك آيات عظيمات المعاني ، شـديدات علـى المنـافقين ، كبَّـت[1] الله فيهـا المتقاعسين عن الجهاد خشـية الموت ، وبين أن الأجل محتوم عند بارئهم مـن قبل أن يردوا على هـذه الأرض ، يبـدأ هذا السياق بقولـه تعـالى : ﴿ **وَلَقَـدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ...**) [2]، وتستمر الآيات في الحديث عن أُحُدٍ ، وتركز على قضية الأجل ، والخوف من الموت ، ثم تنتهي بآية خاتمة فيها جماع ذلك الأمـر كله ، آية فيها قصرٌ يلف ذلك النشر كله في حصرٍ ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَـوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [3] ومفهوم هذا القصر : أي ما كان منكم من خوف من الموت إذا خرجتم إلى المعركة ، وما كان مـنكم مـن تخلف عن الجهاد خشية الموت ، وما كان منكم من تثبيط لإخوانكم عن الخروج ، وما كان منكم من تهكم على الشهداء الذين ضيعوا حياتهم بزعمكم ... كل ذلـك إنما هو فقط ، وحصراً ، من الشيطان وبسبب وساوسه وتسويله ، فهـو الـذي يقذف في قلوبكم حب الدنيا ويخوّفكم من مفارقتها ، يقول الـرازي : " الـشيطان خبر (ذلكم) بمعنى : إنما ذلكم المثبِّط هو الشيطان (يخوف أوليـاءه) جملـة مستأنفة بيان لتثبيطه ... أما قوله تعالى (يخوف أولياءه) ففيهـا ثلاثـة أوجـه أحدها : أن معنى الآية : يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المـشركين ، والمعنى : الشيطان يخوف أولياءه الذيـن يطيعونـه ويؤثرون أمره ، فأما أولياء الله ، فإنهم لا يخافونه إذا خوّفهم ولا ينقادون لأمره ومراده منهم ، وهـذا قـول الحسن والسدي " [4] .

---

[1] - الكبْت : الصـرف والإذلال ، وكبته : أي كسره وأخزاه ورده بغيظه – لسان العرب – لابن منظور – ج 2 – ص 76 .

[2] - سورة آل عمران ، الآية 152 .

[3] - سورة آل عمران ، الآية 175 .

[4] - التفسير الكبير – للرازي – ج 5 – ص 83 .

لطائف اجتماعية في هذه الخطوة :

تبرز هذه الخطوة في الأوقات التي تشتد فيها الحرب على دين الله وتتمزق أوصال أمة الإسلام ، وتُدخَل عليهم ديارهم من أقطارها ، فحينها يبدأ المسلمون المخلصون الصادقون برفع لواء الجهاد في سبيل الله للذود عن حياض هذا الدين فيكثر الاستشهاد في سبيل الله ، وحينها فقط ينشط عدو الله إبليس حاملاً معه تلك الخطوة مخوفاً المسلمين من عواقب الانخراط في صفوف المجاهدين ، ومخوفاً إياهم من تبعة الوقوف أمام الباطل من فقد للمال وضيق في الحياة ، يقول سفيان الثوري : " ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قُبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق ، وتكلم بالهوى ، وظن بربه ظن السوء " [1] وها نحن أولاء في ديارنا فلسطين نشهد مثل هذه الحرب بين أهل الإيمان والجهاد والمسلمين من جهة وبين الشيطان وجنده من جهة أخرى ، فهو في هذه الأيام أشد ما يكون دخولاً على الناس من بابي حب الدنيا والخلود فيها أو خوف الفقر والموت ، ولخطورة هذه القضية ، خصوصاً في وقت الجهاد في سبيل الله ، فقد أكد الحق سبحانه على هاتين القضيّتين في كثير من آيات الكتاب العظيم ففي الرزق يقول : ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ** ﴾ [2] ، وفي الأجل يقول : ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ...** ﴾ [3] ،وورد في سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – الكثير من الأحاديث المؤكدة على حتمية هاتين القضيّتين إما كلٌ على حدة أو مجتمعتين ومن ذلك ما أخرجه الطبراني عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نفث روح القدس في رُوعي أن نفسا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب ولا يحملنكم إستبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته [4].

---

[1] - المستخلص في تزكية الأنفس – لسعيد حوى – ص 161 .

[2] - سورة الذاريات ،الآيتان 22 ، 23 .

[3] - سورة آل عمران ، الآية 145 .

[4] - المعجم الكبير – للطبراني – ج 8 – ص 166 – ح 7694 ، وقد ذكره الألباني في صحيح الجامع – ج 1 – ح 2085 .

المطلب الخامس : النزغ والمس :

هذه هي المحطة الأخيرة في سلسلة الخطوات ما قبل اكتساب الإثم ، فلما كان مسرح الخطوات الأولى هو النفس والقلب ، فإن مسرح هذه الخطوة المزدوجة هو الجسد ، فالشيطان يعمد في بعض الأحيان إلى التسلط على جسد الإنسان وقيادته في طريق الإثم إن هو استعصى عليه باب النفس والقلب ، أو إن كان هذا الباب بالنسبة لصاحبه أيسر من غيره ، وهذه الخطوة تتجسد على مرحلتين تكون أولاهما أخف وطئة على الجسد من الأخرى :

أولاً : النزغ :

استعمل القرآن الكريم في هذا المعنى ألفاظاً متعددة ارتبطت كلها بالشيطان وهي : النزغ ، الهمز ، الأزُّ ، وسنتحدث عن هذه الألفاظ على التفصيل أولاً ثم على المجمل إذ هي تصب كلها في معنى واحد .

مفهوم الهمز في كتاب الله :

وردت هذه اللفظة مرتبطة بالشيطان في موضع واحد في كتاب الله في سورة المؤمنون ﴿ **وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ** ﴾ [1] ، وقد ظهر خلاف في معنى هذا الهمز المرتبط بالشيطان عند أهل التفسير بين قائل بأنه الوسوسة ، وقائل أنه النزغ ، أي بين كونه وسيلة لإلقاء الخطوات أو كونه خطوة تفضي إلى ما بعدها وهي الغضب ، وقبل أن أرجح أحد المعنيين ، أود أن أستنير بأقوال أهل اللغة والتفسير :

- الهمز : همز رأسه يهمِزه همزاً : غمزه ، وقد همزت الشيء في كفي لقول رؤبة : ومَنْ همزْنا رأسه تهشَّما ، وهمز الجوزة بيده يهمزها كذلك ، والهمز مثل اللمز ، وهمزه : دفعه وضربه ، وهمزتُه ولمزتُه ونهزتُه إذا دفعته ، والهمز : العصْر ، والهمز : الغيبة والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم [2] .

---

[1] - سورة المؤمنون ، الآيات 97 ، 98 .

[2] - لسان العرب – لابن منظور – ج 5 – ص 246 .

- " وأصل الهمز الدفع ، قال أبو عبيد عن الكسائي : همزته ، ولمزته ، ولهزته وقهرته إذا دفعته ، والتحقيق : أنه دفع بنخز ، وغمز يشبه الطعن ، فهو دفع خاص ، فهمزات الشياطين : دفعهم الوساوس والإغواء إلى القلب ، قال ابن عباس والحسن : (همزات الشياطين : نزغاتهم ووساوسهم) وفسِّرت همزاتهم بنفخهم ونفثهم ، وهذا قول مجاهد ، وفسِّرت بخنقهم وهو الموتة التي تشبه الجنون . وقد يقال وهو الأظهر أن همزات الشياطين إذا أُفرِدت دخل فيها جميع إصاباتهم لابن آدم ، وإذا قُرنت بالنفخ والنفث كانت نوعاً خاصاً ، كنظائر ذلك "[1] .
- " والشيطان يوسوس فيهمس في وسواسه في صدر ابن آدم وهو قوله (أعوذ بك من همزات الشياطين) أي نزغات الشيطان الشاغلة عن ذكر الله تعالى ... قال أبو الهيثم : إذا أسر الكلام وأخفاه فذلك الهمس من الكلام " [2] .
- " أي وساوسه المغرية على خلاف ما أُمِرتَ به وهي جمع همزة ، والهمز : النخس والدفع بيد أو غيرها ... وإطلاق ذلك على الوسوسة والحث على المعاصي لما بينهما من الشبه الظاهر " [3] .

ومن مجموع هذه الأقوال نلاحظ مفارقة عجيبة بين المعنى اللغوي وبين ما ذهب إليه معظم المفسرين ، فأهل اللغة يجمعون على أن الهمز دفع ونخز ولمز ولكنه بسرعة وخفاء ، وعلى الرغم من هذا المعنى الواضح للهمز في اللغة يحاول المفسرون تحويله إلى معنى خفي دقيق هو مجرد الوسوسة ، وإن كان ذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك بالحديث على آثار تلك الوسوسة من تحريك للشر والغواية ، ويحاول البعض التوفيق بين الوسوسة والمعنى اللغوي فيقول إن الهمز دفع للوساوس في القلب وهكذا .

---

[1] - إغاثة اللهفان – لابن القيم – ج 1 – ص 113 .

[2] - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 12 – ص 148 .

[3] - روح المعاني – للألوسي – م 10 – ج 18 – ص 93 .

والظاهر أن هذا الخلاف راجع إلى عدم وجود معنى دقيق للوسوسة ، وللوسائل ، وللخطوات عند أهل التفسير ، ولكننا في هذا البحث ، وفي ضوء وجود معانٍ دقيقة لهذه المصطلحات ، ندرك أن الهمز لا يقف عند كونه وسوسة فحسب ، بل هو تحريك لمكامن النفس واستثارة لها لتصل إلى مرحلة النزغ أو الغضب التي سنتحدث عنها بعيد قليل ، وقد أجاد الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية وبيان معنى الهمز حيث قال : " فلما أمر الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يفوض جزاءهم إلى ربه أمرهم بالتعوذ من حيلولة الشيطان دون الدفع بالتي هي أحسن ، أي التعوذ من تحريك الشيطان داعية الغضب والانتقام في نفس النبي – صلى الله عليه وسلم – فيكون (الشيطان) مستعملاً في حقيقته .

والمراد من همزات الشياطين : تصرفاتهم بتحريك القوى التي في نفس الإنسان (أي في غير أمور التبليغ) مثل تحريك القوى الغضبية كما تأول الغزالي في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (ولكن الله أعانني عليه فأسلم)[1] ... وهمز شياطين الجن ظاهر ، أما همز شياطين الإنس فقد كان من أذى المشركين للنبي – صلى الله عليه وسلم – لمزه والتغامز عليه والكيد له "[2].

مفهوم النزغ في كتاب الله :

وردت هذه اللفظة في كتاب الله في أربعة مواضع [3] كلها مرتبطة بالشيطان والنزغ : أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم ، ونزغ بينهم ينزَغ وينزِغ نزغاً : أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض ... والنزغ : شبه الوخز والطعن ، ونزغه نزغاً طعنه بيد أو رمح [4].

---

1 - سبق تخريجه – ص ؟؟

2 - التحرير والتنوير – لابن عاشور – ج 18 – ص 121 ، 122 .

3 - سورة الأعراف ، الآية 200 ، سورة يوسف ، الآية 100، سورة الإسراء ، الآية 53 ، سورة فصلت الآية 36.

4 - لسان العرب – لابن منظور – ج 8 – ص 454 .

والظاهر من المعنى اللغوي أن النزغ بمعنى التحريك والاستفزاز وإثـارة النفس ، وهو المعروف بالغضب ،يقول تعالى : ﴿ **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [1] ،" يعني جل ثناؤه بقوله وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم فاستعذ بالله ، يقول فاستجر بالله من نزغه إنه سميع عليم " [2]

وقد جاءت مثيلة هذه الآية في سورة فصلت في سياق دفع العداوة والخصومة والغضب باللين والقول الحسن حيث يقول تعالى فيها ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [3] .

ويتضح معنى النزغ جلياً في آية يوسف حيث أبان – عليه السلام – أن ما وقع بينه وبين إخوته من إفساد إنما كان بسبب نزغ الشيطان ، أي تهييجه الأخوة بعضهم على بعض يقول تعالى : ﴿ ... **وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ...** ﴾ [4] " أي أفسد البعيد المحترق بوسوسته التي هي كالنخس بيني وبين إخوتي حيث قسم النزغ بينه وبينهم ولم يفضل أحداً من الفريقين فيه " [5].

مفهوم الأز في القرآن الكريم :

وردت هذه اللفظة مرة واحدة في كتاب الله في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً** ﴾ [6] .

---

[1] - سورة الأعراف ، الآية 200 .

[2] - جامع البيان – للطبري – م5 – ج 9 – ص 156 .

[3] - سورة فصلت الآيات ، 34-36 .

[4] - سورة يوسف ، الآية 100 .

[5] - نظم الدرر – للبقاعي – ج 4 – ص 99 .

[6] - سورة مريم ، الآية 83 .

والأز : الهمزة والزاء يدل على التحرُّك والتحريك والإزعاج . قال الخليل : الأز : حمل الإنسان الإنسان على الأمر برفق واحتيال ، والأز غليان القدر وهو الأزيز ، قال أبو زيد : الأز صوت الرعد ... يقال أزتنا ريح : أي ساقتنا [1] .

وفي الآية عن ابن عباس : " تُغويهم إغواءً ، وعنه تحرضهم على محمد – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ... وعن قتادة : تزعجهم إزعاجاً إلى معاصي الله ، وعن سفيان : تغريهم إغراءً وتستعجلهم استعجالاً ، وعن السدي : تطغيهم طغياناً " [2] ، ويقول الزمخشري : " الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها : التهييج وشدة الإزعاج أي تُغريهم على المعاصي ، وتهييجهم لها بالوساوس والتسويلات ، والمعنى خلينا بينهم وبينهم ، ولم نمنعهم ... والمراد تعجيب الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار وأقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين من تماديهم في الغي ، وإفراطهم في العناد ، وتصميمهم على الكفر ، واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه " [3].

ونلاحظ هنا أن الأز يكتسب معنى زائداً على إثارة الغضب ، بل هو غضب قوي مستمر لا ينقطع ، غضبٌ صار لصاحبه ديدناً فكلما ورد عليه شيءٌ من الحق اشتعل رأسه وعقله بالوساوس الشيطانية والفكر الباطل فتثور ثائرة العقل عنده وينطلق لسانه بالفحش والكيد ، وهذا ما نسميه اليوم بالتعصب الأعمى لفكرة أو مذهب أو رأي دونما دليل بيّن أو حجة واضحة ، وهذا باب واسع الانتشار في عالمنا اليوم ، فحقاً هي شياطين تؤز الكافرين إليه أزاً ، يقول ابن عاشور : " شبّه اضطراب اعتقاداتهم وتناقض أقوالهم واختلاق أكاذيبهم بالغليان في صعود وانخفاض وفرقعة وسكون " [4] ، فهذا وصف دقيق لحالهم ولأجسادهم

---

[1] - معجم المقاييس في اللغة – لابن فارس – ص 42 .

[2] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 9 – ص 295 .

[3] - الكشاف – للزمخشري – ج 3 – ص 126 .

[4] - التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 8 – ج 16 – ص 165 .

المضطربة وعقولهم المتأججة وتخبطهم في غيّهم ، وهو – أي الأز – داخل في معنى النزغ بل ويزيد عليه استمرارية وعمقاً ، وهو داخل في معنى التهييج الجسدي ، كما أسلفنا في هذه الخطوة ، فإنك ترى الواحد من هؤلاء المعاندين المجادلين أهل الباطل وهو يهتز ويضطرب في حجاجه ولجاجه وكأنما يحركه شيطان ، وهو فعلاً يحركه شيطان ذاك الذي أخبر عنه رب العزة في الآية .

استنباطات مهمة :

1- من خلال تتبع السياق القرآني لكلمة (نزغ) تبيّن أن هذه الكلمة تأتي على هيئتين : أحدهما متعدية إلى مفعولها بنفسها ، والأخرى متعدية إلى مفعولها بالظرف (بين) ، وفي الأمر إذاً تفصيل :

أ- في آيتي الأعراف وفصلت تعدى فعل (نزغ) إلى مفعوله بنفسه (ينزغنك) فيكون النزغ في نفس المنزوغ به لا يتعداه إلى غيره ، وهنا يكون النزغ بمعنى الغضب وإثارته في النفس ، وهذا المعنى ظاهر ومتناسق مع سياق الآيات في الموضعين حيث تحدثتا عن العداوة الناشئة عن الغضب وعن مقابلتها بالصفح الجميل .

ب- أما في الموضعين الآخرين لورود النزغ ، سورتي يوسف والإسراء ، فجاء الفعل متعدياً إلى مفعوله بالظرف (بين) ليدلّ على أن النزغ هنا حاصل بين طرفين ، فلا يكون بمعنى إثارة الغضب في النفس ، بل يتعدى هذا المعنى – وإن كان أساساً له – ليفيد إثارة العداوة ، وإيقاع الإفساد بين شخصين أو أكثر ، وهذا المعنى هو الذي سنتحدث عنه في فصل الغايات عند حديثنا عن غاية إبليس الخبيثة في إثارة الفتن في المجتمع .

2- التدرج اللغوي بين كلمات (همز) و (نزغ) و(أز) ، فكلاهما يحوي حرف الزاي الدالّ على الإزعاج والاهتزاز ، وهذا المعنى متحقق في بوادر الغضب عند الهمز ، وفي الغضب عند النزغ ، وفي شدة الغضب والتعصب عند الأز ، ثم يأتي التدرج في المعنى فيبدأ بالهمز والذي هو بداية مرحلة الغضب فإلى جانب الزاي الدالة على الإزعاج والاهتزاز ، تحمل هذه

الكلمة حرف الهاء الدال على الخفاء والضعف ، ثم يرتقي التدرج إلى النزغ حين يقع الغضب بدوافعه فتذهب الهاء بخفائها وتأتي الغين بجهرها ، ثم يستمر التدرج ليصل إلى أوجه بزيادة شدة الزاي في الكلمة الثالثة بالتضعيف مما يوحي بشدة المعنى عما حملته الكلمة الثانية (نزغ) وهذا هو التدرج حيث يبدأ الأمر بتحريك الغضب ثم بحصوله ، ثم إذا استمر هذا الغضب صار سجيةً لصاحبه تستثيره كلما ورد عليه ما يغضبه فيتحول الأمر إلى تعصب للباطل طبعاً ، فيصير صاحبه وكأنما له ارتجاج وثوران عند ذكر هذا الأمر له .

ثانياً : المس :

وهذه هي المرحلة الأشد والأعنف على الإنسان، حيث ينتقل الشيطان من السيطرة الآنية أو الضعيفة على أعدائه إلى السيطرة الأقوى المسلطة على الجسد خاصة ، وقد ورد هذا المسّ في كتاب الله في ثلاثة مواضع ارتبطت بالشيطان ، وقد كان هذا الموضوع مثار جدلٍ كبير بين العلماء ما بين مثبت ونافٍ له ، وهذا الأمر مبسوط في كتب العقائد، يقول ابن تيمية : " دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة ، قال الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ [1] ، وفي الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)[2] وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : (قلت لأبي : إن أقواماً يقولون : إن الجني لا يدخل في بدن المصروع ، فقال : يا بني يكذبون ، هذا يتكلم على لسانه " [3] ، وسنتحدث في هذا البحث عما يتصل بوجهة نظر القرآن فيه ، حيث يأتي هذا المس على ضربين أولاهما التأثير النفسي وثانيهما التأثير البدني ، وقبل أن نفصل في هذين الضربين نذكر المعنى اللغوي للمس كي نستقي منه المعاني القرآنية بعد ذلك :

---

[1] - سورة البقرة ، الآية 285 .

[2] - سبق تخريجه – ص 110

[3] - مجموع الفتاوى – لابن تيمية – ج 24 – ص 276 .

المسُّ : مسِسته بالكسر أمَسُّه مساً ومسيساً : لمسته ، والمسُّ مسك الشيء بيدك ، ومسُّوا منها : أي خذوا منها الماء وتوضئُوا ، والمسّ الجنون ، ورجل ممسوس : به مسٌّ من الجنون ، ومُسْمِسَ الرجل إذا تخبّط ، ومسّ المرأة وماسّها : أي أتاها[1] .

أولاً : المسُّ النفسي :

وهذا المس هو ما ضرب الله له مثالاً بأيوب – عليه السلام – حيث يقول ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** ﴾ [2] "أي : إذ نادى ربه بأني قد مسني الشيطان بمشقة نفسية وتعب وإعياء : من كثرة وساوسه وإغراءاته ووسائل كيده ومكره ، ليدفعني إلى سوء الظن بك ، والطعن في حكمتك ، بسبب ما أنزلت بي من بلاء في مالي وأهلي وجسدي " [3] قلت : ولقد رأينا هذا الإعياء في نفوس كثير ممن أسلموا أنفسهم للشيطان ، ورأينا كيف علت وجوهَهم الكدرة والغم والهم جراء طغيان وساوس الشيطان ، وتزيينه الحياة الدنيا لهم ، وتمنيتهم بطول الأمل حتى قادتهم تلك النفوس المريضة إلى معصية الله والانزلاق في الهوى واتباع الشيطان .

ثانياً : المس الجسدي :

وهو ما عناه الحق سبحانه في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ... ﴾ [4] " أي : يتخبّله الشيطان في الدنيا ، وهو الذي يخنقه فيصرعه من الجنون ... فعن سعيد ابن جبير قال : يُبعث آكل الربا يوم القيامة مجنوناً يُخنق . وعن قتادة : هو التخبّل الذي يتخبّله الشيطان من الجنون " [5] ، وقد فصل الرازي معنى التخبط

---

[1] - لسان العرب – لابن منظور – ج 6 – ص 216 ، 217 .

[2] - سورة ص ، الآية 41 .

[3] - معارج التفكر – للميداني – ج 3 – ص 580 .

[4] - سورة البقرة ، الآية 275 .

[5] - جامع البيان – للطبري – م 3 – ج 3 – ص 132 ، 133 .

وعلاقته بالمس حيث يقول : " التخبط معناه الضرب على غير استواء ، ويقال للرجل الذي يتصرف في أمر ولا يهتدي فيه : إنه يخبط خبط عشواء ... وتخبَّطه الشيطان : إذا مسه بخبل أو جنون لأنه كالضرب على غير استواء ، وتسمى إصابة الشيطان بالخبل والجنون خبطة ، ويقال : به خبطة من جنون . والمس : الجنون ، يقال : مُسَّ الرجل فهو ممسوس به مَسّ ، وأصله من المس باليد ، كأن الشيطان يمَس الإنسان فيجنُّه ، ثم سمي الجنون مساً ، كما أن الشيطان يتخبطه ويطأه برجله فيخبله ، فسمي الجنون خبطة ، فالتخبط بالرِّجل والمس باليد " [1] .

أما قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** ﴾ [2] ففيه أقوال كثيرة عند المفسرين تتردد بين الوسوسة ، والتزيين ، والهم ، والغضب ، وغيرها ، وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (طيف) وقرأ الباقون (طائف) [3] وفي هاتين القراءتين يقول الميداني : " الطائف : هو الذي يحمل الوساوس والدسائس والتسويلات التزيينية ، فيطوف بها على النفوس ، ويقذف بها في نفس فريسته ، وهذا الحامل لا بد أن يكون شيطاناً .

والطيف : التخيّلات والرؤى النفسية التي قد يهيِّجها الشيطان ويستثيرها " [4] فالطيف بهذا المعنى ينصرف إلى الدرجة الأولى من المس ، وهي المس النفسي حيث تثير هذه الوساوس الملحة هموماً وإعياءً في النفس ، أما على قراءة (طائف) فهو الشيطان الذي يمس الإنسان بمثل هذه الهموم ، وقد يتعداها إلى أكثر من ذلك فيصل إلى المس الجسدي كما قال ابن كثير : " ومنهم من فسره بالغضب ، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه ، ومنهم من

---

[1] - التفسير الكبير – للرازي – م 4 – ج 7 – ص 77 .

[2] - سورة الأعراف ، الآية 201 .

[3] - إتحاف فضلاء البشر – للبنا – 295 .

[4] - معارج التفكر – للميداني – ج 5 – ص 127 .

فسره بالهم بالذنب ، ومنهم من فسره بإصابة الذنب ... وقد أورد الحافظ أبو بكر ابن مردويه هاهنا حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : : جاءت إمرأة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وبها طيف فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يشفيني ، فقال : (إن شئت دعوت الله فشفاك ، وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك) . فقالت : بل أصبر ولا حساب علي [1] " [2] .

وإذا سلمنا أن الجن يمكنه أن يضر الإنسان بأكثر من الوسوسة فهل يمكنه أن يضره بالمس ، أو أن يلبس جسم الإنسان كما يعبّر الناس عن ذلك ، بحيث يحصل له اضطراب واختلال في حركته أو في عقله ؟

أثبتت آية الربا أن الشيطان يمس الإنسان فيحصل له خلل ، وهذا أمر لا يجوز إنكاره أو الشك فيه ، وذكر المحدّث الشبلي ، أخباراً وحوادث أيام النبي – صلى الله عليه وسلم – تدل على الصرع بسبب مس الجن [3]، فدخوله في جسم الإنسان كدخول الهواء لا استحالة فيه ، كما صح في الحديث (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) [4]، على أن المس لا يتحتم أن يكون بالدخول والامتزاج . فقد يكون باللمس في موضع حساس بالجسم يُحدِث الخلل . كما تتأثر الأعصاب بالإبر أو الضغط ، فيكون الشلل وعدم انتظام الحركة [5] .

المس والخطوات :

قد يخفى على البعض مكان المس من الخطوات ، فالخطوات كما عرفنا : ما يؤثر به الشيطان على الإنسان فيدفعه إلى ارتكاب المعاصي وتتابعها ، وهذا

---

[1] - وقد أخرجه الحاكم في مستدركه بنحوه وبنفس لفظة (طيف) عن أبي هريرة ج 4 – ص 243 ح 7511 وقال الذهبي في تلخيص المستدرك صحيح على شرط مسلم .

[2] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 6 – ص 495 ، 496 .

[3] - آكام المرجان – للشبلي – ص 107 .

[4] - سبق تخريجه – ص 110 .

[5] - انظر : مجلة الأزهر – الجن وما لهم في الإنس – عطية صقر – ص 915 ، 916 – سنة 1415 هـ – السنة 27 .

ما يؤدي إليه المس إن وقع على الإنسان بكلا نوعيه ، فالشيطان قد يكثف من وطأته على عدوه بتتابع الخطوات عليه وتدافعها حتى تُحدث فصاماً بين الشخص ودينه ، فيقع في الهم والغم والإعياء الذي يدفعه بدوره إلى الخلاص منه عن طريق سلوك الدنيا والانحدار في دركاتها ، فيرتكب الآثام ظناً منه أنها تشفيه فيسرق بحثاً عن الراحة المادية ، ويزني بحثاً عن الراحة الجنسية ، ويسكر بحثاً عن الراحة العقلية وهكذا ، أما من وقع عليه المس الجسدي فإن الشيطان يدفعه بهذا المس إلى ارتكاب المحرمات من جراء سلوك طرق الشيطان في البحث عن علاج لمثل هذا الصرع فيقوده إلى العرافين والكهان ، فيسقط في شرَك ضياع صلاته وعدم قبولها أربعين يوماً ، فإذا صدقهم ، وهو لا ينفك يبحث عن خلاص من هذا الداء سقط في شرَك أعظم هو الكفر بما أنزل على محمد - عليه الصلاة والسلام – وتجده لا يغادر أبواب السحرة والمشعوذين فينغمس في المحرمات من هذا الباب .

المس وشياطين الإنس :

وبعد هذا العرض قد يرد سؤال على ذهن القارئ مفاده : وأين شياطين الإنس من هذه الخطوة إذ هي خاصة بتلبس الجني في الإنسي ؟

يصدق هذا القول على النوع الثاني من أنواع المس الشيطاني وهو ما اختص بالجسد ، أما النوع الأول فلشياطين الإنس منه حظ وافر ، فكل من صد عن سبيل الله بدعواته الباطلة فأكثر من التهجم على دين الله ، فقلب موازين الحق في قلوب وعقول الكثير ، وأورث في قلوبهم حب الدنيا والسعي وراءها ، وكان ذلك بإلحاح وضغوط لا تنقطع ، فهو شيطان إنس يمس الإنسان بالاضطرابات والإعياء والهم والغم .

الفصل الرابع

غايات الشيطان

المبحث الأول : تعريف الغايات

وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : تعريف الغايات في اللغة والشرع .

المطلب الثاني : الزلل .

المبحث الثاني : غايات عامة

وينقسم إلى أربعة مطالب :

المطلب الأول : السوء والفحشاء والمنكر .

المطلب الثاني : إيقاع الناس في الكفر .

المطلب الثالث : الصد عن سبيل الله .

المطلب الرابع : إبعاد أعدائه عن الجنة .

المبحث الثالث : غايات فرعية

وينقسم إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معالم إيقاع الناس في الكفر .

المطلب الثاني : إيقاع الناس في المحرمات .

المطلب الثالث : تمزيق المجتمعات .

المبحث الأول

تعريف الغايات

انقضت المرحلة الأولى من خطوات الشيطان ، تلك المرحلة التي أخــذت على عاتقها سحب الإنسان من طاعة ربه ، ومن حياض الإيمان لتوقعه في براثن المعصية والشيطان ، فكانت المغريات والتسويلات والمكر والإغواء والخديعــة والتمنية والإملاء والتخويف والمس ، حبائل يرميها الشيطان في طريق أعدائه ، ومصائد ينصبها في دروبهم ، لأجل غاية خبيثة ومُرام دفين ، وهدف وحيــد ألا وهو إيقاع أعدائه في المعصية تلو المعصية ، حتى يصل بهم إلى مأواه ومأواهم جهنم وبئس المصير ، ومن هنا كانت الغايات التي يسعى الشيطان إلـــى إيقـــاع أعدائه فيها ، وهي التي سنتحدث عنها في هذا الفصل .

المطلب الأول : تعريف الغايات في اللغة والشرع :

أولاً : في اللغة :

غيا : الغاية : مدى الشيء . والغاية أقصى الشيء ، وغاية كل شـــيء : مداه ومنتهاه ، وجمعها غايات وغايٌ ، مثل ساعة وساعٍ ، وغاية الحـــرب هـــي الراية ، وغاية السبق قصبـــة تنصب في الموضع الذي تكـــون المـــسابقة إليـــه ليأخذها السابق .[(1)]

ثانياً : في الشرع :

الواقع أن كلمة (غايات) ليست كلمة قرآنية أو تعبيراً معجزاً كي نبحـــر في تعريفها أو نسبر أغوارها كما فعلنا في التعبير القرآني (خطوات الشيطان) ، وإنما هي وصف ارتضيناهُ في بحثنا هذا لنعبر به عن مراد الشيطان من أعدائـــه فكل ما سنذكره في هذا الفصل هو هدف من أهداف الشيطان التي يريد لأعدائه أن يقعوا فيها ، وكما أسلفنا من قبل حين تحدثنا عن الخطوات والغايات والعلاقة

---

[1] - لسان العرب – لابن منظور – ج 15 – ص 143 .

بينهما ، فإن كل غاية من الغايات هي خطوة إلى أختها عدا غاية الغايات ومنتهى المنتهيات ، الخلود في النار ، فنحن نسمي هذا الأمر أو ذاك غاية باعتبار ذاته حيث يكون الوقوع فيه ارتكاباً لمعصية ووقوعاً في الزلل ، ونسميه خطوة باعتبار غيره ، فارتكابه يؤدي إلى الانزلاق في غيره من المعاصي ، ولذا جاء تصنيفنا هذا حيث سمينا كل ما سنذكره في البحث ، مما ورد في كتاب الله مرتبطاً بالشيطان ، غايات إذ هي السمة الذاتية فيها والغالبة عليها ، على أنها لا تخلو بحالٍ من كونها خطوة من خطوات الشيطان ، وبناءً على هذه النظرة يكون تعريف الغايات جزءاً من تعريف الخطوات إذ هو ما بعد الزلل من الخطوات : **فالغايات إذاً هي** : " كل معصية أوقع الشيطان فيها أعداءه سواء لم تتبعها معصية أو تبعتها معاصٍ توصل إلى المعصية الكبرى المخلِّدة صاحبها في النار .

ومن هذا التعريف ندرك أن غايات الشيطان تتحقق على أرض الواقع بارتكاب المعصية ، فكل ما كان قبل ذلك هو مقدمات ومستحثات ودوافع إلى الغايات ، فإذا وقع الزلل وقعت المعصية ، وحقق الشيطان خطوة عملية على طريق مراده الأعظم ألا وهو موت الإنسان على الكفر وخلوده معه في جهنم .

المطلب الثاني : الزلل :

ينبُل الشيطان أعداءه بسهام لا تنقطع ، ويغير عليهم برَجِله ، ويكيل لهم المكائد ، ويزين لهم ويغريه ويغويه ، والإنسان من قِبَلِه يقاوم كل هذا ، حتى إذا ضعف الإنسان واستكان ووصل إلى نقطة لا يطيق معها مقاومة تلك الحرب وصل إلى نقطة الزلل ، فسقط صريعاً بين يدي الشيطان يرتع في المعصية ، ولقد وقع الزلل أول ما وقع ، من آدم – عليه السلام – وزوجه حواء بأكلهما من الشجرة ومعصيتهما ربهما – عز وجل – يقول تعالى : ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ... ﴾ [1] " فأزلَّهما بتشديد اللام : بمعنى استزلهما من قولك : زلّ الرجل في دينه إذا هفا فيه وأخطأ فأتى ما ليس له إتيانه فيه ، وأزله

[1] - سورة البقرة ، الآية 36 .

غيره : إذا سبب له ما يزِلّ من أجله في دينه أو دنياه . ولذلك أضاف الله تعالى إلى إبليس خروج آدم وزوجته من الجنة ، (**فأخرجهما مما كانا فيه**) يعني إبليس لأنه كان الذي تسبب لهما بالخطيئة التي عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة . " [1] .

وقد بين الحق سبحانه أن ذاك الزلل من آدم وزوجه تبعه المعصية التي صدرت منهما فقال : ﴿ **فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى** ﴾ [2] ، هذه هي معصية آدم ، معصية عن جهل وتغرير ، وهي معصية تكاد تكون مجردة ، أي هي تتمثل في مخالفة أمر رباني بغض النظر عن حيثيات هذا الأمر ، وهو ما أراده الله لنا بضرب المثل في هذه القصة ، أن نحذر مجرد معصية أمر الله ومخالفته ، وقد ضرب الله لنا مثلاً آخر على هذا الزلل ، وهو في حق معصية بعينها ، معصية كبيرة من الكبائر ، هي التولي يوم الزحف يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ...** ﴾ [3] " إنما استزلهم الشيطان : أي حملهم على الزَّلة " [4] .

سنتناول في هذا الفصل دراسة غايات الشيطان كما وردت في كتاب الله عز وجل ، وإذا ألقينا نظرة على هذه الغايات ، وما يريده الشيطان لأعدائه ، وجدنا أن هذه الغايات تنقسم إلى قسمين :

1- **غايات عامة** : وهي الخطوط العريضة التي تنضوي تحتها كل غايات الشيطان ، بل هي الأهداف العامة التي يسعى الشيطان إلى تحقيقها ، ويدأب على إيقاع الناس فيها كالكفر ، والموت عليه ، والخلود في جهنم ، وهذه الغايات هي موضوع هذا المبحث .

---

[1] -جامع البيان – للطبري – م1 – ج 1 – ص 309 .
[2] - سورة طه الآية 121 .
[3] - سورة آل عمران ، الآية 155 .
[4] - التفسير الكبير – للرازي – ج 5 – ص 42 .

2- **غايات فرعية** : وهي تلك الغايات التي تندرج في عمومها تحت الغايات العامة ولكنها تفصيل لسبيل الشيطان في إيقاع البشر في غاياته العامة ، وإنما يفصل القرآن بعض هذه الغايات لأهمية ذِكرها وبيانها إذ هي التي تبرز في الحيـــاة اليومية للناس وتؤثر على المجتمع ، فهي الأمور الملموسة التي تقــود إلـــى الغايات العامة الغير ملموسة ، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في المبحث الثالث

ونبدأ حديثنا في هذا المبحث عن الغايات العامة وهي على الترتيب من الأدنى إلى الأعلى : السوء والفحشاء والمنكر ، الكفر بالله ، الصد عن سبيله ، إبعاد أعدائه عن الجنّة .

المبحث الثاني

غايات عامة

المطلب الأول : السوء والفحشاء والمنكر :

خلق الله الناس حنفاء ، وفطرهم على الملة السمحاء ، فاجتالتهم الشياطين ؛ كي تسحبهم من تحت ظل الرحمن لتلقي بهم في ظلمات الكفر ، ولما كان هذا الإغواء عسيراً عليهم لبعد المسافة بين النقيضين ، الإيمان والكفر ، احتالت الشياطين على المؤمنين بإبعادهم عن الإيمان درجة درجة ، فسلكت في ذلك طريق الفواحش والمنكرات ؛ كي تنزل بهم درجة تلو الدرجة حتى تصل بهم إلى غاية الكفر والشرك بالله ، فكانت هذه الغاية ، غاية السوء والفحشاء والمنكر أول الغايات العامة على ما يندرج تحتها مما سنفصله في المبحث الخاص بالغايات الفرعية ، يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [1]" السوء : الإثم مثل الضرّ ، من قول القائل ساء لك هذا الأمر يسوءك سوءاً ؛ وهو ما يسوء الفاعل . وأما الفحشاء فهي : مصدر ؛ مثل : السراء والضراء ، وهي كل ما استفحش ذكره وقبح مسموعه . وقيل : إن السوء الذي ذكره الله هو معاصي الله ؛ فإن كان ذلك كذلك فإنما سماه الله سوءاً ؛لأنه يسوء صاحبه بسوء عاقبته له عند الله . وقيل : إن الفحشاء : الزنا ؛ فإن كان ذلك كذلك ، فإنما يسمى ذلك لقبح مسموعه ، ومكروه ما يذكر به فاعله ... " [2] والظاهر من قول الطبري أن اللفظين يحملان كل فعل مستقبح على الخلاف الموجود في عموم وخصوص كل منهما ، وقد ذكر الألوسي في هذا الخلاف كلاماً طويلاً نذكر جانباً منه : " روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن السوء ما لا حدّ فيه والفحشاء ما فيه حدّ ، وقيل : هما بمعنىً ، وهو

---

[1] - سورة البقرة ، الآيات 168 ، 169 .

[2] - جامع البيان – للطبري – م 2 – ج 2 – ص 103 .

ما أنكره العقل وحكم بأنه ليس فيه مصلحة وعاقبة حميدة واستقبحه الشرع ، والعطف حينئذٍ لتنزيل تغاير الوصفية لمنزلة تغاير الحقيقة فإن ذلك سوء لاغتمام العاقل ، والفحشاء باستقباحه إياه ، ولعل الداعي إلى هذا القول أنه سبحانه سمى جميع المعاصي والفواحش سيئة في قوله – جل شأنه - : ﴿ **بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً** ﴾ [1] " [2] .

ولقد أجاد أبو السعود في التفريق بين السوء والفحشاء في كلمات قليلة حيث يقول : " السوء في الأصل مصدر ساءه يسوءه سوءاً ومساءة إذا أحزنه ، يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح أو أفعال القلوب لاشتراكها كلها في أنها تسوء صاحبها ، والفحشاء أقبح أنواعها وأعظمها مساءة " [3] .

وهذا القول قريب من سياق الآية حيث تحذر من العموم ، ثم تخص منه ما فحش واستشاط شره ، ويشهد لهذا المعنى الفحشاء التي تحدث عنها القرآن الكريم بعد تحذيره من إبليس في قصة آدم في الأعراف ، حيث يقول ﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [4] فقد ورد في التفسير أن هذه الفاحشة التي استقبحها الله عليهم هي فعلة شنعاء فاضحة كان يعملها العرب ، يقول ابن كثير : " كانت العرب – ما عدا قريشاً – لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها ، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثيابٍ عصوا الله فيها ، وكانت قريش – وهم الحُمس[5] – يطوفون في ثيابهم ، فمَن أعاره أحمسُ ثوباً طاف فيه ، ومن معه ثوب جديد طاف فيه ، ثم يلقيه ، فلا يتملكه أحد ، فمن لم يجد ثوباً جديداً ولا

---

[1] - سورة البقرة ، الآية 81 .

[2] - روح المعاني – للألوسي – م2 – ج2 – ص59 ، 60 .

[3] - إرشاد العقل السليم – لأبي السعود – ج 1 – ص 188 .

[4] - سورة الأعراف ، الآية 28 .

[5] - الحمس : قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون وقيل كانوا لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون ولا يسلئون السمن ولا يلقطون الجلة ، لسان العرب - لابن منظور - ج6- ص57.

أعاره أحمسٌ ثوباً ، طاف عرياناً ، وربما كانت امرأة فتطوف عريانة ، فتجعل على فرجها شيئاً ليستره بعض الشيء وتقول : اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله ، وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل ، فكان هذا شيئاً قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم ، واتبعوا فيه آباءهم ، يعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرعه " [1] .

أما المنكر فقد ورد مقترناً بالفحشاء في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ...** ﴾ [2] .

والمنكر : من نكر : النون والكاف والراء أصلٌ صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب ، ونكِر الشيء وأنكره لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه [3] .

وقد فسر الطبري الفحشاء والمنكر هنا بما ينسجم مع سياق الآيات والتي هي في حادثة الإفك فيقول : " يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره ، بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا وإذاعتكموها فيهم ، وروايتكم ذلك عمن جاء به ، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء – وهي الزنا – والمنكر من القول " [4].

ويظهر لنا من كل ما سبق أن السوء والمنكر يتعانقان في معناهما الشامل لكل معصية وإثم يقع فيه الإنسان ، غير أن السوء يكتسب اسمه من جهة العاصي بكون تلك المعصية تسوءه في دنياه وآخرته ، والمنكر يكتسب اسمه من إنكار العقل والقلب والشرع له ، أما الفحشاء فهي مرتبة أخص ، وإن كانت تندرج في عموم السوء والمنكر ، ولكنها تتميز بشدة سوئها ، وبروز نكرانها ، فلا تصل إلى درجة النكران فحسب بل تتعداها إلى الاستقباح ، ولا تقف عند حد إلحاق الضرر

---

[1] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 6 – ص 281 .

[2] - سورة النور ، الآية 21 .

[3] - معجم المقاييس في اللغة – لابن فارس – ص 1047

[4] - جامع البيان – للطبري – م 10 – ج 18 – ص 128 .

فحسب ، بل تتعداه إلى وقوع المفسدة العظيمة من جرائها ، فتلــك هــي الغايــة الأولى لإبليس وجنده في سعيهم إلى إفساد المجتمع المؤمن ، وهذه الغاية في حــد ذاتها خطوة كبرى إلى الغاية التي تليها وهي إيقاع متبعي الفحشاء والسوء والمنكر في الكفر بالله .

المطلب الثاني : إيقاع الناس في الكفر :

يسعى إبليس وجنده من خلال بلوغ الغاية السابقة إلى إيقاع النــاس فــي أعظم ذنب في هذا الكون ، ألا وهو الشرك بالله والكفر به ، وهذه الغاية هي مــن أعظم غايات الشيطان ، حيث هي هدفه الأسمى في الدنيا ، وطريقه الأقرب إلــى غاية الغايات ونهاية النهايات ، وإبعاد أعدائه عن الجنّة ، ولقد توعــد إبلــيس آدم وذريته بأن يدخلهم في حزبه ، وهو حزب الكافرين يقول تعالى : ﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَــكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلا قَلِــيلاً** ﴾ [1] "والمعنى أنه يقول : أرأيتك هذا الذي شرفته وعظمته علي ، لئن أنظرتني لأضلن ذرّيته إلا قليلاً منهم " [2] وقد أقسم الشيطان على غايته هذه فقال : ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِــكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [3] " ويكشف الشيطان بهذا عن هدفه الذي ينفق فيه حقــده ، وبهذا يتحدد منهجه ويتحدد طريقــه أنه يقســم بعزة الله ليغوين جميع الآدميين ، لا يستثني إلا من ليس له عليهم سلطان لا تطوعاً منه ، ولكن عجزاً عــن بلــوغ غايته فيهم ! وبهذا يكشف عن الحاجز بينه وبين النــاجين مــن غوايتــه وكيــده والعاصم الذي يحول بينه وبينهم ، إنه عبادة الله التي تخلّصهم " [4] .

ويعمل شياطين الإنس مع شياطين الجن جنباً إلى جنبٍ على تحقيق هــذه الغاية ، فالطواغيت في كل مكان وزمان لا يهدأ لهم بال حتى يخرجوا الناس من الإيمان إلى الكفر ومن النور إلى الظلمة يقول تعــالى : ﴿ **... وَالَّــذِينَ كَفَــرُوا**

---

[1] - سورة الإسراء ، الآية 62 .

[2] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 9 – 39 .

[3] - سورة ص ، الآية 82 .

[4] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 5 – ص 3028 .

أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ... ﴾ [1] " والذين كفروا : أي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم (أولياؤهم الطاغوت) أي الشيطان وسائر المضلين عن طريق الحق ... (يخرجونهم) بالوساوس وغيرها من طرق الإضلال والإغواء (من النور) الفطري الذي جُبل عليه الناس كافة أو من نور البيانات التي يشاهدونها من جهة النبي – صلى الله عليه وسلم – بتنزيل يمكنهم من الاستضاءة بها (إلى الظلمات) ظلمات الكفر والانهماك في الغي " [2] .

ويشدد الحق سبحانه على أن الشرك به إنما هو درب الشيطان وغايته في عباد الله ، فيقول في آيتين متعانقتين ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً * إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَاناً مَرِيداً** ﴾ [3] فهذا الشرك الذي لا يُغفر هو الضلال البعيد ، وهذا الضلال ما هو إلا عبادتهم الأوثان والملائكة ، وما هذه العبادة إلا اتباع للشيطان اللعين " ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثاً ، أي : أوثاناً وأصناماً ... ومع هذا فعبادتهم إنما صُورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة وفي الحقيقة ما عبدوا غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد إهلاكهم ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه " [4] .

والآيات في توعد الشيطان أعداءه بالإغواء والإضلال كثيرة في كتاب الله [5] .

المطلب الثالث : الصد عن سبيل الله :

يرتقي الشيطان في حربه على الحق درجة أعلى من سابقتها ، فهو إنما يرمي من وراء إيقاع الناس في الكفر إلى غاية ، هي عنده ، أسمى وأعلى ، ألا

---

[1] - سورة البقرة ، الآية 257 .

[2] - إرشاد العقل السليم – لأبي السعود – ج 1 – ص 250 ، 251 .

[3] - سورة النساء ، الآيتان 116 ، 117 .

[4] - تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص 193 .

[5] - انظر : النساء ، الآية 60 ، الأنعام ، الآية 71 ، النحل ، الآية 99 ، الحج ، الآية 53 ، القصص ، الآية 15 ، الحشر ، الآية 16

وهي الصد عن سبيل الله وإعلان الحرب على دينه ، وصراطه المستقيم ، وقد أفصح إبليس في السماوات العلا عن هذا المنهج ، وهو منهج الهجوم على الحق والكيد لأهله ، حيث قال لربه بعد ما نال إنظاره إياه : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [1] " يخبر تعالى أنه لما أنظر إبليس (إلى يوم يبعثون) واستوثق إبليس بذلك ، أخذ في المعاندة والتمرد ، فقال : كما أغويتني ، قال ابن عباس : كما أضللتني ، وقال غيره : كما أهلكتني ، لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه ، على صراطك المستقيم ، أي : طريق الحق وسبيل النجاة ، فلأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي . قال مجاهد (صراطك المستقيم) يعني : الحق ... وقد أخرج أحمد في مسنده عن سبرة بن أبي فاكه[2] ، قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام ، فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتدع أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل ، فتُنكح المرأة ، ويقسم المال ، فعصاه فجاهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة ، ومن قتل كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة) [3] " [4] .

---

1 - سورة الأعراف ، الآية 16 .

2 - سبرة بن الفاكه ، ويقال بن أبي الفاكه ، ويقال بن أبي الفاكهة ، وبن أبي الفاكهة ، له صحبة ، نزل الكوفة ، له عن النبي – صلى الله عليه وسلم – حديث واحد – تهذيب التهذيب – لابن حجر العسقلاني ج 3 – ص 453 – ترجمة746 .

3 - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – سنن النسائي – كتاب الجهاد – باب : ما لِمَن أسلم وهاجر وجاهد – ص 2289 – ح 3136 ، وأخرجه أحمد – ج 3 – ص 483 – ح 16000 صححه الألباني – السلسلة الصحيحة – ح 2979 – ج 6 – ص 1186 .

4 - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 6 – ص 267 .

وقــد شـــن إبليس وجنده هذه الحـــرب علـــى ديـــن الله علـــى مـــستوى الجماعات والأفراد ، فلا يأتين أمـــة إلا وزين لهـــا الكفر بـــالله فأزلقهـــا عـــن صراطه المستقيم وبالتالي كانت غوايته تلك لأهل الإيمان حرب علـــى ديـــن الله ومكر له ، يقـــول تعالى في حق قومي عاد وثمود : ﴿ **وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَـيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَـصَدَّهُمْ عَـنِ الـسَّبِيلِ وَكَـانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾ [1] ، " فردهم بتزيينه لهم ما زين من الكفر ، عن سبيل الله ، التي هي الإيمان به وبرسله ، وما جاءهم به من عنـد ربهـم " [2] ، وفي حق قـــوم سبأ يقـــول تعالى على لســـان الهدهـد : ﴿ **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلـشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّـنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُـمْ فَصَدَّهُـمْ عَـنِ الـسَّبِيلِ فَهُـمْ لا يَهْتَدُونَ** ﴾ [3] " فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه ومعناه : فصدهم عن سبيل الحق (فهم لا يهتدون) أي فهـم - لما قد زين لهـم الشيطان ما زين من سجود للشمس من دون الله والكفر به - لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه ، ولكنهـم في ضلالهـــم الـذي هـم فيـه يتمردون " [4] .

هذا المكر لدين الله على مستوى الجماعات والأمم ، أما علـــى مـــستوى الأفراد فيقول تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَـهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُـمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَـدُونَ** ﴾ [5] " وكـأن الكلام : وإن العُشاة ليصدونهم الشياطين عن السبيل ، أي سبيل الهدى والفـوز ، ويحسبون : أي الكفار أنهم مهتدون " [6] .

---

[1] - سورة العنكبوت ، الآية 38 .
[2] - جامع البيان – للطبري – م 11 – ج 20 – ص 183
[3] - سورة النمل ، الآية 24 .
[4] - جامع البيان – للطبري – م 11 –ج 19 – ص 175 .
[5] - سورة الزخرف ، الآية 36 ، 37 .
[6] - البحر المحيط – لأبي حيان – ج 9 – ص 374 .

مشاهد من الواقع :

الناظر في هذه الغاية الشيطانية للوهلة الأولى يدرك كم هو العـــالم اليـــوم واقع فيها ، إما قائماً عليها ، وإما واقعاً في أثرها ، فأيامنا هذه تتحدث بوضـــوح عن الحرب المعلنة على الإسلام ، والتي بدأت منذ قرون ، وإن كانت لم تتوقـــف أصلاً منذ بدء الخليقة ، ولكن أتحدث عن بدئها في عصرنا الحالي ، فقد بـــدأت بالغاية التي قبل هذه الغاية وهي إيقاع الناس في الكفر ، وجهد الشيطان وأتباعـــه على تزيين كل الطرق لتحقيق هذه الغاية وبالتالي ضرب الإسلام وأتباعه ، ولكن هذه الغاية ، وهي الصد عن سبيل الله ، بدأت تبرز بوضوح في عصرنا الحاضر لما فشلت الغاية السابقة في تحقيق هذه الغاية بشكل ناجع ، فأخذ شياطين الإنـــس بتوجيه سهامهم مباشرة إلى دين الله وإلى المؤمنين به يسومونهم ســـوء العـــذاب بالقتل ، والتعذيب ، والسجن ، والإبعاد ، والحرب ، وغيرها من طرق الـــشيطان في الصد عن سبيل الله ، ولكن كما يقول الحق سبحانه ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ (1)

المطلب الرابع : إبعاد أعدائه عن الجنة :

وهذه هي غاية الغايات ، وهدف الأهداف للشيطان ، لا يعمل كل ما يعمل في هذه الدنيا ، ولا يجند كل جنده ويجيش كل جيوشه من الإنس والجن إلا ليبلـــغ بأعدائه هذه الغاية ، فيطردهم من رحمة الله ، ويوقعهم بالتالي في عذابـــه المقـــيم فيلجوا معه جهنم وبئس المصير ، وما هذا إلا حسداً منه وحقداً على كل مـــسلم ، كيف يراه بعيداً عنه ينعم في جنة الرحمن ، وهو يتلظى بلهب جهنم ، فلن يهـــدأ لإبليس بال ، ولن يطمئن له جنان حتى يرى الخلق كلهم معه في جهنم ، ولقد كان هذا المطلب همَّ إبليس الأول منذ خلْق آدم وزوجه وإدخالهما الجنة ، فقد سعى بكل ما أوتي من قدرات على الإغواء إلى أن يخرجهما منها، وأفلح في النهاية ، يقول تعالى : ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ... ﴾ (2) ، فأهبطهمـــا

---

[1] - سورة التوبة ، الآية 32 .

[2] - سورةالبقرة ، الآية 36 .

إلى الأرض ، وأسس دعوته فيها على ألا يدخل واحد من أعدائه في الجنة ، بـــل يجب أن تكون نهايتهم هي الكفـــر والخلـــود في النار ، وعمل لأجل هذه الدعوة لا يفتـــأ ولا يفتـــر ، يصـــل الليـــل بالنهار في تحقيق هذه الغاية ، يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُـــوا مِـــنْ أَصْـــحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [1] " يعني : شيعته ، ومن أطاعه إلى طاعته ، والقبول منه ، والكفـــر بالله (ليكونوا من أصحاب السعير) : ليكونوا من المخلدين في نار جهـــنم التـــي تتوقد على أهلها " [2] ، وهذا القصر بإنما يحصر دعوة إبليس وجنـــده فـــي هـــذه الحياة الدنيا على هدف واحد ، إذ الغاية الحقيقية من كل خطواته وغاياته ، هـــي دخول البشر جميعهم إلى السعير وملازمتهم إياها فيكونوا من أصحابها .

وقد تعجب الحق سبحانه وتعالى من أولاء الذين يتبعـــون الـــشيطان مـــع معرفتهم بأن هذه هي غايته منهم ، حيث يقول : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْـــزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَـــذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [3] .

وقد بين الحق سبحانه هذا الهدف لإبليس ، بينه لأدم وزوجه ، ولـــذريتهما من بعدهما حيث جعل عداوته لآدم وزوجـــه متمثلة بإخراجهما من الجنة ﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى** ﴾ [4] .

---

[1] - سورة فاطر ، الآية 6 .

[2] - جامع البيان – للطبري – م 12 – ج 22 – ص 142 .

[3] - سورة لقمان ، الآية 21 .

[4] - سورة طه ، الآية 117 .

المبحث الثالث
غايات فرعية

أجملنا في المبحث السابق الغايات التي يسعى عدو الله إبليس وجنده إلى تحقيقها في هذا الكون ، تلك الغايات التي يتمثل فيها الشر المحض ، وتتحى بالعالم إلى الهلاك والفساد ، وبعد هذا اللف ننشر في هذا المبحث ما طويناه سابقاً لنبرز مفاصل هذا الإغواء وأخطر مظاهره ، كما يصورها الكتاب العزيز ، ويأتي هذا التفصيل منضوياً تحت لواء الغايات العامة ، فهذا المبحث ، كما أسميناه ، فرع عن المبحث السابق ، فغاية إيقاع الناس في الكفر تتفصل في مطلبها ، وغاية السوء والفحشاء والمنكر ، تتفصل في مطلبين : إيقاع الناس في المحرمات ، وتمزيق المجتمع ، وسوف نفصل في كل مطلب على القدر الذي جاء في كتاب الله – عز وجل - :

المطلب الأول : إيقاع الناس في الكفر :

تحدثنا عن هذه الغاية فيما سبق ، وسنذكر هنا معالم هذا الكفر ، كما بينها كتاب الله ، مرتبطة بالشيطان :

أولاً : التحاكم إلى الطاغوت :

الطاغوت هو الشيطان ، كما عرفنا ، بل هو شيطان ذو معنى خاص ، هو شيطانٌ تجاوز الحد في العتو والتمرد فتجرأ على خصيصة من خصائص الله – سبحانه وتعالى – فنصب نفسه معبوداً من دونه ، وهذه تحديداً هي الغاية التي نتحدث عنها ، غاية خطيرة جداً ضربت بجذورها في عمق التاريخ البشري ، تلك الغاية التي يسعى الشيطان من خلالها إلى تحويل العباد عن عبادة خالقهم وربهم الحق إلى عبادته هي أصل الفساد والشر ، وقد قرر الحق سبحانه أن الضلال كل الضلال والبعد عن الحق كل البعد هو في اتباع الشيطان على هذه الغاية ، يقول سبحانه في حق اليهود والمنافقين : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا**

أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [1] " فعن ابن عباس أن الطاغوت : رجل من اليهود كان يقال له كعب بن الأشرف ، وكانوا إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليحكم بينهم قالوا : بل نحاكمكم إلى كعب " [2] ، وقد أخرج الطبري في سبب نزول هذه الآية عن عامر قال : " كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة ، فكان المنافق يدعو إلى اليهود لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة ، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة ، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهينة ، فنزلت فيه هذه الآية " [3] .

ونلاحظ هنا ارتباط هذه الغاية الشيطانية بشكل واضح بفئتين معينتين من الناس هما اليهود والمنافقون ، وهاتان الفئتان ، كما قدمنا قبل ، هما من أولياء الشيطان الذين يستعملهم لإغواء البشر ، فهما في مقدِم الخلق أجمعين سعياً إلى تحقيق هذه الغاية الخبيثة ، التي تفتت البشر وتنقلهم من الحاكمية المطلقة لله إلى حاكمية الهوى والشيطان ، يقول صاحب الظلال : " هؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى غير شريعة الله – الطاغوت – قد يكونون جماعة من المنافقين كما صرح بوصفهم في الآية الثانية من هذه المجموعة ، وقد يكونون جماعة من اليهود الذين كانوا يُدعون - حين تجِدُّ لهم أقضية مع بعضهم البعض أو أهل المدينة - إلى التحاكم إلى كتاب الله فيها ... أو إلى التوراة أحياناً ، أو إلى حكم الرسول أحياناً – كما وقع في بعض الأقضية – فيرفضون ويتحاكمون إلى العرف الجاهلي الذي كان سائداً " [4] ، وقد فصلت سورة المائدة بإسهاب في هذه السجية الشيطانية لليهود ، وبكّتتهم على نكوصهم عن حكم الله وتسارعهم إلى التحاكم إلى رهبانهم وأحبارهم الذين حرفوا التوراة وأدخلوا فيها أهواءهم ، فهذه الآية تربط

---

[1] - سورة النساء ، الآية 60 .

[2] - جامع البيان – للطبري – م 4 – ج 5 – ص204 .

[3] - المرجع السابق – م 4 – ج 5 – ص 203 .

[4] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 2 – ص 693 .

هذه الغاية بهم ، ثم يأتي تفصيلها هناك في المائدة ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [1] .

واقع العالم اليوم في ظل هذه الغاية :

لقد انتشرت هذه الغاية في جنبات عالمنا اليوم انتشار النار في الهشيم ، فلم تترك قارة ، ولا شعباً ، ولا دولة إلا ودخلت في مجالس الحكم فيها ، وتسللت إلى قمة الهرم منها ، ولقد غابت معالم حكم شرع الله الحق عن أكثر أهل الأرض وأفلح اليهود في نشر التحاكم إلى الطاغوت في كل الأرجاء ، حتى أصبح دورهم الرئيس فيه وكأنه قد اختفى ، ولكننا بعودنا إلى آيات الله ندرك أن هذه الجريمة ، مهما انتشرت ، ومهما تلقفها الجهلاء ، فهي ما خرجت في أي زمان أو مكان عنهم ، أليسوا هم من وصفهم الله بأنهم عبدة الطاغوت : ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [2] ، هؤلاء المجرمون الذين مرروا عبادتهم للشيطان إلى بقية الخلق عبر شياطينهم من الإنس فابتدعوا لهم من المذاهب الكاذبة ما لا عد له ولا حصر ، وكان سبيلهم في ذلك نزع البشر من كل دين ، سواء أكان ديناً صحيحاً أو محرفاً ، حتى يجعلهم يتحاكمون إلى أهوائهم وإلى نفوسهم المريضة فيما يسمى بالماسونية[3] العالمية ، فقد ورد في برتوكولات حكماء صهيون ما نصه : "حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا، ــ أي الدين المعترف

---

[1] - سورة المائدة ، الآية 50 ..

[2] - سورة المائدة ، الآية60 . .

[3] - وتعني عند أصحابها : البنائون الأحرار ، والبنائون الأحرار هم الذين بنوا هيكل سليمان وهي حركة يهودية قديمة أخذت شكلها الحديث على هيئة جمعية تأسست في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وضع أفكارها المسيحي المرتد وايز هاويت عام 1767 ، وترمي الماسونية إلى وضع خطة للسيطرة على العالم عن طريق فرض الإلحاد على البشر جميعاً ، وهي تستقي أفكارها من تعاليم الحاخامات اليهود في التلمود ومن بروتوكولات حكماء صهيون – الاتجاهات الفكرية المعاصرة - على جريشة – ص 228 – 233.

بوحدانية الله ــ الذي ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي أثمار ملحدين فلن يدخل هذا في موضوعنا، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا - بعقيدته الصارمة - واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا " [1] ويعلق الأستاذ عباس محمود العقاد على هذا النص فيقول : " ليلاحظ القارئ أن علماء اليهود يجدون بكل ما في وسعهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب دور كايم [2]والشيوعية والوجودية ومذهب التطور والسريالية، وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به إلى نشر الإلحاد ، ونسف الإيمان من النفوس، وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين في كل الأقطار ومنها مصر يروجون لآرائهم الهدامة بين الناس جهلاً وكبراً ، ولو استقل هؤلاء التلاميذ في تفكيرهم لكشفوا ما في آراء أساتذتهم اليهود من زيف وما وراء نظرياتهم من سوء النية " [3].

وقد نشأ من جراء هذه الهجمة اليهودية الشرسة على الأديان والدعوة إلى التحاكم إلى الطواغيت ، جيل كامل من أذناب اليهود وأتباعهم من المنافقين من كل ملة ودين ، وهم من كانوا في مدينة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتسترون تحت ستار الإسلام ويطلبون التحاكم إلى الشيطان ، وهم اليوم أنفسهم من يتسترون بستار ديننا ، يتكلمون بألسنتنا ، ويلبسون لباسنا ، وهم في نفس الوقت ، إن دعوتهم إلى حكم الله ورسوله ، نظروا إليك نظر المغشي عليه من الموت " ولكن المصيبة تكمن في معرفة واقع هؤلاء الناس وحقيقة أمرهم ، الذين يرفعون شعار الإسلام ، ويدعون الدفاع عنه ، في حقيقة أمرهم يرفضون

---

[1] - برتوكولات حكماء صهيون – ترجمة وتقديم عباس محمود العقاد – ص 97 .

[2] - إيميل دوركايم فرنسي ، ولد بمدينة أبينال 1858 أحد رواد تطوير علم الاجتماع الحديث درس القانون والفلسفة والاجتماع بجامعة بوردو ، مات عام 1917 – موقع موسوعة إنكارتا على شبكة الإنترنت http://welfare.nashiri.net/durkheim.htm

[3] - المرجع السابق – ص 97 .

كل الرفض تطبيق شرع الله في أرض الله بين عباده ، يقـرِّه أحياناً برلمـانهم المزعوم ، ولكن يرفضه هؤلاء الشياطين من الإنس ، وإذا وجدوا أن هناك آيـة واحدة تؤيد بعض مزاعمهم أسرعوا إليها وتشدقوا بها ، وأخذوا يرددونها صباحاً ومساءً ، وهم في نفس الوقت يُعرضون عن القرآن كله والعمل به وتحكيمه فـي شؤون الدولة وحياة الشعوب فضلاً عن حياتهم الخاصة ، فهل هم ممـن يـؤمن ببعض الكتاب ويكفر بأكثره ؟ أم هم ممن قال الله فيهم : ﴿ **وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَـقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيـفَ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ** ﴾ [1] لا يعلم إلا الله وحده مبلغ هؤلاء من الكذب على الله وعلى خلقه وهم يرفعون شعار الإسلام ، ويتاجرون به في كل نـادٍ ، ولا يعلـم إلا الله وحده مبلغ الضرر الذي يلحقونه بالإسلام والمسلمين وهم يتلاعبون بآيـات الله ، ويحرفون الكلـم عن مواضعـه ، ويميلون بالمعاني عما أنزلت له ، ويلحـدون في آياته " [2] .

ثانياً : القول على الله بغير علم :

قد يظن ظانٌّ أن هذه الغاية الشيطانية هي جزء من سابقتها - التحاكم إلى الطاغوت - ، والحق أن هاتين الغايتين متغايرتان ومتباينتان ،فالأُولى كان هـمُّ الشيطان فيها صرف أعدائه عن الأخذ بمنهج الله والتحاكم إليه إلى الأخذ بمناهج الأرض ، أما هذه الغاية فأصحابها قومٌ انتسبوا إلى شرع الله وحكمـه ، ولكـنهم أرادوا اتباع أهوائهم في نفس الوقت الذي ينالون فيه شرف الانتساب إلى شـرع الله ، فبدلوا شرع الله وحرفوه وغيروه ، فكذبوا على لسان ربهم وافتروا عليـه ، فأحلوا ما حرم ، وحرموا ما أحل ، وحرفوا كتبه ، وهذه هي الغاية التـي قـرر الحق أنها من هدي الشيطان ووحيه وأمره ، يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا**

---

[1] - سورة النور ، الآيتان 49 ، 50 .

[2] - مجلة السنة – بين شياطين الإنس وشياطين الجن – محمد عبد الرحمن – العدد 9-10 ، 1411 هـ، 1991 م.

يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [1] " وأما قوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فهو ما كانوا يحرمون من البحائر[2] والسوائب[3] والوصائل[4] والحوامي[5] ، ويزعمون أن الله حرم ذلك ، فقال تعالى ذكره لهم ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ** ﴾ [6] فأخبرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن قيلهم إن الله حرم هذا من الكذب الذي يأمرهم به الشيطان ، وأنه قد أحله لهم وطيَّبه ، ولم يحرم أكله عليهم ، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون حقيقته طاعة منهم للشيطان ، واتباعاً منهم لخطواته ، واقتفاء منهم آثار أسلافهم الضُّلاّل وآباءهم الجهَّال ، الذين كانوا بالله وبما أنزل على رسوله جهّالاً ، وعن الحق ومنهاجه ضلاّلاً " [7] ، وهذا الذي ذكره الطبري إنما هو مثال للافتراء على الله ، ولفظ الآية يعم كل قول على الله بغير علم ، يقول السعدي : " فيدخل في ذلك القول على الله بلا علم في شرعه وقدره ، فمن وصف الله بغير

---

1 - سورة البقرة ، الآيتان 168 ، 169 .

2 - البَحِيرة: كانوا إذا ولدت إبلهم سَقْباً بَحَروا أُذنه أَي شقوها، وقالوا: اللهم إِن عاش فَقَنِيٌّ، وإِن مات فَذَكيٌّ؛ فإِذا مات أَكلوه وسموه البحيرة، لسان العرب – ج 4 – ص 43 .

3 - السوائب : جمع سائبة ، وكانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يُركب ظهرُها، ولم يُجَزّ وبَرُها، ولم يَشْرَبْ لَبَنَها إلا ضَيْفٌ، فتركوها مُسَيَّبَة لسبيلها وسمَّوها السائبة، فما ولدت بعد ذلك من أُنثى شقوا أُذنها وخلُّوا سبيلها، وحرم منها ما حرم من أُمّها، -المرجع السابق ج 1 – ص 478.

4 - الوصائل : جمع وصيلة ، وهي في الشاة خاصة كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فإذا ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم و الوصيلة التي كانت في الجاهلية الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن وهي من الشاء التي ولدت سبعة أبطن عناقين عناقين فإن ولدت في السابع عناقا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الأم إلا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة -المرجع السابق -ج11- ص729.

5 - الحوام : جمع حام ، وهو الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود قيل عشرة أبطن فإذا بلغ ذلك قالوا هذا حام أي حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى - لسان العرب - ابن منظور ج14- ص202.

6 - سورة المائدة ، الآية 103 .

7 - جامع البيان للطبري – م 2 – ج 2 – ص 104 .

ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله أو نفى عنه ما أثبته لنفسه أو أثبت له ما نفاه عن نفسه ، فقد قال على الله بلا علم ، ومن زعم أن لله ندا وأوثانا تُقَرِّب مَن عَبَدها من الله ، فقد قال على الله بلا علم ، ومن قال إن الله أحل كذا أو حرم كذا أو أمر بكذا أو نهى عن كذا بغير بصيرة فقد قال على الله بلا علم ، ومن قال إن الله خلق هذا الصنف من المخلوقات للعلة الفلانية بلا برهان له بذلك فقد قال على الله بلا علم ، ومِن أعظم القول على الله بلا علم أن يتأول المتأول كلامه أو كلام رسوله على معاني اصطلح عليها طائفة من طوائف الضلال ، ثم يقول إن الله أرادها ، فالقول على الله بلا علم من أكبر المحرمات وأشملها وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها ، هو وجنوده ويبذلون مكرهم وخداعهم على إغواء الخلق بما يقدرون عليه " [(1)] .

ارتباط هذه الغاية باليهود :

تحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، وتحريف كتب الله بالزيادة فيها ، أو النقص منها ، أو بتغيير كلامه ، كل هذا يدخل تحت مسمى القول على الله بغير علم ، وهو كله مرتبط ارتباطاً وثيقاً باليهود في كتاب الله ، فهم من تخصص بتحريف كتب الله من لدن موسى – عليه السلام – أول أنبيائهم حتى آخر أنبيائهم فها هو الله يبكتهم على افترائهم عليه في قضية معافاتهم من العذاب يوم القيامة فيقول : ﴿ **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [(2)] ، وتبكيت آخر لهم على تحريفهم كتب الله : ﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [(3)] ، وتبكيت ثالث على افترائهم على ربهم بزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن غيرهم إنما هم أميون لا إثم على

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص 81 .

[2] - سورة البقرة ، الآية 80 .

[3] - سورة آل عمران ، الآية 78.

مرتكب الآثام فيهم ، يقول : ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [1] والآيات في هذا الباب كثيرة ، أما في تحليل الحرام وتحريم الحلال فيقول تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [2] ، وقد اتبعهم على هذا أكثر العرب في جاهلية ما قبل الإسلام ، وبرز هذا الاتباع في باب الأنعام من حيث حلها وحرمتها فتقوَّلوا على الله ما لم ينزل به سلطاناً ، وهذا الموضوع مبسوط في سورة الأنعام ، ثم يأتي عرب اليوم ليقتفوا آثار أجدادهم فيتبعوا اليهود على تزييف دين الله والافتراء عليه في كثير من القضايا ، كقضية الجهاد ، والحجاب الذي سمعنا في الآونة الأخيرة أناساً ممن ينتسبون إلى هذا الدين ، ويتكلمون باسمه وهم لا يقيمون وزناً شرعياً للحجاب ، بل يعُدُّونه من مندوبات الدين إن لم تكن من مكروهاته ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثالثاً : السحر :

وتلك هي الوقيعة الثالثة في منحدر الكفر الشيطاني ، يوقع إبليس أعداءه فيها فيخرجهم من الظلمات إلى النور محققاً بذلك غايته فيهم ، ألا وهي الكفر بالله ولا يقتصر الأمر على كون السحر غاية ، بل هو خطوة تفضي إلى ما هو شر على صاحبها وعلى المجتمع .

السحر في اللغة والاصطلاح :

1- في اللغة :

السحر : عمل تُقُرِّبَ فيه إلى الشيطان وبمعونة منه ، كل ذلك الأمر كينونة للسحر ، ومن السحر الأُخْذَةُ التي تأخذ العين حتى يُظَنَّ أن الأمر كما يُرى وليس الأصل على ما يرى ، وكل ما لطُف مأخذه ودقَّ فهو سحر ، والجمع أسحار

[1] - سورة آل عمران ، الآية 75 .

[2] - سورة التوبة ، الآية 31 .

وسُحور ، والسحر : البيان في فطنة ، والسحر : صرف الشيء عن حقيقته إلـــى غيره ، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء علـــى غيـــر حقيقته ، والسحر : الخديعة [1] .

2- في الاصطلاح :

ورد السحر في كتاب الله في عدة مواضع ، ارتبط واحد منها بالشيطان ، وهو آية السحر في البقرة [2] ، وهو ما يعنينا تعريفه في بحثنا هذا ، إذ إن السحر له معانٍ مختلفة ، منها ما يرتبط بالشيطان ، ومنها ما يرتبط بخفة اليد والتخييل ومنها ما يرتبط بحسن الكلام وأخذه للألباب ، وقد عرّف الأستاذ وحيد بالي السحر بمفهومه المرتبط بالشيطان ، والمفسد للعلائق البشرية تعريفاً مقبولاً نأخذ به فـــي بحثنا هذا حيث يقول :

السحر اتفاق بين ساحرٍ وشيطان على أن يقـــوم الـــساحر بفعـــل بعـــض المحرمات أو الشركيات في مقابل مساعدة الشيطان له وطاعته فيما يطلب منه[3] .

السحر والشيطان :

ارتبطت قصة السحر منذ بدايتها بالشيطان ، ونبي الله ســـليمان – عليـــه السلام – وبالملكين هاروت وماروت ، وجمعت بينهم آية البقرة ﴿ **وَاتَّبَعُـــوا مَـــا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** ... ﴾ [4] ، وقد كثر الكلام والاخـــتلاف بـــين المفسرين على قصة الملكين وعلاقتهما بالسحر ، وهل كانا ملكين على الحقيقة ، أم رجلين صالحين ؟ وهل علّما الناس السحر ، أم اختُلِق الأمر عليهما ... إلـــخ ؟ وبما أننا بصدد بحث قرآني يبحث عن السحر كخطوة وغاية من غايات الشيطان

---

[1] - لسان العرب – لابن منظور – ج 4 – ص 348 ، 349 .

[2] - سورة البقرة ، الآية 102 .

[3] - الصارم البتار في التصدي للسحرة والأشرار – لوحيد بالي – ص 17 .

[4] - سورة البقرة ، الآية 102 .

فإن كل ما قيل من كلام وخلاف لا يعنينا هنا ، بل ما يعنينا من ذلك هو علاقة السحر بالشياطين ، وعلاقته باليهود ، أما بالشيطان فقد أخرج الطبري بسنده عن سعيد بن جبير قال " كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر ، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته ، فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه ، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم أتريدون العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك ؟ قالوا : نعم ، قالوا : فإنه في بيت خزانته ، وتحت كرسيه ، فاستثارته الإنس فاستخرجوه فعملوا به ، فقال أهل الحجاز كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر ، فأنزل الله جل ثناؤه على لسان نبيه محمد براءة سليمان ، فقال (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) الآية فأنزل الله براءة سليمان على لسان نبيه عليهما السلام " [1] وليس السحر مرتبطاً بزمن سليمان بل كان قبله "قال الحسن البصري : " كان السحر قبل زمن سليمان " ، وهذا صحيح لا شك فيه لأن السحرة كانت في زمان موسى عليه السلام وسليمان بن داود كان بعد موسى ، وقوم صالح (وهم قبل إبراهيم – عليه السلام -) قالوا لنبيهم صالح : ﴿ **قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** ﴾ [2] ، والسحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ، ودقة أفهامهم ، وكانوا يرتقون إلى السماء ، ويستمعون الأخبار ويلقون بها إلى الكهان ، فلما اطمأن الناس إلى صدقهم وأنهم يعلمون الغيب ، خلطوا بالصدق أكاذيب ، وكتبوا بذلك كتباً ، وفتنوا الناس بها " [3] .

السحر واليهود :

الآية صريحة في كون اليهود هم أكثر أتباع الشياطين على عمل السحر ، فهي في سياق الحديث عنهم ، وسليمان – عليه السلام – نبيهم يقول صاحب التفسير المنير : " نبذ اليهود كتاب الله واتبع فريق من أحبارهم وعلمائهم – الذين

---

[1] - جامع البيان – للطبري – م 1 – ج 1 – ص 451 .

[2] - سورة الشعراء ، الآية 153 .

[3] - مجلة الأزهر – فقه آية كريمة – عبد الباقي أحمد سلامه – ص 1056 – رجب 1405 هـ – العدد السابع .

نبذوا التوراة – السحر والشعوذة في زمن مُلك سليمان ؛ لأن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، فيضمون إليه أكاذيب ، ثم يلقنونها الكهنة ، فيعلمونها الناس ، فيقولون إن هذا علم سليمان ، وقام مُلك سليمان بهذا ، فرد الله عليهم بأن سليمان ما فعل ذلك وما عمل سليمان بالسحر ، ولكن الشياطين هم الذين كفروا باتباع السحر وتدوينه وتعليمه للناس ، على وجه الإضرار والإغواء ، ونسبته إلى سليمان على وجه الكذب وجحْد نبوته " [1] .

إذاً فالأمر لا يقتصر على كون اليهود أتباعاً للشياطين في السحر ، بل هم همزة الوصل بين الشياطين والناس في جلب هذا العلم وتعليمه ، وهذا الضمير (هم) لا يعود على مجمل اليهود ، بل يعود على علية القوم فيهم ، على الذين من المفترض أن يكونوا هم حماة الدين وأهله ، يعود على الكهنة والرهبان ، الذين باعوا دين الله وكتابه ، واستبدلوه بهذه الفرية العظيمة من السحر والشعوذة ، يقول عبد المنعم الهاشمي : " كانت الشياطين في عهد سليمان تلقن كاهن اليهود قواعد السحر ، وتدَّعي كذباً أن مُلك سليمان وسلطانه على الإنس والجن والطير والريح لم يقم إلا على تلك القواعد التي دُونت في كتب لديهم توارثها الخلف عن السلف حتى وصلت إلى اليهود بالمدينة " [2] .

السحر والكفر :

قلنا إن الشيطان يهدف من وراء هذه الغاية إلى إيقاع أعدائه من الجن والإنس في غاية أعظم وهي الكفر بالله ، ولذا فهو لا يُمكّن طالب السحر من بلوغ مراده إلا بعد أن يعلن له الكفر بالله عز وجل ، ولهم في ذلك طرق شتى " فمن السحرة من يرتدي المصحف في قدميه يدخل به الخلاء ، ومنهم من يكتب آيات من القرآن بالقاذورات ، ومنهم من يكتبها بدم الحيض ، ومنهم من يكتب آيات من القرآن على أسفل قدميه ، ومنهم من يكتب الفاتحة معكوسة ، ومنهم من يصلي بدون وضوء ، ومنهم من يصلي جنباً ، ومنهم من يذبح للشيطان فلا يذكر اسم الله

---

[1] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 1 – ص 244 .

[2] - من كنوز القرآن السحر في القرآن العظيم – لعبد المنعم الهاشمي – ص 37 .

عند الذبح ، ويرمي الذبيحة في مكان يحدده له الشيطان ، ومنهم من يخاطب الكواكب ويسجد لها من دون الله ، ومنهم من يأتي أمه أو ابنته ، ومنهم من يكتب طلسماً بألفاظ غير عربية تحمل معانٍ كفرية . ومن هنا يتبين لنا أن الجني لا يساعد الساحر ولا يخدمه إلا بمقابل ، وكلما كان الساحر أشد كفراً كان الشيطان أكثر طاعة له ، وأسرع في تنفيذ أمره ، وإذا قصَّر الساحر في تنفيذ ما أمره به الشيطان من أمور كفرية ، امتنع الشيطان من خدمته ، وعصى أمره ، فالساحر والشيطان قرينان التقيا على معصية الله " [1] .

مضار السحر :

السحر غاية شيطانية توقع صاحبها في الكفر ، وهي خطوة شيطانية لإيقاع المجتمع في الفتنة والتمزق ، والتفريق بين أركانه ، وهو حديثنا في نهاية هذا الفصل بمشيئة الله ، والشيطان المحرض على هذا السحر هو من الإنس كما هو من الجن ، وهؤلاء الكفار لا يزالون يعيثون في مجتمعنا فساداً ، ويتكسبون عن طريق السحر ومشتقاته ، ويجمعون الأموال الطائلة من العامة مستغلين سذاجتهم وضعف إيمانهم وتلهفهم لقضاء حوائجهم الخاصة ، وهؤلاء الشياطين يتبعون في غايتهم هذه وسائل متعددة ذات علاقة بالسحر كالتخيل والخداع والتمويه ، والتواطؤ مع الكهنة والعرافين ، والاحتيال بإطعام الشخص بعض الأدوية والمواد المؤثرة في العقل [2] .

من لطائف هذا المطلب :

الناظر في هذه الغايات الثلاث يلحظ فيها – إلى جانب كونها تجتمع على إيقاع الناس في الكفر – أنها تشتمل على عامل مشترك وعنصر أساس يجمعها غير الشيطان طبعاً ، فالشيطان هو المؤسس لهذه الغايات ، والمحرض عليها ، ثم يأتي فريق آخر هو العنصر المحرك الناشط فيها ، ذلك العنصر هو اليهود ،

---

[1] - الصارم البتار – لوحيد بالي – ص 18 .

[2] - انظر : مجلة هدى الإسلام – ولكن الشياطين كفروا – عكرمة صبري – العدد 8 – ص 3-8 – السنة 1405 .

أولاء القوم الذين جمعوا من صفات الشر والخبث ما كان حرياً بها أن تقربهم من الشيطان وتجعلهم خادمه الأمين ، خادمه الأمين فيمَ ؟ في أخطر غايات ، وأخبث مقاصد ، تلك الغايات المؤدية إلى الكفر بالله والانضمام إلى فريق الشيطان ، فهذه الملة – اليهود – على ما نعلمه عنها من خبث ومكر وحقد على الحق ، إلا أن كل هذا لا يرتبط بشكل مباشر – في محافلنا العلمية – بالشيطان ، تلك الصورة الكفيلة بالتنفير منهم تنفيراً شديداً ، فهذه النتيجة التي خرج بها هذا المطلب تضع اليهــود والشيطان في زمرة واحدة على رأس هرم الكفر والحقد على دين الله ، وهذا مـــا يجب أن يكون حاضراً في ذهن كل مسلم مؤمن بالله – سبحانه وتعــالى – حتـــى يصير اليهودي الماكر عنده كما قال تعالى في صورة الشيطان منفراً ﴿ **أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴾ (1) .

المطلب الثاني : إيقاع الناس في المحرمات :

هذا المطلب تفصيل لما أجملنا في حديثنا عن إيقاع النـــاس فـــي الـــسوء والفحشاء والمنكر من الغايات العامة ، وسنذكر فيـــه من المعاصي مـــا ربطـــه كتاب الله بالشيطان :

أولاً : الاستقسام بالأزلام (التنجيم) :

الخوف من المجهول ، قضية شغلت الإنسان في قديم وحديث ، وما زالت تؤرقه فيجهد في تمنية نفسه بالأمل والمستقبل الموعود ، فيطلب معرفة ما قُدِّرَ له لا على وجهة الحقيقة طبعاً ، بل على الوجه الذي يوافق هواه فيفصل نفسه عـــن مصدر الحقيقة – الله سبحانه وتعالى – ويربط نفسه بأوهام مكذوبة تحولـــه إلـــى إنسان عاجز واهم ، أو إنسان ساخط متمرد ، ذلك كله غاية الشيطان فيما ســـماه القرآن : الاستقسام بالأزلام .

---

[1] - سورة الصافات ، الآيات 62 – 65 .

الأزلام جمع زَلَم ، والزّلُم والزَّلَم : القدَح الذي لا ريش عليه والجمع أزلام وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها [1] .

والعرب كانت تستقسم بالأزلام فتأخذ حظها ونصيبها وقدرها منها ، وتستقسموا بالأزلام معناها " أن تطلبوا علم ما قُسِم لكم أو لم يُقسم بالأزلام ، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك ، أجال القداح ، وهي الأزلام ، وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها : " نهاني ربي " ، وعلى بعضها : " أمرني ربي "، فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه : أمرني ربي ، مضى لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك ؛ وإن خرج الذي عليه مكتوب : نهاني ربي ، كف عن المضي لذلك وأمسك ، فقيل : وأن تستقسموا بالأزلام ، لأنهم بفعلهم ذلك كانوا كأنهم يسألون أزلامهم أن يقسمن لهم " [2] ، ويدخل في هذا الباب طلب معرفة القدر من قِبل العرافين والكهنة ، فقد انتشر ذلك عند العرب في الجاهلية ، إذ إن الكهنة والعرافين هم أولياء الشيطان ورسله ، كما قدمنا في الفصل الثاني من هذا البحث ، فهم من يسعى إلى تحقيق هذه الغاية الشيطانية بصرف البشر عن التوكل على الله والإيمان بقضائه إلى تعليقهم بالكذب والخداع ، وإثارة الهموم المستمرة في قلوبهم وأذهانهم ، وقد حذر الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – تحذيراً شديداً من الذهاب إلى العرافين أو تصديقهم فعن صفية عن بعض أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " .[3] وعن أبي هريرة والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . [4]يقول شارح العقيدة الطحاوية : "فإذا كانت هذه حال السائل ، فكيف بالمسئول ؟ ومراده : إذا كان

---

1 - لسان العرب – لابن منظور – ج 12 – ص 269 ، 270 .

2 - جامع البيان – للطبري – م 4 – ج 6 – ص 98 .

3 - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم – كتاب السلام – باب : تحريم الكهانة وإتيان الكهان – ح 5821 – ص 1074 .

4 - مسند أحمد – ج 2 – ص 429 – ح 9532 ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث حسن ، رجاله ثقات رجال الصحيح .

السائل لا تقبل له صلاة أربعين يوما ، وإذا كان الذي يصدق الكـــاهن والعـــراف يكفر بالمنزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكيف يكون حكم الكـــاهن والعراف ! " [1] .

صور الاستقسام بالأزلام اليوم :

وتأخذ هذه الغاية الشيطانية صوراً شتى في عالمنـــا المحمـــوم بالغايـــات الشيطانية ، فليست هذه الغاية بأسوأ حالاً من سابقتها ، فقد انتـــشرت فـــي عـــالم المسلمين انتشار النار في الهشيم ، تحت ما يعرف بعلم التنجيم ، فـــأولاء كـــانوا يطلبون معرفة القدر من الأقداح ، وهؤلاء يطلبون معرفة القـــدر مـــن النجـــوم والأبراج ، هذا بالإضافة إلى العرافين والكهنة الذين لا يزالون موجودين في أيامنا هذه بشكل ملحوظ في بعض البلاد الإسلامية ، يقول شارح العقيدة الطحاويـــة : "المنجم يدخل في اسم – العراف – عند بعض العلماء ، وعند بعضهم هـــو فـــي معناه " [2] ، فقد انتشر ما يسمى بعلم الأبراج في شتى أرجاء المعمـــورة ، ولـــم يترك بيتاً من بيوت المسلمين إلا دخله إما عن طريق المجلة أو المذياع أو التلفاز وجذبت هذه الغاية الشيطانية كثيراً من الناس إليها فوقعوا في ما حـــرم الله مـــن سؤال المنجمين واستطلاع الأبراج ، فخسروا قبول أربعين صلاة ، هـــذا علـــى مستوى السائلين ، أما المصدقين ، وهم ليسوا بالقليل ، فجزاؤهم خطير ، فهم بهذا التصديق يقعون في الغاية الكبرى للشيطان في الدنيا ، وهي الكفر بالله تعـــالى ، فكم خطيرة هي تلك الغاية الشيطانية ، وكم جاهل هو ذاك الذي يسير فـــي درب الشيطان ويتأسى به من حيث علِم أم لم يعلم .

ثانياً : الصد عن الصلاة وذكر الله :

وتأتي هذه الغاية كنتيجة لسابقتها وهي الاستقـــسام بـــالأزلام ، وكنتيجـــة لغايات أخرى من شرب للخمر ، ولعب للقمار – والتي سنتحدث عنها في المطلب الثالث من هذا المبحث - ، فهذه أمور يسلب بها الشيطان عقل الإنسان ووقتـــه ،

---

[1] - شرح العقيدة الطحاوية – لأبي العز بن الحنفي – ص 502 .

[2] - المرجع السابق – ص 502 .

فيصرفه عن الهدف الذي خُلِق من أجله ، عبادة الله ، المتمثلة في ذكره سبحانه في كل وقت وحين ، وإقام الصلاة له ، وقد بين تعالى هذه الغاية في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** ﴾ [1] " ووجه صد الشيطان لهم بذلك عما ذُكِر أن الخمر لغلبة السرور بها والطرب على النفوس والاستغراق في الملاذ الجسمانية تلهي عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة ، وأن الميسر إن كان اللاعب به غالباً انشرحت نفسه ومنعه حب الغلب والقهر والكسب عما ذُكِر ، وإن كان مغلوباً حصل له من الانقباض والقهر ما يحثه على الاحتيال لأن يصير غالباً فلا يكاد يخطر بقلبه غير ذلك ، وقد شاهدنا كثيراً ممن يلعب بالشطرنج يجري بينهم من اللجج والحلف الكاذب والغفلة عن الله تعالى ما ينْفر منه الفيل وتكبو له الفرس ، " [2] .

رحم الله الألوسي ، اغتم واهتم لما رأى في زمانه ، فكيف بك إذ رأيت ما حل بأمتنا اليوم من تضييع للصلوات ، بل وغفلة تامة عن ذكر الله ، وانغماس وانهماك في الملهيات فلا يكاد الواحد منهم يذكر ربه حتى بلسانه ولو للحظة واحدة ، وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين يقول : " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ... " [3] .

ثالثاً : القتل بغير الحق :

وتلك غاية أخرى من غايات الشيطان في البشرية ، فهو لا يزال يوغر صدور الخلق على بعضهم البعض ، ويزين لبعضهم حب السيطرة وإزالة كل من يقف في طريقهم بهذه الغاية ، القتل ، تلك المعصية العظيمة لله تعالى ، وهي أول

---

[1] - سورة المائدة ، الآية 91 .

[2] - روح المعاني – للألوسي – ج 5 – ص 239 ، 240 .

[3] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير – باب : الحراسة في الغزو في سبيل الله – ح 2887 – ص 232 .

خطيئة وقعت على وجه الأرض حين سول إبليس – في أول تحدى عملي له ضد آدم وذريته بعد هبوطهما إلى الأرض – لأحد ابني آدم أن يقتل أخاه بغيــر وجــه حق ، وفي هذا يقول تعالى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَــا قُرْبَانــاً فَتُقُبِّــلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّــلُ اللّـــهُ مِــنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَــدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَــدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَــكَ إِنِّــي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْــحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَــهُ فَأَصْــبَحَ مِــنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [1] " أي فحسَّنت وسوّلت له نفسه ، وشجّعته على قتل أخيه فقتلــه ، أي : بعد هذه الموعظة وهذا الزجر .

وقال ابن جرير : لما أراد أن يقتله جعل يلوي عنقه ، فأخذ إبليس دابــة ، فوضع رأسها على حجر ، ثم أخذ حجراً آخر فضرب به رأسها حتى قتلها وابــن أدم ينظر ، ففعل بأخيه مثل ذلك .

وقال إبراهيم النخعي[2] : ما من مقتول يقتل ظلماً ، إلا كان على ابن آدم الأول والشيطان كفــل منه " [3] ، وفي الحديــث عن النبـــي – عليــه الــصلاة والسلام - : لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل [4] .

ولم تقتصر وسوسة الشيطان على سائر البشر ، بل تعدت إلى المعصومين منهم ، فهذا نبي الله موسى – عليه السلام – يعزو المبالغة في وكزه القبطي حتى مات إلى الشيطان – وإن كان هذا القتل على غير عمد من موسى ، بل وليــست فيه أدنى درجات التعمد – يقول تعالى ﴿ **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا**

---

[1] - سورة المائدة ، الآيات ، 27 – 30 .

[2] - هو : إبراهيم بن سويد النخعي الكوفي الأعور ، مشهور ثقة – تهذيب التهذيب – لابن حجر – ج 1 – ص 145 – ترجمة224 .

[3] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 5 – ص 174 ، 175 .

[4] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء – باب : خلق آدم وذريته – ح 3335 – ص 269 .

فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ [1] ، " والمعنى أن الشيطان أوقد غضبه حتى بالغ في شدة الوكز . وإنما قال موسى ذلك لأن قتل النفس مستقبح في الشرائع البشرية ، فإن حفظ النفس المعصومة من أصول الأديان كلها ... فلما كان الشيطان عدواً للإنسان وكانت له مسالك إلى النفوس ، استدل موسى بفعله المؤدي إلى قتل نفسٍ ، إنه فعل ناشئٌ عن وسوسة الشيطان ولولاها لكان عمله جرياً على الأصول المأذونة " [2] .

وقد انتشرت هذه الغاية الإبليسية في مجتمعات الأرض في قديم وحديث انتشار الجراد في الحصيد ، فأصبحت هي السمة المسيطرة على كثير من الأزمان وهذا زماننا خير شاهد على تبنُّك [3] الشيطان على رؤوس كثير من العباد ، فانطلقوا يعبثون في أرواح الناس بالقتل ، والذبح ، والإبادة الجماعية ، ورأينا أضرُباً من القتل تقشعرُّ لها الأبدان ، وتتفطر لها القلوب ، وصار داعيَ الحروب فاغراً فاه في كل نادٍ ، ينعق على أهله بالخراب ، وكل ذلك بدفع من شياطين الجن والإنس ، ورضا من أوليائهم وأذنابهم .

رابعاً: التولي يوم الزحف :

الشيطان هو الباطل ، ولا يعيش الباطل ويترعرع إلا في ظل غياب الحق ، فإذا أراد الحق أن يرفع لواءه ويُعلي رايته فيضرب الباطل عن طريق الجهاد في سبيل الله ، جيَّش إبليس جنوده بكل ما أوتوا من وسائل في الإغراء والإضلال كي يفتوا في عضد المجاهدين ، ويقنطوهم من هذه الحرب ، وأنْ لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، وما ذاك الذي أخرجكم من دياركم ؟ تركتم المال والأهل

---

1 - سورة القصص ، الآية 15 .

2 - التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 10 – ج 20 – ص 90 .

3 - البنك : أصل الشيء وخالصه ، وتبنك بالمكان : أقام فيه – لسان العرب – لابن منظور – ج 10 – ص 403 .

والولد والراحة والدعة والسكن ، وخرجتم في هلكتكم ، فلا يزال يوسوس ، ويخوّف ، ويزين ، ويمنّي حتى يضعف المجاهد ويجبُن ، وتسيطر عليه الدنيا ، فيرتكب تلك المعصية العظيمة لربه ، والتي هي الغاية العظيمة لعدوه ، الفرار من العدو يوم زحف المسلمين عليه ، يقول تعالى في الذين فروا من أرض المعركة يوم أُحد : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ [1] ، " يعني بذلك جل ثناؤه : إن الذين ولَّوا عن المشركين من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم أُحد وانهزموا عنهم ، إنما دعاهم إلى الزَّلة الشيطانُ ، ببعض ما عملوا من الذنوب ... وعن قتادة في الآية : وذلك يوم أُحد ، ناس من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تولَّوا عن القتال وعن نبي الله يومئذٍ ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه فأنزل الله عز وجل ما تسمعون أنه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم " [2] .

وقد ذكر ابن الجوزي حواراً دار بين إبليس وموسى – عليه السلام – وفيه " يقول إبليس لموسى : إن لك حقاً بما شفعت إلى ربك ، فاذكرني عند ثلاث لا أُهلَك فيهن : اذكرني حين تغضب فأنا وحيٌ في قلبك ، وعيني في عينك ، وأَجْري منك مجري الدم ، واذكرني حين تلقى الزحف ، فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف ، فأذكره ولده ، وزوجه ، وأهله حتى يولّي ... " [3] .

ولِعِظم هذه الغاية وخطورتها على المجتمع المسلم ، حذر منها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تحذيراً شديداً فعدها من الموبقات اللائي يحبِطن الأعمال ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل

---

1 - سورة آل عمران ، الآية 155 .

2 - جامع البيان – للطبري – م 3 – ج 4 – ص 182 ، 183 .

3 - تلبيس إبليس – لابن الجوزي – ص 38 .

مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ." [1]

خامساً: كسب المال وإنفاقه بالحرام :

المال هو عصب الحياة ، به تقوم شؤونها ، وتُعمَرُ أرجاءها ، فهو قبل البنين عماد الدنيا وزينتها – إذا كان سبباً لا غاية – يقول تعالى : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ... ﴾ [2] ، ولهذا السبب اتخذ إبليس وجنده المال غاية من غاياتهم ، غاية يحوِّلوا بها هذا المال عن المسار الذي أراده له الله – عز وجل – فالله أراد للمال أن يكون سبباً في إقامة الحياة وإعمار الأرض ، يُكسَبُ من حلال ويُنفَق في حلال ، أما الشيطان فيريد للمال أن يكون غاية في هذه الحياة ، يُكسَبُ من حرام ، ويُنفَق في حرام ، فيكون العبد في هذه الدنيا رهناً للمال يجري وراءه ، يضيِّع حياته لأجله ، يطلبه بكل طريق حلَّ أم حرُم ، فتنتشر الفوضى في المجتمع ، ويبرز الحقد من القلوب ، ويتصارع طلاّب الدنيا عليها ، فيفشو الفساد والتعامل به ، وخاصة التعاملات المالية المحرمة كأكل الربا ، والسرقة ، والرشوة ، والغش ، وغيرها ، وقد توعد إبليس أعداءه في كل زمان ومكان بأن يشاركهم في هذه الأموال ، وما مشاركة إبليس لهم فيها إلا دخول الشرِّ فيها ، فتتحول عن الحلِّ إلى الحرمة ، وعن الخير إلى الشرِّ ، وعن الصلاح إلى الفساد ، يقول تعالى مخاطباً إبليس مطلقاً له العنان فيما أراد : ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلا غُرُوراً** ﴾ [3] ، " (وشاركهم في الأموال) قال بعضهم : " هو أمرهم إياهم بإنفاق أموالهم في غير طاعة الله واكتسابهموها من غير حلِّها ... وعن مجاهد : التي أصابوها من غير حلّها ... وعن عطاء بن أبي رباح : الشرك في أموال الربا ، وعن الحسن : قد والله شاركهم في أموالهم ،

---

[1] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب : الوصايا – باب : قوله تعالى : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) – ح 2766 – ص 222 .

[2] - سورة الكهف ، الآية 46 .

[3] - سورة الإسراء ، الآية 64 .

وأعطاهم الله أموالاً فأنفقوها في طاعة الشيطان ، في غير حق الله تبارك وتعالى اسمه ، وهو قول قتادة ، وعن الحسن غرَّرهم أن يكسبوها من خبيث ، وينفقوها في حرام ... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني بذلك كل مال عُصِي اللهُ فيه : بإنفاق في حرام ، واكتساب من حرام ، أو ذبح للآلهة ، أو تسييب أو بحر للشيطان ، وغير ذلك مما كان معصياً به أو فيه " [1] ، والعموم في الآية هو الأولى كما قال الطبري ، فالشيطان يبغي لأعدائه أن يكسبوا مالهم من حرام وينفقوه في حرام كما بينه صاحب التفسير المنير " أي بتحريضهم على كسب الأموال وإنفاقها في معاصي الله تعالى من ربا وسرقة ، وغش ، وخديعة " [2] .

وقد ذم الله سبحانه وتعالى المنفقين أموالهم في الرياء ، وبين أن هذا المنفق إنما هو قرين للشيطان ، إذ هو أنفق مالاً في حرام ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً** ﴾ [3] ، " رئاء الناس : يعني ينفقه مراءاة الناس في غير طاعة الله وغير سبيله ، لكن في سبيل الشيطان ... " [4] ، وقد تضمنت الآية التي تلت هذه الآية الإنكار والتوبيخ لأولئك المنافقين الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر بسبب فتنة الشيطان لهم [5] .

غاية خطيرة في زمان الأموال :

لا ريب أن زماننا هذا هو زمن المال والثروة ، فقد استفاض المال فيه استفاضة لا أظنها مرت على زمان مضى من حيث انتشار المال في كل أرجاء المعمورة ، ولكن على غير ما أراد الله في أكثر الأحوال ، بل على مراد الشيطان

---

[1] - جامع البيان – للطبري – م 9 – ج 15 – ص 146 – 149 .

[2] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 14 – 117 .

[3] - سورة النساء ، الآية 38 .

[4] - جامع البيان – للطبري – م 4 – ج 5 – ص 119 .

[5] - انظر : أيسر التفاسير – للجزائري – ج 1 – ص 401 .

فقد حقق الشيطان مراده في هذه الغاية على أتم وجه في بني البشر ، فجعل كثيراً منهم يعشقون المال ويفنون حياتهم من أجله ، فصار المال غاية لكثيرين ، فانتشر الكسب بالحرام بوسائل متعددة مثل الربا ، والقمار ، وأسواق البورصة ، وأساليب التجارة المحرمة ، فما شهد العالم زماناً يُرخَّص فيه الربا على مستوى الدول كزماننا هذا ، فأصبحت لا تمر على دولة مسلمة أو غير مسلمة إلا ووجدت فيها البنوك الربوية ، والتعاملات المالية المحرمة ، وكانت نتيجة هذا كله أن المال المكتسب من حرام يذهب بلا فائدة ولا بركة على صاحبه ، فانتشر الإنفاق في الحرام وتضييع الأموال على ما يبغض الله – عز وجل – فأصبحنا نرى ملايين الدولارات تُهدَر على أعتاب غانية أو داعرة ، بل وتتدفق الملايين من الأموال لما هو أعظم من ذلك ، لحرب الإسلام والمسلمين والكيد لدين الله ، وتتحول الحياة في النهاية إلى نكد وخبث بسبب هذه الغاية القبيحة ، يقول مالك بن دينار محذراً من أكل الحرام : " لا تجعلوا بطونكم جراباً للشيطان ، يوعي فيها إبليس ما يشاء " [1] .

سادساً : البخل والإسراف :

لما أمكن الشيطان من أعدائه فأشرب في قلوبهم حب المال ، والدنيا ، وسوّل لهم الحصول على مغانمهم منها بكل وسيلة شُرِعت أم لم تُشرع ، انتقل بهم الشيطان إلى غاية أخرى تأتي فرعاً على الغاية السابقة ، وتنتحي في أصحابها منحيين متضادين ، فمن أحب الدنيا حرص عليها ، وعشق المال وحيازته ، صار يرى إخراج هذا المال بعدما استقر في جيبه جريمة في حق نفسه فاتصف بالبخل غايةً شيطانية أولى ، ومن عشق الهوى والدنيا وملذاتها وشهواتها فاتجه ناظرها إلى مفاتنها من نساء ، وخمور ، وزينة وزُخرفٍ ، أطلق يده يبْذُر النقود فيما هوت نفسه يميناً ويساراً ، وهو بذلك لا يوفر جهداً في الكسب كي يغطي الإنفاق ، فتصيبه سهام التبذير غايةً ثانية للشيطان .

---

[1] - مواعظ الإمام مالك – جمع صالح الشامي – ص 74 .

ونقدّم في الحديث ما قدّم رب العزة حين تحدث عن هاتين الصفتين في الإنسان حيث يقول : ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً** ﴾ [1] :

1- البخل وعدم الإنفاق :

قرن الحق سبحانه وتعالى هذه الصفة الذميمة بالشيطان ، فجعل قرناءه يتصفون بها إلى جانب صفة كتمان ما أنزل الله ، وما أنعم به على عباده يقول تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً** ﴾ [2] "يقول تعالى ذامّاً الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها في ما أمرهم الله به – من برِّ الوالدين ، والإحسان إلى الأقارب ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذي القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل وما ملكت أيمانهم من الأرقاء – ولا يدفعون حق الله فيها ، ويأمرون الناس بالبخل أيضاً ... فالبخيل جحود لنعمة الله عليه لا تظهر عليه ولا تبين ... وقد حمل بعض السلف هذه الآية (يكتمون ما آتاهم الله من فضله) على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد – صلى الله عليه وسلم – وكتمانهم ذلك ... ولا شك أن الآية محتملة ذلك ، والظاهر أن السياق في البخل بالمال ، وإن كان البخل بالعلم داخلاً في ذلك بطريق الأوْلى ، فإن سياق الكلام في الإنفاق على الأقارب والضعفاء ... ولهذا قال تعالى : (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) أي : حملَهم على صنيعهم هذا القبيح وعدولهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطانُ ، فإنه سوّل لهم وأملى لهم ، وزين لهم وحسّن لهم القبائح " [3] ، وقد ذمّ النبي – صلى الله عليه وسلم – صفة البخل في أحاديث عديدة فعن جابر قال : قال رسول الله

---

[1] - سورة الإسراء ، الآية 29 .

[2] - سورة النساء ، الآية 37 ، 38 .

[3] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 4 – ص 46 – 50 .

– صلى الله عليه وسلم - : من سيدكم يا بني سلمة ؟ قلنا : جَدّ بن قيس على أنـــا نُبَخِّله ، قال : وأي داء أدوى من البخـــل ، بل سيدكم عمـــرو بـــن الجمـــــوح ، وكان عمرو على أصنامهـــم في الجاهلية وكان يُولِم عن الرســـول – صـــلى الله عليه وسلم – إذا تزوج " [1] .

2- التبذير والإسراف :

يصِم الله سبحانه وتعالى المبذرين بوصم لصيق بالشيطان لا يفارقه حتـــى يفارقونه ، ذلك هو مؤاخاة الشيطان الكفـــور لربـــه : ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَـــى حَقَّـــهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْـــوَانَ الـــشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً** ﴾ [2] ، وبعد هذا التحذير الشديد من التبذير ، يتحـــدث تعالى عن الإسراف بلغة أخف وطأة ، حين يسوق بعض الأوامر التنبيهيـــة بعـــد ذكر قصة آدم وإبليس ، وخروج آدم من الجنة ، فيقول في سياق تلك الأوامـــر ، محذراً من اتبـــاع الشيطان الذي يريدهم أن يقعوا فيما نهى الله عنه ، ﴿ **يَا بَنِـــي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُـــوا وَاشْـــرَبُوا وَلا تُـــسْرِفُوا إِنَّـــهُ لا يُحِـــبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [3] ، فما الفرق إذاً بين التبذير والإسراف ، وهل كلاهما من غايـــات الشيطان في بني الإنسان ؟

التبذير والإسراف لغة :

1- **التبذير** : من بذرْتُ الحب : أي نثرته ، وبذرها بذْراً ، وبذَّرها أي : زرعها والبـــذر والبُذارة : النســـل ، وبذَّر مالـــه : أفسده وأنفقه في السرف ، وكل ما فرَّقتـــه وأفسدته فقد بذَّرته ، والتبذير : أن ينفق المال فـــي المعاصـــي ، وقيل : هو أن يبْسُط يده في إنفاقه حتى لا يبقى منه ما يقتاته .[4]

---

[1] - الأدب المفرد – للبخاري – باب البخل – ح 296 – ج 1– ص 107 ، صححه الألباني في تعليقه على الكتاب .

[2] - سورة الإسراء ، الآيتان 26 ، 27 .

[3] - سورة الأعراف ، الآية 31 .

[4] - لسان العرب – لابن منظور – ج 4 – ص 50 .

2- **ســرف** : السرَف والإسراف مجاوزة القصد ، وأسرف في ماله : عجِل من غير قصد ، أما السرف الذي نهى الله عنه فهو ما أُنفق في غير طاعــة الله قليلاً كان أو كثيراً ، والإسراف في النفقة : التبذير ، والسرف ضد القصد ، والسرف : تجاوز ما حُدَّ لك ، وسرَف الماء : ما ذهب منه في غير ســقي ولا نفع . [1]

والواضح من التعريفين أن التبذير أشد من الإسراف فهو مرتبط بالكثرة ، ومجاوزة الحد ، أما الإسراف فمرتبط بجعل الشيء في غير موضــعه وإن كــان قليلاً ، فهذا قد يكون من الخطأ الذي يُغفر بخلاف مجــاوزة الحــد فــي الــشيء والطغيــان فيــه ،وقد بين ابن مسعود ما اشتُهر من معنى التبذير على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – بما يوافق ما قلنــا ، حيث يقول : " كنا أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – نتحدث أن التبذير : النفقة في غير حقه " [2]، وهذا ما زاده قتادة تبياناً حين عرّف التبذير بقوله : " النفقة في معصية الله ، وفي غيــر الحق ، وفي الفساد " [3] ، أما السرف ، وهو وضع الشيء في غير موضــعه ، والزيادة فيــه حيث لا تستوجب الزيادة ، فيبينه حديث النبي – صــلى الله عليــه وسلم – " كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة ولا سرف ، ان الله يحب أن تُرى نعمته على عبده " [4] ، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – أمرنــا بــأن نفعل ما أحل الله من فِطَر المخلوقات ، ولكن دون مبالغة فيها بالإســراف ، وإن كانت حلالاً ، فالاقتصاد مطلوب في كل شيء ، وهذا ما نفهمه من كلام الحارث المحاسبي حيث يقول : " أوصيكم بالاقتصاد فيما رُزِقتم ، فإنه من صلاح الدين ، وأحذركم من الإسراف في وقت الغنى ، فإن الله يكره السرف في كل شيء ، وقد ذمّ الله تعالى المسرفين ، ومدح الذين لم يُسرفوا ولم يَقتروا ، وبلغنا عــن بعــض

---

[1] - لسان العرب – لابن منظور – ج 9 – ص 150 ، 151 .

[2] - جامع البيان – للطبري – م 9 – ج 15 – ص 94 .

[3] - المرجع السابق – م 9 – ج 15 – ص 93 .

[4] - مسند أحمد – ج 2 – ص 182 – ح 6708 ، قال شعيب الأرنؤط : إسناده حسن .

التابعين أنه قـال : كفـى بهـذا إسـرافاً أن يأكـل العبـد ما يشتهي ، ويلـبس ما يشتهي " [1] .

بين البخل والتبذير :

هاتان الصفتـان الذميمتان من وحي الشيطان ، وهمـا – وإن تناقـضتا ظاهراً – ينحدران من أصل واحد ، ويُنفثان من أفعى واحدة ، فالأصل حب الدنيا والأفعى هي الشيطان ، ولذا لا تعجب إن وجدت هاتين الصفتين مجتمعتـين فـي رجل واحـد ، فهو إن وقف أمام أوامر الله تعالى وهي تحثُّ على الإنفـاق فـي سبيله ، وإخراج الزكاة ، والتصدق على ذوي الحاجة ، ينبعث فيه داعي البخـل فيأخذ بجماع نفسه المريضة يدفعها إلى البخل وعدم الإنفاق ، مبرراً لنفسه ذلـك الشح بأن ذلك إنما يضيِّع مالك في غير منفعة مرجوة منه ، أما إذا وقـف هـذا البخيل أمام شهوات الدنيا وملذّاتها ، وتلألأت في عينيه زخارفها ، تهللـت لهـا أساريره ، ووافق ذلك هوى في نفسه من حب الدنيا ، فانطلقت يداه تغرفان مـن المال فترمي على هذه الدنيا بلا حساب .

وقد ضمَّ زماننا هذا من مثل هؤلاء الكثير ، فلقد رأينا رجالاً فتح الله عليهم من بركات هذه الأرض ما تنوء بحمله العصبة أولى القوة من الرجال ، فإذا سمع داعي الله يستحثه على الإنفاق مما منَّ الله به عليه ، ولو باليسير في سـبيل الله ، ظل وجهه مسودّا وهو كظيم ، أما إذا نادته الدنيا وفتحت له أذرعها ارتمى فـي أحضانها يبذِّر ولا يدري ، يُسرف ولا يحسب ، وقد رأينا من السرف أشياء يندى لها الجبين : موائد من الطعام لم تترك صنفاً يُشتهى إلا حوته ، تلقى بكامل مـا فيها في حاويات القمامة ، ملابس لم توضع على جسد صاحبها أو صـاحبتها إلا مرة واحدة ، تلقى في مجامع النفايات ، أما التبذير فحدث عنه في عصرنا هـذا ولا حرج ، كم من أموالٍ طائلة هُدِرت فـي القمـار ، والغنـاء ، والخمـور ، والمعازف ، والسفور والتبرج ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

[1] - مواعظ الإمام الحارث المحاسبي – جمع صالح الشامي – ص 42 .

سابعاً : تغيير خلق الله :

أصلٌ كبير يدخل تحته ما غُيِّر من خلق الله على غير ما فطره الله عليه وأراده له ، ولذا أقسم الشيطان وأكد على تحقيق هذه الغاية في خلق الله بما يُخالف الفطرة الربانية ، ويسوؤها ، يقول تعالى حاكياً ذلك على لسان إبليس : ﴿ **وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً** ﴾ [1] وفي الآية مسألتان : تبتيك آذان الأنعام ، وتغيير خلق الله :

المسألة الأولى : تبتيك آذان الأنعام :

التبتيك : البتْك : القطع ، والبتْك قطع الأذن من أصلها ، والبتْك أن تقبض على شيء بيدك ، وبتَّكه يَبْتِكه ويَبْتُكه بتْكاً أي قطعه .[2] .

أما عند العرب فتبتيك آذان الآنعام قد أخذ شكلاً تعلق بالأنعام التي حرموها افتراءً على الله ، فعن السدي وقتادة : " يبتكن آذان الآنعام : فيشقونها فيجعلونها بحيرة[3] " [4] ويقول الطبري : " والبتك : القطع ، وهو في هذا الموضع قطع أذن البحيرة ، وإنما أراد بذلك الخبيث أن يدعوهم إلى البحيرة فيستجيبون له ويعملون بها طاعة له " [5] ، ويوضح كلام الطبري مراد الشيطان من هذا التبتيك وعلة تحريمه من قبل الله تعالى ، فهي علامة يقيمونها على ما افتروا على الله تحريمه من الإبل بوحي من الشيطان ، كما مرّ معنا عند الحديث عن غاية القول على الله بغير الحق ، إذاً فهو تغيير يُقصد منه إقامة شرع الطاغوت وإظهاره .

---

1 - سورة النساء ، الآية 119 .

2 - لسان العرب – لابن منظور – ج 10 – ص 395 .

3 - البحيرة : بحَرْتُ أذن الناقة : شققتها وخرقتها ، وكانت العرب تفعل بالناقة والشاة ذلك إذا نتجتا عشرة أبطن فلا يُنتفع منهما بلبن ولا ظهر ، وتترك البحيرة ترعى وترد الماء ، ويُحرم لحمها على النساء ويُحلل للرجال – لسان العرب – لابن منظور – ج 4 – ص 43 .

وكانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يُركب ظهرُها، ولم يُجَزّ وبَرُها، ولم يَشْرَبْ لَبَنَها إلا ضَيْفٌ، فتركوها مُسَيَّبَة لسبيلها وسمَّوها السائبة، فما ولدت بعد ذلك من أُنثى شقوا أُذنها وخلُّوا سبيلها، وحرم منها ما حرم من أُمّها،- لسان العرب – ج 4 – ص 43 .

4 - تفسير القرآن العظيم – لابن أبي حاتم – ج 4 – ص 1069 .

5 - جامع البيان – للطبري – م 4 – ج 5 – ص 362 .

المسألة الثانية : تغيير خلق الله :

وينتقل الشيطان في توعده من الخاص إلى العام ، ومن الحديث عن مثال كـــان شـــائعاً عند العرب إلى قاعـــدة عامة يبغيهـــا لكل خلق الله ، ذلك هو تغيير خلق الله .

وقد ورد في معنى تغيير خلق الله عدة أقوال ، فعن ابن عبـــاس : " أنـــه الإخصاء ، وعنه أيضاً : دين الله ، وروي عن مجاهد وعكرمة في أحـــد قوليـــه وإبراهيم النخعي والحكم والحسن والسدي وقتادة والضحاك في الروايـــة الثانيـــة وعطاء الخراساني نحو ذلك ، وعن الحسن : الوشم "[1] ، فهذه الأقوال تتـــوزع بين خصاء البهائم ، والوشـــم ، وتغيير دين الله ، وأولى الأقوال فيه وأشملها هو ما اختاره الطبري حيث يقـــول : " وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك مـــن قال : دين الله ، وذلك لدلالة الآيـــة الأخرى على أن ذلـــك معنـــاه ، وهي قوله : ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَــرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِـــنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[2] "[3] .

إذاً فالتبتيك مثال على تغيير المحسوسات ، فيدخل فيه ما قالوا من الخصاء والوشم وغيرها ، أما تغيير خلق الله فشامل عام ينطبق عليه معنى دين الله ، وهو الأخطر الذي يسعى الشيطان إلى تحقيقه في أعدائه ، يقول الشنقيطي " قال بعض العلماء معنى هذه الآية أن الشيطان يأمرهم بالكفر وتغيير فطرة الإســـلام التـــي خلقهم الله عليها "[4] ، وفي ذلك يقول النبي – صلى الله عليه وسلم " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإنـــي خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا... الحديث "[5] .

---

[1] - تفسير القرآن العظيم – لابن أبي حاتم – ج 4 – ص 1070 .

[2] - سورة الروم ، الآية 30 .

[3] - جامع البيان – للطبري – م 4 – ج 5 – ص 367 .

[4] - أضواء البيان – للشنقيطي – ج 1 – ص 245 .

[5] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم – كتاب الجنة وصفاتها ونعيمها وأهلهـــا – باب : الصفـــات التي يعـــرف بهـــا في الدنيا أهل الجنة – ح 7207 – ص 1174 وهذا جـــزء مـــن حديث طويل .

مراد الشيطان من تغيير خلق الله :

يتضح من الآية السابقة أن الشيطان يسعى إلى حمل مخالفيه على خــلاف ما فطرهم الله عليه وأراده لهم ، فتبتيك آذان الأنعام ، إذا أخذ مجرداً عن علائقــه وأسبابه ، واقتصر على مجرد شقٍّ أذن الناقة ، لما اكتسب تلك الحرمــة ، ولمــا صار غاية يرومها الشيطان في أعدائه ، كذا الأمر في تغيير خلق الله ، الذي هو فطرته ودينه ، فالشيطان إذ يسعى إلى تحقيــق هذه الغاية ، إنما يريد مــن وراء ذلك محاربة ديــن الله وفطرته ، وحمل الناس على مخالفة أوامر الله – ســبحانه وتعالى - ، وانطلاقاً من هذا الفهم أجاز العلماء خِصاء البهــائم ، الــذي أُدخِــل عموماً في تأويل تغيير خلق الله عند التابعين ، يقول الشنقيطي : " أمــا خــصاء البهائم فرخص فيه جماعة من أهل العلم ، إذا قُصدت به المنفعة ، إما لــسِمن أو غيره ، وجمهور العلماء على أنه لا بأس أن يُــضحى بالخــصّيِّ ، واستحــسنه بعضهم إذا كان أسمن من غيره ، ورَخَّص في خصاء الخيل عمر بن عبد العزيز وخصى عروة بن الزبير بغلاً له ، ورخَّص مالك في خصاء ذكور الغنم ، وإنمــا جاز ذلك لأنه لا يُقصد به التقرب إلى غير الله تعالى ، وإنما يُقصد به تطييب لحم ما يُؤكل ، وتقوية الذكر إذا انقطع أصله عن الأنثى " [1] .

وقــد ورد في الســنة المشرفة نهيٌ عن أمور تتعلق بتغيير خِلْقــة الله ، وهي الوشم ، والنمص ، والتفلُّج للحسن ، ووصل الشعر ، يقول – صلى الله عليه وسلم - : " لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحــسن المغيرات خلق الله " [2] ، ويقول أيضاً : " لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة " [3] .

فهذان الحديثان يدلان على تحريم النمص : وهو نتف شــعر الحاجــب ، والتّفلّج أو الوشر : وهو برد الأسنان لتُحدد وتُحسن ، والوشم : وهو غرز الجلــد

---

1 - أضواء البيان – للشنقيطي – ج 1 – ص 246 .

2 - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب اللباس – باب : المتفلّجات للحسن ح 5931 – ص 503 .

3 - المرجع السابق– كتاب اللباس - باب : الواصلة في الشعر – ح 5933 – ص 503 .

بإبرة ثم حشوها كحلاً ، والوصل : وهو وصل الشعر بالشعر (وهو ما يسمى بالشعر المستعار) [1] .

فهذه المحرمات التي ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – موصوفة في الحديث بأنها تغيير لخلق الله ، ولما كان هذا التغيير محرماً فهو من غايات الشيطان ، ولكن لماذا وقع التحريم على هذا التغيير ؟

النمص ، والتفلّج ، والوصل أمور تقع في حق النساء ، وهي إنما تُعمل لأجل تغيير ما خلق الله المرأة عليه وغرضهنٌ في ذلك التدليس والكذب ، وهذا ما أبانه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أحدها وهو التّفلّج ، فقال : للحسن ، أي أن الأصل كان على غير ذلك ، أما الوشم فهو إما في حق الإنسان أو الأنعام وهو في عمومه تشبه بالكفار وإيذاء للجلد بغير منفعة ، أما إذا كان الوشم لمنفعة فيخرج عن هذا التحريم " والوشم والإشعار في الحيوان من أجل تمييزها عن غيرها مستثنىً من نهيه عليه السلام عن شريعة الشيطان ، والوشم : الكي بالنار ، وقد ثبت في الصحيح عن أنس – رضي الله عنه – قال : "(رأيت في يد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الميسم وهو يسِمُ إبل الصدقة) [2] والفيء وغير ذلك ،حتى يُعرف كل مال ، فيُؤدى في حقه ولا يُتجاوز به إلى غيره " [3] .

ولا يقتصر تغيير خلق الله على هذه الأمور التي ذكرت في كتاب الله وفي أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – ولكنَّ الله يأتي من الأمور بأهمها وجماعها وقد ظهرت في عصرنا الحاضر أشكالاً عجيبة من تغيير خِلْقَة الإنسان ، وخاصة أولئك الشَّاذين من البشر الذين يغيرون بعض ملامح جسدهم ممَّا فطرهم الله عليه من ذكورة أو أنوثة ، ونسمع هذه الأيام بعض الكفار في الغرب يستعملون الأمصال الطبية في نفخ أثدائهم تشبهاً بالنساء ، وعمليات التجميل في إزالة شعر الرجل تماماً ، وتنعيم ما يبقى وهكذا ، وغير ذلك ممَّا انتشر بين الشباب والشابات – حتى في عالمنا الإسلامي – من وشم وقزع ونفخ للشفاه وهكذا .

---

[1] - انظر : الفقه الإسلامي وأدلته – للزحيلي – ج 1 – ص 312 ، 313 .

[2] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم – كتاب اللباس والزينة – باب : جواز وسم الحيوان غير الآدمي في غير الوجه وندبه في نعم الزكاة والجزية – ح 5558 – ص 1057 .

[3] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 5 – ص 281 .

المطلب الثالث : تمزيق المجتمعات :

ليس هذا المطلب بعيداً عن سابقه ، أو منفصلاً عن معناه ، فما زِلنا نسرد في المحرمات التي يبغي الشيطان إيقاع أعدائه فيها ، ولكنا ميّزنا هذه الغايات عن سابقاتها – مع أنها تشترك معها في كونها من المحرمات – لأن هذه الغايات تتميَّز بكونها تساهم مساهمة أساسية في تمزيق المجتمعات وتفكيك لحمتها ، وإيقاع العداوة بين أفرادها ، وإفساد أخلاقها وقيمها كي تصبح تلك المجتمعات بركاً من الانحطاط والتلوث ، ترتع فيها الشياطين ، فتحل لحمتها وتجعلها أفراداً يسعى كل واحد منهم إلى نيل أغراضه الشخصية ، وإشباع رغباته وشهواته ولو على حساب الدنيا كلها .

أولاً : الكيد وإيقاع العداوة بين الناس

يحذر الحق سبحانه من مكر الشيطان وكيده وسيله الخبيث للكيد للبشر بإغراء العداوات بينهم وحمل بعضهم على بعض ، يقول تعالى : ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً** ﴾ [1] وقد تحدثنا قبلُ عن النزغ ومعانيه في كتاب الله ، وقلنا إذ ذاك ، أن النزغ إذا تعدى بالظرف (بين) أُريد به الإيقاع بين الناس وإفساد العلائق الكائنة بينهم ، وهو مراد الشيطان الأول في غايات تمزيق المجتمع وإفساده ، يقول الجزائري في تفسير الآية : " ... والآية تبين أن الشيطان يسعى للإفساد دائماً فلا يُمكّن من ذلك بالكلمات المثيرة للغضب الحاملة على اللجج والخصومة الشديدة " [2] وقد أفلح الشيطان في إيغار صدر إخوة يوسف على يوسف فأوقع بينهم ردحاً من الزمن حتى عادوا إلى رشدهم وتاب الله عليهم ، يقول تعالى على لسان يعقوب – عليه السلام - : ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [3] يقول صاحب الظلال : "لهذا أدرك أبوه يعقوب بحسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأناً عظيماً لهذا

---

[1] - سورة الإسراء – الآية 53 .

[2] - أيسر التفاسير – للجزائري – ج 2 – ص 607 .

[3] - سورة يوسف ، الآية 5 .

الغلام ، لم يفصح هو عنه ، ولم يفصح عنه سياق القــصة كــذلك ، ولا تظهــر بوادره إلا بعد حلقتين منها ، وأما تمامه فلا يظهر إلا فــي نهايــة القــصة بعــد انكشاف الغيب المحجوب ، ولهذا نصحه بألا يقص رؤياه على إخوته ، خشية أن يستشعروا ما رآه لأخيهم الصغير غير الشقيق ، فيجد الشيطان من هــذا ثغرة في نفوسهم فتمتلئ نفوسهم بالحقد ، فيدبروا لــه أمراً يسوؤه ، ثم يعلــل هذا الخوف بقوله : (إن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين) ... فمن ثم فهو يوغر صدور النــاس بعضهم على بعض ويُزيّن لهم الخطيئة والشرّ " [1] .

ومن ذلك الكيد والتفريق ما ينتج عن أعمال السحر من تفريق بين المــرء وزوجه ، وهي غاية تتبع غاية السحر ، وتهدف إلى ضرب اللبنة الأساسية فــي المجتمع ألا وهي الأسرة ، فإذا تمزقت الأسرة وانفرط عقدها أدى ذلك إلى تمزق المجتمع وتفرُّقه ، يقول تعالى في هذه الغاية بعد ذكر السحر : ﴿ ... **فَيَتَعَلَّمُــونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُــونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِــإِذْنِ اللَّهِ** ... ﴾ [2] " فتفريقه بين المرء وزوجه : تخييله بسحره إلى كل واحد منهمــا شخصاً آخر على خلاف ما هو به في حقيقته من حسن وجمال حتى يقبحه عنده ، فينصرف بوجهه ويعرض حتى يُحدث الزوج لامرأته فراقاً ، فيكون الساحر مفرقاً بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فُرْقة ما بينهما " [3] .

وقد بين تعالى بعض ما تقع به العداوة والبغضاء بين الناس ، مما سنذكره بعد قليل ، فقال في شأن الخمر والميسر ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِــعَ بَيْــنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ** ... ﴾ [4] " أعلم الله عباده أن الشيطان إنما يريــد أن يوقــع العداوة والبغضــاء بيننا بسبب الخمر وغيره ، فحــذرنا منهــا ونهانا عنها " [5].

---

[1] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 4 – ص 1971 .

[2] - سورة البقرة ، الآية 102 .

[3] - جامع البيان – للطبري – م 1 – ج 1 – ص 607

[4] - سورة المائدة ، الآية 91 .

[5] - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 6 – ص 291 .

ثانياً : شرب الخمر :

أم الخبائث ، خير وصف لشرٍّ موصوف ، نعم ، هي كذلك كما وصفها النبي – صلى الله عليه وسلم – أمٌّ للخبائث ، أي خطوة كبرى لما بعدها من جرائم ومحرمات تتسبب هي فيها ، وهي في حد ذاتها غاية للشيطان يوقع أعداءه فيها ، وقد ربط الحق سبحانه بين شرب الخمر وأخواتها ، وبين الشيطان ربطاً صريحاً في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [1] " والرجس : الخبث المستقذر والمكروه من الأمور الظاهرة ، ويطلق على المذمات الباطنة ، ومعنى كونها – أي الخمر – من عمل الشيطان ، أن تعاطيها بما تُتعاطى لأجله من تسويله للناس تعاطيها ، فكأنه هو الذي عملها وتعاطاها ، وفي ذلك تنفير لمتعاطيها بأنه يعمل عمل الشيطان ، فهو شيطان ، وذلك ما تأباه النفوس " [2] .

وهذه الخمر – علاوة على كونها تُذهِب العقل وتضر صاحبها – فهي تتسبب في إلحاق الضرر بالمجتمع ، وتجر إلى كثير من الآثام والغايات الشيطانية كالقتل ، والزنا ، وإثارة الفتن في المجتمع وتمزيقه ، وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس ، وتدلنا قصة نزول هذه الآية على عظيم خطر الخمر على المجتمع فقد أخرج الطبري بسنده عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، أنه قال : " صنع رجل من الأنصار طعاماً فدعانا ، قال : فشربنا الخمر حتى انتشينا ، فتفاخرت الأنصار وقريش ، فقالت الأنصار نحن أفضل منكم ، قال: فأخذ رجل من الأنصار لحي جمل فضرب به أنف سعد ففزره ، فكان سعد أفزر الأنف . قال : فنزلت هذه الآية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ ...** ﴾ [3]" [4] .

---

[1] - سورة المائدة ، الآية 90 .

[2] - التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 4 – ج 7 – ص 24 .

[3] - أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه ، وفي الباب بيان أن سعداً هو ابن أبي وقاص – موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب : فضل سعد بن أبي وقاص – ح 6283 – ص 1103 وهو جزء من حديث طويل .

[4] - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 7 – ص 46 .

الخمر في عصرنا الحاضر :

بالأمس كانت الخمر ، واليوم تبدلت الأسماء وتلونت الأشكال ، ومـــا زال الجوهر واحداً ، وما زالت القاعدة الإسلامية النبوية ثابتة لا تتغير " فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كل مسكر خمر وكل مسكر حرام "[1]، وقد حدث على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – أن عرض لـــه أمـــر تغييـــر الأسماء وتبدلها كما هو حالنا اليوم ، فكان جوابه بالقاعدة السابقة " كـــل مـــسكر حرام " فعن أبي موســـى الأشعري رضي الله عنه أن النبي – صـــلى الله عليـــه وسلم - بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربة تصنع بها فقال : وما هي ؟ قال : البتع والمزر ، فقلت لأبي بردة ما البتع ؟ قال نبيذ العسل والمزر نبيذ الشعير ، فقـــال كل مسكر حرام " [2] فينبغي أن يكون هناك معالجة لبعض الفكر الذي ينشأ فـــي أذهان شبابنا بالنسبة للسموم البيضاء والمخدرات ، والذي أتى عن طريق التلبيس الشيطاني الذي يحاول أن يغري شبابنا بالمضاء في هذا الطريق على أســـاس أن المخدرات أو أن هـــذه السموم البيضاء لم يأت النص عليها في القـــرآن ولا فـــي السنة ، وعجيب أن يكون المغري أو المُلبِس هو نفس العدو الذي كـــان يغـــري أولئـــك الذين كانوا يعاقرون الخمر في صدر الإسلام ، وحينما نقرأ الآية الكريمة ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَـــلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [3] ندرك أن الحديث عـــن الـــشيطان قـــديم ، والحديث عن دور الشيطان ينبغي أن نظهره وأن نبرزه ؛ لأن الفكر حينما يتلبس بإغراء الشيطان ، وحينما ينخدع بإغراء الشيطان ، فـــإن الواقـــع فـــي بـــراثن الإغراءات المختلقة ، سواء تولاها بعده شياطين الإنس أم اســـتمر فـــي توليهـــا شياطين الجن ، فإن النتيجة ضارة ووخيمة " [4] .

---

[1] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم – كتاب الأشربة – باب : أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام – ح 5218 – ص 1063 .

[2] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب المعازي – باب : بعـــث أبـــي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع – ح 4343 – ص 355 .

[3] - سورة المائدة ، الآية 90 .

[4] - مجلة منبر الإسلام – السموم البيضاء رجس من عمل الشيطان – محمد الأحمدي أبو النور – العدد 4 ص 2 – سنة 1406 .

ثالثاً : لعب الميسر :

اللهو المحرم المفضي إلى الخصومـــة والتنازع ، وحمل الـــضغينة فـــي القلب ، وإثارة البغضاء بين الناس ، ذلك هو الميسر الذي جمعه الله سبحانه مـــع الخمر في آية واحدة إيذاناً بخطورته على المجتمع كما هو الخمر .

والميسر من اليُسْر : أي اللين والانقياد يكون ذلك للإنــسان والفـــرس ، والميسِر : السعة والغنى ، واليُســـر ضد العُسر ، والميسر هـــو قمـــار العـــرب بالأزلام [1] .

إذاً فالميسر هو القمار الذي نعرفه اليوم على صورة مـــا مـــن صـــوره المختلفة يقول ابن عباس : " الميسر القمار ، كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله ، فأيهما قمر صاحبَه ذهب بأهله وماله ، وعن الحـــسن : الميـــسر : القمار " [2] ، فهذه التي وصف ابن عباس ، صورة مـــن صـــور القمـــار كانـــت موجودة في الجاهلية ، وقد انتقلت هذه الصورة بفعل الشيطان عبر الزمان حتـــى وصلت إلى عالمنا اليـــوم في صـــور مختلفـــة ، كلهـــا مـــن وحـــي الـــشيطان وتسويله ، فنوادي القمار ، والمراهنات ، وأسواق المعاملات المالية القائمة علـــى الحظ (البورصة) وصنوف المسابقات المختلفة القائمة على الاشـــتراك المـــالي لجميع الأعضاء ، والفوز لعضوٍ أو عضوين ، كل ذلك من القمار الذي حرمه الله تعالى وجعله رجساً من عمل الشيطان ، فما أكثر هذا الرجس في عالمنا اليـــوم ، ولا سيما العالم الإسلامي ، الذي انتشرت فيه أسواق البورصة ، ونوادي القمار ، والمسابقات المبنية على القمار .

رابعاً : كشف العورات :

تأتي هذه الغاية الخطيرة لتضاف إلى سابقاتها في سلسلة تدمير المجتمعات الإنسانية وتمزيق أواصرها فتتربع هذه الغاية على عرش هتك الأواصر والروابط المجتمعية ، والنخر في الأصول الحميدة للمجتمعات عن طريق استخدام المـــرأة

---

[1] - لسان العرب – لابن منظور – ج 5 – ص 295-300 .
[2] - جامع البيان – للطبري – م 2 – ج 2 – ص 475 .

لهذا الغرض ، فالمرأة تمثل شِقَّ المجتمع الذي يكون به البناء ، إن هو سار على ما أراد الله ، ويكون به الهدم والتدمير إن هو خرج عن نطاق العفة والصون إلى دياجير السفور والعريّ والشهوات .

خلق الله المرأة من الرجل لتكون ردئاً له وحفظاً وعوناً على تحقيق سنة الله في الكون بالتناسل ، وإعمار الأرض وفق منهج الله الذي به تستقيم الحياة ، ولما كانت المرأة بهذا القدر من الأهمية ، إذ هي صنو الرجل في إعمار الأرض دأب الشيطان منذ أول لحظة إلى نسف هذا الركن الركين للمجتمع بإخراجه عن هدفه الذي من أجله خُلق ، فالله قدّر في شرعه الحكيم عفة المرأة وصونها وحشمتها وستر مفاتنها ، إلا على محْرم ، لأنها هي مصدر الفتنة والإثارة ، فإن خرجت عن طورها كان فسادها على المجتمع عظيماً ، وقد أدرك إبليس هذه الطبيعة في أول البشر ، آدم وحواء ، وأدرك أنهما لن يؤتيا إلا من هذا الباب ، كشف العورة ، وكان قد عرف أن الأكل من الشجرة ، التي نهى الله عنها آدم وزوجه ، يترتب عليه هذا المقصود ، فكان أول سعي إبليس في إضلال البشر قاطبة هو كشف عورات آدم وزوجه حواء ليفتح عليهما باب الغواية على مصراعيه ،يقول تعالى : ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا** ... ﴾ [1] " (ليبدي) : ليظهر لهما ما سُتر وغُطّي بأن جُعِل كأنه وراءهما لا يلتفتان إليه ، والبناء للمفعول إشارة إلى أن الستر بالشيء لا كلفة عليهما فيه كما يأتي في قوله (ينزع عنهما لباسهما) ، (من سوءاتهما) أي المواضع التي يسوءهما انكشافها ، وفي ذلك أن إظهار السوءة موجب البعد من الجنة " [2] قال وهب بن منبه: " كان لباس آدم وحواء نوراً على فروجهما ، ولا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا ، فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما " [3] .

---

[1] - سورة الأعراف ، الآية 20 .

[2] - نظم الدرر – للبقاعي – ج 3 – ص 16 .

[3] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 6 – ص 275 .

وبعد هذا المشهد العلوي ، تبدأ سلسلة هامة من النصائح الربانية لبني آدم يحذرهم فيها من الشيطان عدوِّهم الأول ، وتبدأ هذه السلسلة من النصائح بما انتهى عنده المشهد في الجنة ، فيخبرهم تعالى بأنه أنعم عليهم بما يستر عورتهم من اللباس والريش إلى جانب اللباس الأعظم لباسِ التقوى ، فهو السلاح الأقوى في مواجهة الشيطان وسعيه الحثيث إلى كشف عورات بني آدم كما سعى قبلُ إلى كشف عورة أبويهم ، ومن هنا تظهر خطورة هذه الخطوة إذ يفتتح بها الحق سبحانه مجموعة وصاياه لأبناء آدم ، بل لا يقتصر الأمر على الافتتاح ، بل هو يثنّي بالحديث عن نفس الأمر مبيِّناً ومحذراً فيقول : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [1] " يا بني آدم لا يخدعنّكم الشيطان فيُبدي سوءاتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم ، كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره إياهم فأطاعاه وعصيا ربهما ، فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدعه من الجنة ، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ، ليريهما سوءاتهما بكشف عوراتهما ، وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستّرة " [2] ، ويتحدث صاحب الظلال عن هذه النداءات الربانية ويقف عند هذا النداء قائلاً : " إنه النداء الثاني لبني آدم ، في وقفة التعقيب على قصة أبويهم ، وما جرى لهما مع الشيطان ؛ وعلى مشهد العري الذي أوقعهما فيه عدوهما ، بسبب نسيانهما أمر ربهما والاستماع إلى وسوسة عدوهما ... أما هذا النداء الثاني فهو التحذير لبني آدم عامة وللمشركين الذين يواجههم الإسلام في الطليعة ، أن يستسلموا للشيطان ، فيما يتخذونه لأنفسهم من مناهج وشرائع وتقاليد ؛ فيُسلِمُهم إلى الفتنة – كما فعل مع أبويهم من قبل إذ أخرجهما من الجنة ونزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما – فالعري والتكشف الذي يزاولونه – والذي هو طابع كل جاهلية قديماً وحديثاً – هو عمل من أعمال

---

[1] - سورة الأعراف ، الآية 27 .

[2] - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 8 – ص 193 .

الفتنة الشيطانية ، وتنفيذ لخطة عدوهم العنيدة في إغواء آدم وبنيه ؛ وهو طـــرف من المعركة التي لا تهدأ بين الإنسان وعدوه . فلا يدع بنو آدم لعدوهم أن يفتنهم ؛ وأن ينتصر في هذه المعركة ، وأن يملأ منهم جهنم في نهاية المطاف " [1] .

الشيطان والمرأة :

لقد أدرك الشيطان منذ اللحظة الأولى ما للمرأة من أهميـــة فـــي صـــلاح المجتمع ، إن هي سارت على منهج الله ، وما لها في المقابل من شـــديد الخطـــر على إفساد المجتمع ، إن هي سارت في طريقه ، فاتخذها جندياً رئيساً من جنـــوده حيث استغل ما لها من فتنة ، وقدرة على الإغواء إذا بعدت عن مـــنهج الله فعـــن الحسن بن صالح[2] قال : " سمعت أن الشيطان قال للمرأة : أنتِ نصف جنـــدي ، وأنـــتِ سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ ، وأنـــتِ موضع سرّي ، وأنتِ رسولي في حاجتي " [3] .

وقد كانت هذه الفتنة العظيمة هي أول ما ضل به بنو إسرائيل كما أخبـــر الصادق المصدوق – عليه الصلاة والسلام – حيث يقـــول : " إن الـــدنيا حلـــوة خضـــرة وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ، فـــاتقوا الـــدنيا واتقـــوا النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء ، وفي حديث بـــن بـــشار[4] لينظر كيـــف تعملون " [5] ، فلما وقعت فيهم هذه الفتنة انغمسوا فيهـــا انغماســـاً شديداً ، فصاروا رجالهم ونساءهم عوناً لإبليس في نشرها في بني آدم ، وتشبعت حياتهم بها فملأت كل زاوية من زوايا حياتهم ، حتى كتابهم المقدس في نظرهم لم

---

1 - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 3 – ص 1279 .

2 - هو : الحسن بن صالح بن حي ، وهو حيان بن شُفَيَّ الهمداني ، ثقه فقيه عابد ، رُمي بالتـــشيع ، مـــن الطبقة السابعة - تقريب التهذيب – لابن حجر – ترجمة 1250 – ص 161 .

3 - تلبيس إبليس – ص 39 .

4 - هو : محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري أبو بكر بُندار ، ثقة ، توفي وله بضع وثمانون سنة – تقريب التهذيب – لابن حجر – ترجمة 5791 – ص 828 .

5 - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم – كتاب الرقاق – باب : أكثر أهـــل الجنـــة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان فتنة النساء – ح 6948 – ص 1153 .

يخلُ من ذكر تلك الفضائح والهتك للعورات بما يندى الجبين لسماعه ، وخذ لذلك مثالاً " يقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر ، لرائحة أدهانك الطيبة ، اسمك دهن مهراق ، لذلك أحبتك العذارى ، اجذبني وراءك فنَجْري ... أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار ، كشقق سليمان ... " [1]،ومن ذلك " ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم ، دوائر فخذيك مثل الحليّ ، صَنْعة يديْ صنّاع ، سرَّتك كأس مدوَّر لا يعوزها شرابٌ ممزوج ، بطنكِ صُبْرة حنطة مُسيَّجة بالسوسن ، ثدياكِ كشفتين توأميّ ظبية ، عنقكِ كبرج من عاج ... ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات ، قامتك هذه شبيهة بالنخلة ، وثدياك بالعناقيد ، قلت إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ... " [2] ولقد انطبعت هذه النقيصة الحاخامية على نهج اليهود على مرّ العصور حتى يومنا هذا ، ويبرز هذا في بروتوكولاتهم الماكرة ، ومن ذلك " إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تنحط قوى كل ملوك أوروبا، أي حينما تكون الأزمات الاقتصادية ودمار تجارة الجملة قد أثرا في كل مكان، هناك ستمهد السبيل لإفساد الحماسة والنخوة والانحلال الأخلاقي وخاصة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكرات في صور الفرنسيات والإيطاليات ... إن هؤلاء النساء أضمن ناشرات للخلاعة والتهتك في حيوات Lives المتزعمين على رؤوس الأمم ، والنساء في خدمة صهيون يعملن كأحابيل ومصايد لمن يكونون بفضلهن في حاجة إلى المال على الدوام. فيكونون لذلك دائماً على استعداد لأن يبيعوا ضمائرهم بالمال ، وهذا المال ليس إلا مقترضاً من اليهود، لأنه سرعان ما يعود من طريق هؤلاء النسوة أنفسهن إلى أيدي اليهود الراشين، ولكن بعد أن اشترى عبيداً لهدف صهيون من طريق هذه المعاملات المالية " [3] .

---

[1] - الكتاب المقدس – العهد القديم – سفر نشيد الأنشاد – الأصحاح الأول – الآيات 1 – 5 .

[2] - الكتاب المقدس – العهد القديم – سفر نشيد الأنشاد- الإصحاح السابع – الآيات 1 – 9 .

[3] - بروتوكولات حكماء صهيون – ترجمة عباس محمود العقاد – ص 125 .

والشيطان لا يبوح جهاراً نهاراً بغوايته هذه ، بل هو يروِّج لها عن طريق تغليفها بأزياء فكرية قشيبة تجذب الأنظار ، وتسلب النساء عقولهن ، وتدعي أنها معهن تبغي لهن الخير ، ومن تلك الحيل الماكرة التي روّج لها الشيطان وجنده من اليهود تحرير المرأة ، فلقد نجح أتباع الشيطان في غرس وتربية نواة أثمرت شكلاً جديداً للحياة ، استتبع بالتالي ضرورة إيجاد مفاهيم جديدة تساير الحياة كما صوّرها الآن ، ولعل قضية تحرير المرأة تُبِرز بشكل حاد ذلك التغيير الذي استتبع الإيمان بمفاهيم شيطانية تحمّسَ لها الناس ، وفُتنوا بها ، وما لبثوا أن باتوا في دوامة لا مفر منها ، لقد أخرجوا المرأة من بيتها بلا ضبط أو ربط ، وكشفوا عروتها وتفنّنوا في إبراز مفاتنها ، وعمّموا الاختلاط ، وطالبوها بالعمل مثل الرجل ، وفرضوا عليها أن تكتسب بعملها ، واستدرجوها إلى حيث طالبت بممارسة أي عمل حتى ولو كان يخالف طبيعتها وتكوينها ، فماذا كانت النتيجة ؟ ثورة ورفض لأحكام الله ومطالبة بأحكام مخالفة تتناسب مع الأوضاع الجديدة [1] .

واقع المسلمين في ظل هذه الغاية :

لقد أخذت هذه الغاية البغيضة من المسلمين كل مأخذ وغمرتهم في ضياع وتمزق ردحاً طويلاً من الزمان ، ولقد مرّ على أمة الإسلام زمان ما كدت ترى فيه امرأة تتحلّى بالزّي الشرعي الذي ارتضاه الله لها ، بل تعدى الأمر أكثر من هذا الحد، فلم يقتصر الأمر على مجرد كشف بعض ما أمر الله بستره ، بل تمادت بعض ربيبات الغواية ، والمُغرَّرات في كشف عوراتهن إلى درجات صار الأمر فيها سباقاً إلى الرذيلة ، سباقاً يجني على كثير من شباب الأمة فيوقعهم في حمأة الرذيلة والانحلال ، فلا يصبحون يفيدون الأمة في شيء .

أما اليوم فقد بدأت هذه الرذيلة تنحسر شيئاً فشيئاً ، بما منّ الله به على أمة الإسلام من الدعاة الصادقين الذين يحاربون الشيطان ، ولذا وكردة فعل على هذه الهداية ، استشرَّ إبليس وجنده في نشر هذه الفاحشة ، ففتحوا

[1] - انظر :حزب الله في مواجهة حزب الشيطان – وائل عثمان – ص 33 ، 34 .

باب العُري على مصراعيه ، ونشروا الإباحية البغيضة بين الشباب والشابات ، وجندوا من شياطين الإنس من قام بهذه المهمة على أتم وجه ، فبرز السفلة من المغنّين والمغنّيات ، والراقصين والراقصات ، وحاول هؤلاء وأذنابهم أن يرفعوا من شأن هذه الشياطين في عالمنا العربي والإسلامي فأقاموا لهم الحفلات ، وسلطوا عليهم أضواء الإعلام وملأوا بهم الفضائيات ، حتى يحاولوا أن ييئسوا الدعاة من إمكانية الإصلاح ، ولكن الله والحمد له دائماً وأبداً لهذه الشرذمة القليلة بالمرصاد وهو إن شاء ناصر جنده ودعاته الصادقين .

خامساً : الزنا والتّبنّي :

وكنتيجة طبيعية للخطوة السابقة ، يسقط المُضلَّلون من شباب وشابات هذا العالم في مراتع الرذيلة والفاحشة الكبرى ، ألا وهي الزنا ، وقد توعد اللعين بإيقاع أعدائه في هذه الفاحشة ، ويذكر الله عنه ذلك بما أتاح له من سبل الغواية حيث يقول : ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُوراً** ﴾ [1] " قال مجاهد : (وشاركهم في الأموال والأولاد) أولاد الزنا ، وكذا ابن عباس ، ويقول الطبري : وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : كل ولد ولدته أنثى عُصي اللهُ بتسميته ما يكرهه الله وبإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله ، أو بالزنا بأمه ، أو قتله ووأده ، أو غير ذلك من الأمور التي يُعصى الله بها فقد دخل في مشاركة إبليس فيه مَن وُلد ذلك المولود له " [2] ، وقد لخص الألوسي تلك المشاركة في الأولاد بقوله : " بالحثّ على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة وارتكاب ما لا يُرضي الله تعالى فيهم " [3].

---

[1] - سورة الإسراء – ، الآية 64 .

[2] - جامع البيان – للطبري – م 9 – ج 15 – ص 150 ، 151 .

[3] - روح المعاني – للألوسي – م 9 – ج 15 – ص 162 .

إذاً فالشيطان يريد لأعدائه أن يرتعوا في عيشة الرذيلة فيبــدأوا حيــاتهم بالزنا ، وينجبوا أولاداً على غير فطرة الله ، وتستمر حياتهم على الحرام ، كــي تنتهي عليه أيضاً ليصبحوا من حزبه في نهاية المطاف .

وقد أفسد الشيطان فِطَر كثير من البشر فنشر الزنا بين شعوبهم وخذ لذلك مثالاً يسوقه أبو الأعلى المودودي في حق الشعب الفرنسي حيث يقول : " ولك أن تقــدر تهاون الفرنسيين بالزنا وكيفية كونه غير معيب في أخلاقهم ... ففي يــوم 3 – مايو – 1919 م نشر قائد بعض الفرق العسكرية إعلاناً للجنود التابعة له ، فيه : (قد بلغنا أن عامة الرّجّالة والخيّالة يشتكون من تزاحم رجال البنادق على دور البغاء الجندية فيقولون إنهم قد كانوا يستبدّون بها ولا يدَعون غيرهم يتمتعون بها ، وإن مكتب القيادة لا يزال يسعى إلى زيادة عدد النساء ، حتى يكفين لجميع الجنود ، ولكن قبل أن يتم ذلك نوصي رجال البنادق ألا يطيلوا مُكثهم داخل تلــك الدور ، ويتعجلوا بقضاء شهوتهم ما استطاعوا ...) ليتأمل القارئ هذا الإعــلان الذي ينشره رسمياً قسم الدفاع لدولة من أرقى دول العالم ثقافــة وتهــذباً ، أفــلا يستنتج منه أنه لم يبقَ في قلوبهم حبة خردل من الاعتقاد بشناعة الزنا وكونه عيباً خلُقيّاً ، وأنه قد خلا من هــذا التــصوّر عنــد كــل مــن المجتمــع والقــانون والحكومة "[1] هذه القصة الشنيعة حصلت في عام 1919 ، أي قبل ما يقرب من خمسٍ وثمانين سنة ، فما بالك بحال العالم اليوم في ظل هــذه الغايــة الفظيعــة للشيطان ، لقد أصبح الزنا في كثير من دول الغرب ضرورياً لكل شاب وشــابة قبل أن يبدآ حياتهما الزوجية ، فإنك ترى الشاب الغربي اليــوم يــستحيي مــن أصدقائه إن هو لم يخض حياة الزنا مع عشيقته قبل الــزواج ، لا بــل إن أمــر الانحطاط الخلقي وصل إلى حدٍّ رُخّصت فيه رسمياً فــي بعــض دول العــالم ، العلاقات الجنسية الشاذة (الزواج المثلي) نسأل الله العفو والعافية .

هذا على مستوى الزنا ، وجلب الأولاد بالحرام ، أما من لم يقدّر له الله أن ينجب ، فإن الشيطان يواصل معه الغواية فيدفعه إلى ارتكاب محرّمٍ آخــر هــو

---

[1] - الحجاب – للمودودي – ص 41 .

التّبني ، وهو نسبة الولد إلى غير أبيه وأمه ، وهذا استمرار في مخالفـة حكمـة تحريم الزنا ، فالزنا خلط للأنساب والأولاد ، والتّبني كذلك قلب الحقائق وخلـط للأنساب ، وقد وصل الحدّ ببعض الضالين في هذه الأرض أن يستنكفوا طوعـاً عن الإنجاب ، لما يسببه للمرأة – بحد زعمها – من إرهاق وإفساد لهيئتها وذهاب لرونق بشرتها ، واستبدال ذلك بالتّبني ، بل إني – ولعجيب هذا الزمان – رأيـت رجلاً وامرأة في باريس يرفضان الإنجاب بالكلية ، ويستعيضان عن هذه النعمـة العظيمة بتبنّي كلبة تخرّجت من إحدى كبريات مدارس الكلاب في فرنسا ، نعـم هي كلبة عزيزة بلغ ثمنها– على ما أذكـر – خمـسة وعـشرين ألـف دولار أمريكي !! .

والحق أن المشاركة في الأولاد غير مقتصرة علـى الإنجـاب بالزنـا أو التبني ، بل تتعداهما إلى كل ما يُفعل بالأولاد أو لهم على غير مرضاة الله يقـول الطبري : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : كل ولدٍ ولدته أنثى عُصي الله بتسميته ما يكرهه الله ، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله ، أو بالزنا بأمه ، أو قتلـه ووأده ، أو غير ذلك من الأمور التي يُعصى الله بها بفعله به أو فيه ، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له ، أو منه ، لأن الله لم يخصِّص بقوله وشاركهم في الأموال والأولاد معنى الشركة فيه بمعنـى دون معنى ، فكل ما عُصي الله فيه أو به وأطيع به الشيطان أو فيه ، فهو مشاركة من عُصي الله به أو فيه إبليس فيه " (1) .

سادساً : التناجي بالإثم :

وتلك غاية أخرى من غايات إبليس ، تفضي إلى خطر كبير علـى أمـة الإسلام ، وتساهم أيُّما مساهمة في تفكيكها ، وتخذيل أهل الإسلام عنه ، وإلقـاء الحزن والضعف والخور في قلوب الكثير منهم ، وقبل أن نتحدث عن النجـوى وأثرها على المجتمع نتعرف على معنى هذه الكلمة ومفهومها في لسان العرب :

---

[1] - جامع البيان – م 9 – ج 15 – ص 150 ، 151 .

النجوى : النون والجيم والحرف المعتل أصلان ، يدل أحدهما على كشط وكشف ، والآخر على ستر وإخفاء ، فالأصل الثاني النجو والنجوى : السرّ بين اثنين [1] .

إذاً فالنجوى والتناجي هي المسارة بالحديث بين اثنين أو أكثر ، وهي تأخذ المعنى الثاني من المعنيين المتضادين ، معنى الستر والتغطية ، وقد خصّ سبحانه التناجي بالإثم بتلك النجوى المرتبطة بالشيطان حيث يقول : ﴿ **إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [2] " أي إنما النجوى – وهي المسارّة – حيث (يتوهم منها المؤمن) سوءاً ، من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ، أي ليسوءهم ، وليس ذلك بضارّهم شيئاً إلا بإذن الله ، ومن أحس من ذلك شيئاً فليستعذ بالله ، وليتوكل على الله ؛ فإنه لا يضره شيء ، بإذن الله " [3] .

والآية مع ما قبلها من آيات نزلت في يهود فعن مقاتل بن حيان : " ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ...** ﴾ [4] قال اليهود ، كان بين النبي – صلى الله عليه وسلم – وبين اليهود موادعة ، وكان إذا مرّ بهم رجل من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – جلسوا يتناجون بينهم ، حتى يظنّ المؤمن أنّهم يتناجون بقتله ، أو بما يكره المؤمن ، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم ، فترك طريقه عليهم ، فنهاهم النبي – صلى الله عليه وسلم – عن النجوى ، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى فأنزل الله الآية " [5] .

نعم ، أولئك هم اليهود ، وهذا هو ديدنهم في كل زمان ومكان ، وهذا هو دأب المنافقين أعوانهم ، فهذه النجوى بالإثم هي التي تثير الضعف في قلوب أفراد المجتمع المسلم ، وقد ورد في سبب نزول هذه الآية قصة أخرى تتعلق

---

[1] - معجم المقاييس في اللغة – لابن فارس – ص 1014 ، 1015 .

[2] - سورة المجادلة ، الآية 10 .

[3] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 13 – ص 455 .

[4] - سورة المجادلة ، الآية 8 .

[5] - تفسير القرآن العظيم – لابن أبي حاتم – ج 10 – ص 3343 .

بالمنافقين ، أتباع اليهود ، وهي في نفس معنى القصة الأولى ، وقد تجتمعان في سبب النزول تحت باب تعدد السبب والنازل واحد ، فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : " كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا بعث سرية وأغزاها التقى المنافقون فأنغضوا رؤوسهم إلى المسلمين ، ويقولون : قُتل القوم ، وإذا رأوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – تناجوا وأظهروا الحزن ، فبلغ ذلك من النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن المسلمين ، فأنزل الله الآية " (1)

وقد حذر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من هذا الإثم ، ونهى عن التناجي بين اثنين في حضور مؤمن ثالث ، كي لا يأخذ هذا الأمر من نفسه مأخذاً ، وقد احترز رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في نهيه فصرف كل شكٍ ، فنهى عن مطلق التناجي بين اثنين في حضور صاحب ثالث لهم يقول – صلى الله عليه وسلم - : " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس أجل أن يحزنه " (2) ، ويبيُّن لنا البخاري في ترجمة هذا الحديث أن التناجي يجوز في حال كان العدد أكثر من ثلاثة ، لأن الأمر يصبح فيه بحبوحة أن يتكلم كل واحد مع أخٍ له ، أما النهي فيقع على ترك واحد دون الجميع فيكون لقمة سائغة للشيطان يلقي في قلبه الوساوس السيئة .

وقد طمأن الحق سبحانه المؤمنين بأن هذه النجوى التي تقع من اليهود والمنافقين والظالمين في كل مكان لن تضرّهم شيئاً إلا بإذنه سبحانه ، وقد عقب تعالى على كون النجوى من الشيطان بأنها لا تضرّهم شيئاً ليطمئن المؤمنين بأن الله حافظهم من ضرّ الشيطان ، والمعنى أن الشيطان لا يضرّ المؤمنين بالنجوى أكثر من أنه يحزنهم (3).

---

1 - الدر المنثور – للسيوطي – ج 8 – ص 82 .

2 - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب الاستئذان – باب : إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس في المسارة والتناجي – ح 6290 – ص 530 .

3 - انظر : التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 13 – ج 28 – ص 34 ، 35 .

التناجي بالإثم في عصرنا الحاضر :

تنخر هذه الغاية الشيطانية في عضد أمة الإسلام ، وتفتتها أيما تفتت ، فهي التي تلقي اليأس ، وتزرع القنوط في قلوب كثير من أبناء هذه الأمة ، ولا يقتصر أمر التناجي بالإثم في هذا الزمان على الصورة المبسطة لهذا الإثم ، وهو أن يتسارّ اثنان دون ثالث ، أو أن تجلس مجموعة تتخافت بالحديث أمام المسلمين ، بل يأخذ هذا التناجي شكلاً آخر منمقاً في عصر النفاق والخداع والتّزييف للحقائق ، فتلك الاجتماعات السرّية التي يعقدها أعداء الله في شرق الأرض وغربها ، ثم يخرجون على وسائل الإعلام يتحدثون عن توصيات سرّية وخطيرة وهامة لعلاج الوضع الراهن في الشرق الأوسط مثلاُ ، إنما هي نجوى بالإثم بين آثمين يهدفون بالدرجة الأولى إلى ترهيب المسلمين منهم ، فيظن المسلم أن الخطر قد أحدق به، وأنهم سيضربون بيد من حديد على كل من واجههم أو وقف في طريقهم ، وأن العالم كله معهم وهكذا فيتسرب الضعف والخور إلى أنفس الكثير من الناس ويستسلموا لإرادة أعداء الله .

وقد تحدث سيّد قطب عن نوع ثانٍ من النجوى في عصرنا الحاضر ، تلك هي النجوى الارتجالية بين أفراد الجماعة المؤمنة بعيداً عن قيادتها حيث يقول : "ويبدو أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد بحاسة التنظيم الإسلامي ، كانوا يجتمعون عندما تحزِب الأمور ، ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيداً عن قياداتهم ، الأمر الذي تقرّه طبيعة الجماعة الإسلامية ، وروح التنظيم الإسلامي ، التي تقتضي عرض كل رأي وكل فكرة وكل اقتراح على القيادة ابتداءً ، وعدم التجمُّعات الجانبية في الجماعات ، كما يبدو أن بعض هذه التجمّعات كان يدور فيها ما قد يؤدي إلى البلبلة ، وما يؤذي الجماعة المسلمة – ولو لم يكن قصد الإيذاء قائماً في نفوس المتناجين – ولكن مجرد إثارتهم

للمسائل الجارية وإبداء الأراء فيها على غير علم ، قد يؤدي إلى الإيذاء ، وإلـــى عدم الطاعة "[1] .

سابعاً : الاستهزاء بالمؤمنين :

وتلك غاية أخرى من غايات الشيطان تنتظم في سلسلة الغايات الممزقـــة للمجتمع الإسلامي ، فالأصل في المؤمنين التوادّ والتعاطف والتراحم ، والمـــؤمن مرآة أخيه يسدي إليه النصيحة الصادقة بعيداً عن أعين الناس ، غرضه في ذلك الإصلاح والتقويم ، أما الشيطان وأولياؤه فيسعون إلى فضح المؤمنين ، والـــتهكم منهم ، وإبراز معايبهم ، لتشيع الفاحشة في المجتمع ، وينتشر الكلام السيء فيؤثر على نفوس العامة .

والاستهزاء من المؤمنين يأخذ أشكالاً متعددة كمـــا يبيّنهـــا الألوســـي : "الاستهزاء : الاستخفاف والسخرية ، واستفعل بمعنى فعل ، تقـــول هـــزَأتُ بـــه واستهزأت بمعنىً ، كاستعجب وعجِب ، وذكـــر حجـــة الإســـلام الغزالـــي أن الاستهزاء الاستحقار ، والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص علـــى وجـــهٍ يُضحَك منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول والإشـــارة والإيمـــاء ، وأصل هذه المادة الخفة ، يقال : ناقته تهزأ به أي تُسرع وتخِف "[2] .

ويظهر الارتباط بين الشيطان والاستهزاء في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا لَقُـــوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّـــا مَعَكُـــمْ إِنَّمَـــا نَحْـــنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾[3] ، " أجمع أهل التأويل علـــى أن معنـــى قولـــه (إنمـــا نحـــن مستهزءون) : إنما نحن ساخرون ، فمعنى الكلام إذاً : وإذا انصرف المنـــافقون خالين إلى مردتهم من المنافقين و المشركين قالوا : إنّا معكم على ما أنتم عليـــه من التكذيب لمحمد – صلى الله عليه وسلم – وبما جاء به ، ومعاداتـــه ومعـــاداة أتباعه ، إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد في قيلنا لهم إذا لقيناهم : (ءامنا بالله

---

[1] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 6 – ص 3510 ، 3511 .
[2] - روح المعاني – للألوسي – ج 1 – ص 255 .
[3] - سورة البقرة ، الآية 14 .

وباليوم الآخر) " [1] ، فهذا الإقرار منهم لشياطينهم بحقيقة مقالتهم للمؤمنين إنما هو طلب للرضا من أسيادهم ، إذ هم يعملون ما يأمرونهم بـــه مـــن الاســـتهزاء والسخرية بالمؤمنين .

والاستهزاء هنا يحمل معنى الاستخفاف ، إذ هو قول كاذب يستخف قائله فيه بمن يخاطبه ، كي يصرفه عنه ، وهو في حقيقته استهزاء بالمقول ، وهو هنا الإيمان بالله واليوم والآخر ، وقد يقع الاستهزاء علانية ، فيستخف وليُّ الشيطان بالمؤمن ، فيذكره بصفة ، ثم يأخذ في التقليل من شأن هذه الصفة بل وذمها ، كما وقع من المنافقين يوم تبوك لما استهزأوا بقراء كتـــاب الله ، فنعتـــوهم بمعايـــب ومناقص على رؤوس الأشهاد ، كي ينفروا منهم ، ويوقعوا الشكّ تجـــاههم فـــي قلوب الآخرين ، لكن الرد الرباني على هذه الجريمة كان قاسياً حيث أنزل فـــيهم قرآناً يتلى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّـــهِ وَآيَاتِـــهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ** ﴾ [2] .

---

[1] - جامع البيان – للطبري – م 1 – ج 1 – ص 170 ، 171 .

[2] - سورة التوبة ، الآيتان 65 ، 66 .

الفصل الخامس

عواقب اتباع الشيطان ووسائل محاربته

وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : عواقب اتباع الشيطان

المطلب الأول : عواقب اتباع الشيطان في الدنيا

المطلب الثاني : عواقب اتباع الشيطان في الآخرة

المبحث الثاني : وسائل محاربة الشيطان

المطلب الأول : وسائل الوقاية من خطوات الشيطان وغاياته

المطلب الثاني : وسائل محاربة الشيطان وولايته

المبحث الأول
عواقب اتباع الشيطان

تقتضي سنة الله في خلقه ، وحكمته البالغة في تقديره أن يجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ولو بعد حين ، وهذا ما تبرزه آيات الكتاب العزيز في سياق آيات موضوعنا ، فالتمرد والعتو والطغيان ، والإغواء والإضلال ، واتباع الشيطان وولايته ، والسير في خطواته ، والوقوع في غاياته ، كل ذلك مما ذكرنا على طول صفحات هذا البحث لا بد له من عاقبة تغشى أصحابه ، وجزاء يُدانون به ، سواء كانت تلك العاقبة في عاجلة أمرهم أو في عاقبته ، وسواء كان ذلك الجزاء في الدنيا ، أو في الآخرة ، وسنبدأ بذكر عاقبة الشياطين وأتباعهم في الدنيا ، ثم نثّني بمآلهم في الآخرة :

المطلب الأول : عواقب الشيطان وأتباعه في الدنيا :

لقد خصَّ الله تعالى إبليس أبا الشياطين بعقوبة دنيوية تختلف عن بقية الشياطين ، ؛إذ هو أصل كل شرّ ومبدؤه ، فقد ضرب الله عليه اللعنة والغضب مُذ رفض السجود لما خلق الله بيديه استكباراً ، إلى أن يلقى الله يوم القيامة مدحوراً فيدخل النار خالداً فيها ، وهذا ما وضحته كثير من الآيات القرآنية في سياق الحديث عن إبليس وآدم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً ...** ﴾ [2] ، وغيرها من الآيات .

---

[1] - سورة الحجر ، الآية 35.

[2] - سورة الأعراف ، الآية 18 .

أما بقية شياطين الجن والإنس ومن تبعهم في الدنيا ، فقد توعّدهم الله بعواقب تصيبهم جراء جرمهم ، فهذا من قبيل ترتيب الأسباب على المسببات ، وليس من قبيل لعنة حلّت عليهم ، أو غضبٍ نزل بهم ، فباب التوبة مفتوحٌ لهم أجمعين إلى أن تخرج أرواحهم من أجسادهم ، وتلك العواقب هي :

أولاً : الشقاء وخسران الدنيا :

يرد الشقاء في كتاب الله على معنيين : أولهما شقاء عام أصاب كل بني آدم نتيجة خروج أبويهما من الجنة ، وثانيهما شقاء خاصّ بأولئك الذين اتبعوا نهج إبليس فوقعوا في تلك العاقبة .

أما العام فيتحدث عنه قوله تعالى مخاطباً آدم وزوجه : ﴿ **إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى** ﴾ [1] ، " أي إياك أن يسعى في إخراجك منها فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك ، فإنك هاهنا في عيش رغيد هنيء لا كلفة فيه ولا مشقة " [2].

أما الشقاء المقصود هنا فهو الشقاء بمعناه الخاص ، والذي هو نصيب الشيطان وأوليائه ، أولئك الذين أعرضوا عن منهج الله ، وتركوا هداه ، وانسلّوا في طرائق الشرّ والطغيان ، يكيدون ويمكرون ويُغوون ويضلون ، أولئك هم الذين يذكرهم رب العزة في سياق آيات طه بعد الآية السابقة حيث يقول : ﴿... **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً** ﴾ [3] فهذا بيان من الحق سبحانه لطريقين لا ثالث لهما : إما طريق هدى الله ، أو طريق إبليس الذي أخرج أبوي البشر من الجنة حيث لا شقاء ولا تعب ولا ضلال ، ويبيّن ابن كثير هذا الشقاء المذكور في الآية فيقول : " (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي**) أي خالف أمري وما أنزلت على رسولي ، أُعرِضُ عنه وأتناساه ، وله معيشةٌ ضنكٌ في الدنيا ؛ فلا طمأنينة له

---

[1] - سورة طه ، الآية 117 .

[2] - تفسير القرآن العظيم- لابن كثير – ج 9 – ص 373 . .

[3] - سورة طه ، الآيتان 123 ، 124 .

ولا انشـــراح لصدره ، بل صدره ضيقٌ حرجٌ لضلاله ، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء ، فإن قلبه ما يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبه يتردد ، فهذا من ضنك المعيشة ... فعن ابن عبـــاس (**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً**) : الشقاء ، وقال الضحاك : هو العمل السيء والرزق الخبيث ، وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار " [1] .

هذا هو الشقاء الذي توعّد به الله أتباع الشيطان ، ولصاحب الظـــلال فـــي وصف هذا الشقاء – وهو يعبر عما يرى في عصرنا الحاضر – كلمـــات طيبـــة جميلة أسوقها هنا مكتفياً بها عن غيرها فجزى الله كاتبها خير الجزاء : " ومـــن اتبع هدى الله فهو نجوة من الضلال والشقاء في الأرض ، وفي ذلك عوضٌ عـــن الفردوس المفقود حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود ، والحياة المقطوعة الـــصلة بالله ورحمته الواسعة ضنكٌ مهما يكن فيها من سعة ومتاع ، إنه ضنك الانقطـــاع عن الاتصال، بالله والاطمئنان إلى حماه ، ضنك الحيرة والقلق والشك ، ضـــنك الحرص والحذر الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت ، ضـــنك الجـــري وراء بريق المطامع ، والحصرة على كل ما يفوت ، وما يشعر القلب بطمأنينـــة الاستقرار إلا في رحاب الله ، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بـــالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضـــاً ، وعمقاً وسعة ، والحرمان منه شقوة لا تعادلها شقوة الفقر والحرمان " [2] .

هذا هو الشقاء والضنك ، أما الخسران الذي يجنيـــه الـــشيطان وأتباعـــه فيقرره تعالـــى في غيـــر آيـــة فيقـــول : ﴿ **... وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِـــنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً** ﴾ [3] ، ويقـــول أيـــضاً : ﴿ **اسْـــتَحْوَذَ عَلَـــيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِـــزْبَ الـــشَّيْطَانِ هُـــمُ**

---

[1] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 9 – ص 377 .

[2] - في ظلال القرآن – ج 4 – ص 2355 .

[3] - سورة النساء ، الآية 119 .

الْخَاسِرُونَ ﴾ (1) ، ويفسر البغوي هـذا الخسران في الدنيا بأنه الذل حيث يقول : " أي هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة " (2) ، وهذا الخسران ظاهر في دنياه وآخرته بسبب تولّي الشيطان باتباع أوامره واتخاذه إماماً يُقتدى به (3) .

ثانياً : الحيرة والتخبط :

وكما ألقـى الشيطان أولياءه في مراتع الشِقوة ، فأنهك أبدانهم فـي إدراك ما لا يُدرك ، فهو أيضاً لم يترك عقولهم وأرواحهم في معزل عن كيده ، فاتبـاع الشيطان ، والانخراط في جند إبليس ، يؤول بالمتَّبع إلى حيرة تهـوي بـه فـي غيابة الشك والتمزق النفسـي ، وهذا ما يصوّره كتاب الله – عز وجـل – فـي قوله : ﴿ **قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْـدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَـهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَـالَمِينَ** ﴾ (4) "هذا الإيقاع القوي بحقيقة الألوهية وخصائصها ، واستنكار الشرك والعودة إليـه بعد الهدى ، ومشهد الذي يرجع القهقرى مرتداً عن دين الله وحيرته في التيه بلا اتجاه ، وبتقرير أن هدى الله وحده هو الهدى ، هذا الإيقاع يُختم برنة عالية عميقة مدوية عن سلطان الله المطلق في الأمر والخلق ... إنه مـشهد حـيٌّ شـاخص متحرك للضلالة والحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التوحيد ، ومن يتوزع قلبـه بين الإله الواحد والآلهة المتعددة من العبيد ، وبتفـرق إحـساسه بـين الهـدى والضلال فيذهب بالتيه ، إنه مشهد ذلك المخلوق التعيس الذي استهوته الشياطين في الأرض ، ولفظ الاستهواء لفظ مصوِّر بذاته لمدلولـه ، وبالتيـه يُتْبَـع هـذا الاستهواء في اتجاهه فيكون له اتجاهاً ولو في طريق الضلال ، ولكن هناك مـن الجانب الآخر أصحاب له مهتدون يدعونه وينادونه ائتنا ، وهو بيْن هذا الاستهواء

---

[1] - سورة المجادلة ، الآية 19 .

[2] - معالم التنزيل – للبغوي – ج 5 – ص 355 .

[3] - انظر التفسير المنير – ج 5 – ص 277 .

[4] - سورة الأنعام ، الآية 71 .

وهذا الدعاء حيران ، لا يدري أين يتجه، ولا أي الفريقين يجيب ، إنه العـذاب النفسي يرتسم ويتحرك حتى ليكاد يُحسُّ ويُلمَس من خلال التعبير ، ولقـد كنـتُ أتصور هذا المشهد وما يفيض به من عذاب الحيرة والتأرجح والقلقلة كلما قرأت هذا النص – ولكن مجرد تصور – حتى رأيت حالات حقيقية يتمثل فيهـا هـذا الموقف فيفيض منها هذا العذاب : حالات ناس عرفوا دين الله وذاقوه – أياً كانت درجة هذه المعرفة وهذا التذوق – ثم ارتدوا عنه إلى عبادة الآلهة الزائفة تحـت قهر الخوف والطمع ، ثم إذا هم في مثل هذا البؤس المرير وعندئذٍ عرفت مـاذا تعني هذه الحالة وماذا يعني هذا التعذيب ... " [1] .

سقت هذا النص الطويل لصاحب الظلال لما فيه من بيان جميل لهذه الحالة من الحيرة والتخبط ، تلك الحالة التي لا تزال تلازم أصحابها ما لازموا طرائـق الشيطان وساروا في دروبه ، والشيطان يرمي من وراء هذا التخبط إلـى بلـوغ غايته من أعدائه وهي الموت على الكفر " واللعين لا غاية له إلا إيقاع المـؤمن في وهدة الضلال والحيرة وتكدّر العيش وظلمة النفس وضجرها إلى أن يخرجه من الإسلام وهو لا يشعر " [2] .

المطلب الثاني : عاقبة الشيطان وأتباعه في الآخرة :

العذاب الأكبر ، ذاك ما وصف الله به تلك العاقبة الوخيمة ، والمآل الأليم فالعذاب الأدنى كان في الدنيا ، وهاهم يذوقون وبال أمرهم وتكون عاقبة أمـرهم خسراً ، ومشهد يوم القيامة – كما تصوره آيات الكتاب العزيز – يُنبئ عن تلـك العاقبة : اجتماع إبليس وأتباعه في المحشر ، تبرؤ المُـضلّين المُغـوين ممـن أضلوهم وأغوَوهم ، خلودٌ في النار لإبليس وأتباعه .

أولاً : أتباع الشيطان يُحشَرون معه يوم القيامة :

ساروا في دروب إبليس في الدنيا ، اتخذوا الشياطين أولياء ، غرّتهم الحياة الدنيا ، ماتوا على غير فطرة الإسلام ، ثم النتيجة الطبيعة لكل ما كان منهم فـي

---

[1] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 2 – ص 1131 ، 1132 .

[2] - إصابة السهام – لمحمود السبكي – ص 157 .

الدنيا ، اجتماعهم مع بعضهم البعض حول جهنم يوم القيامة ، وهـذا مـا يقـسم المولى سبحانه عليه في محكم آياته : ﴿ **فَوَرَبِّـكَ لَنَحْـشُرَنَّهُمْ وَالـشَّيَاطِينَ ثُـمَّ لَنُحْضِرَنَّهُـمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً** ﴾ [1] " أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهـم جميعـاً وشياطينهـم الذيـن كانـوا يعبدونهم من دون الله ، (**ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُـمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً**) قال العوفي عن ابن عباس : يعنـي قعـوداً كقوله : ﴿ **وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً** ﴾ [2] ، قال السدي : يعني قياماً . وروي عن مرة عن ابن مسعود مثله " [3] .

ثانياً : تبرأ إبليس من أتباعه يوم القيامة :

وهذا دأب المبطلين والغاوين – وإن كانوا يخفون هذه السجية في الدنيا – فهي تبرز الآن بكل قوة ، فالمشهد يومئذ عظيم ، والخطب جلـل ، فالـشياطين والطغاة يومئذ ينوءون بأوزارهم ، فلم تعد تلك الكلمات المعـسولة تخـرج مـن أفواههم لأتباعهم ، كان الكلام في الدنيا لا تظهر عواقبه ، أما اليوم فالكلمة تجلب الأوزار ، والأتباع كثير ، ولسان الحال قوله تعالى : ﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ** ﴾ [4] فعن السدي " أمـا الـذين اتُّبعوا فهم الشياطين ، تبرأوا من الإنس " [5] ، وهنـا تـزداد حـسرة المتّبعـين الضاليـن ، فيطلبـون من الله كرَّة أخرى لينتقموا فيها ممّـن أغـووهم ولكـن هيهات ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَـرَّأُوا مِنَّـا كَـذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾ [6] .

ومما يزيد حسرة المتحسِّرين ، وندم النادمين ، قيام كبير الشياطين إبلـيس – عليه لعائن الله – فيهم خطيباً يعلن لهم تلك البراءة علـى رؤوس الأشـهاد ،

---

[1] - سورة مريم ، الآية 68 .

[2] - سورة الجاثية ، الآية 28 .

[3] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 9 – ص 278 .

[4] - سورة البقرة ، الآية 166 .

[5] - تفسير القرآن العظيم – لابن أبي حاتم – ج 1 – ص 278 .

[6] - سورة البقرة ، الآية 167 .

ويخبرهم أن أوزارهم لن يحملها إلا هم ، يقول تعـالى مـصوراً هـذا المـشهد العصيب على أتباع الشيطان يوم القيامة : ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْـأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّـا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَـا أَنْـتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِـيمٌ** ﴾ [1] "أي وقال إبليس (لما قضي الأمر) أي فُرِغ منه ، ودخل أهل الجنـةِ الجنـةَ ، وأهل النارِ النارَ ، يقول مقاتل : يُوضع له منبر في النار ، فيرقاه فيجتمع عليـه الكفـار بالأئمة فيقول لهم : إن الله وعدكم وعد الحق فـوفّى لكـم ، ووعـدتكم فأخلفتكم ... (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) أي كفرت بجعلكم إياي شريكاً في عبادة الله ، وتبرأت من ذلك " [2] .

ثالثاً : دخول الشيطان وأولياؤه النار :

وهذه الخاتمة التعسة هي التي حذر المولى منها العالمين أجمعين مذ رفض إبليس السجود لآدم ، يقول تعالى مخاطباً إبليس : ﴿ **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَـا مَـذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِـينَ** ﴾ [3] ، " فهـذا قسم من الله – جل ثناؤه – أقسم أنه من اتّبَع من بني آدم عدو الله إبليس وأطاعه وصدقه ظنّه عليه ، أن يملأ من جميعهم – يعني من كفرة بني آدم تبَّاع إبليس ، ومن إبلـيس وذريته – جهنم ... " [4] ، وقد ورد هذا التحذير الرباني في غير موضـع فـي كتابه تعالى فمن ذلك : ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [5] .

وقد نفَّر القرآن من اتِّباع الشيطان مبيناً أن هذا الاتباع إنما يقود إلى خاتمة بئيسة ، يقول تعالى ﴿ ... **أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ الـسَّعِيرِ** ﴾ [6]

---

[1] - سورة إبراهيم ، الآية 22 .

[2] - معالم التنزيل – للبغوي – ج 3 – ص 375 .

[3] - سورة الأعراف ، الآية 18 .

[4] - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 8 – ص 178 .

[5] - سورة الحجر ، الآية 43 .

[6] - سورة لقمان ، الآية 21 .

"أي أيتّبعونهم بلا دليـــل ! ولـــو كـــان اعتقادهـــم قائماً على الهـــوى وتـــزيين الشيطـــان الذي يدعوهم إلى عذاب جهنم ، والله يـــدعو إلـــى النجـــاة والثـــواب والسعادة " [1] .

ويصوّر لنا الحق سبحانه مشهد دخـــول إبلـــيس وأوليائـــه فـــي جهـــنم ، وتلاوومهم فيها ، وندمهم إذ لا ينفع الندم : ﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَـــا هُـــمْ وَالْغَـــاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَـــلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ * فَمَـــا لَنَـــا مِـــن شَافِعِينَ * وَلا صَدِيـــقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِـــنَ الْمُـــؤْمِنِينَ** ﴾ [2] " يقول : فرُمي بعضهم في الجحيم على بعض ، وطُرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم ... وعن قتادة (الغاوون) : الشياطين ، فتأويل الكلام على قـــول قتادة : فكبكب فيها الكفارُ الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنامَ والـــشياطينُ ، وقولـــه (وجنـــود إبليس أجمعون) يقول : وكبكب فيها مع الأنـــداد والغـــاوين جنودُ إبليس أجمعون ، وجنوده : كل من كان من أتباعه من ذريته كان أو مـــن ذرية آدم " [3] .

وكما اتّبع المجرمون الشيطان في الدنيا ، وكما حشروا معه في الآخرة ، ها هـــم الآن يرافقونـــه نفس المصير : خلودٌ في نار جهنم جزاءً بكفرهم الـــذي كان في الدنيا : ﴿ **فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِـــدَيْنِ فِيهَـــا وَذَلِـــكَ جَـــزَاءُ الظَّالِمِينَ** ﴾ [4] .

أما الموحدون ، ممن استمالهم الشيطان في الدنيا ، ولكنه لم يقـــدح فـــي توحيدهم وإيمانهم بالله فلم يوقعهم في شرك أكبر ، أو كفر ، فلا يتبعون إبليس في الآخرة ، بل تنالهم رحمة الله ، وإن كانوا وقعوا في بعض غايـــات الـــشيطان ،

---

[1] - التفسير المنير – للزحيلي – ج 21 – ص 160 .

[2] - سورة الشعراء ، الآيات 94 – 102 .

[3] - جامع البيان – للطبري – م 11 – ج 19 – ص 104 .

[4] - سورة الحشر ، الآية 17 .

ولكنها لم تطغ على إيمانهم فتفسده ، بل كانوا في دنياهم أوابين لله يعودون إليـــه مستغفرين كلما أذنبوا ، وإن دخلوا النار لعقوبة عليهم ، فلا يُعــدوا مــن أتبـــاع الشيطان ، إذ إنّ مآلهم إلى جنة الرحمن .

المبحث الثاني

وسائل محاربة الشيطان

ها نحن – أخي القارئ – نحط عصا التَّرحال عند غاية سفرنا ، ومقـصِد بحثنا ، حيث بيت القصيد ، وغاية النشيد ، كي نقف أنفسنا عنـد سـؤال ، هـو منتهى الطريق لمن أراد النجاة من كل ما سبقت قراءته في ثنايا هذا البحث ، هذا السؤال هو : إذاً فكيف يرشدنا الحليم الودود ، من خلال آيات كتابه المجيد ، إلى تلك الوسائل الوقائية والأسلحة التي ينبغي أن يتسلّح بها كل من أراد النجاة مـن براثن الشيطان ، والنجاة من خطواته ؟

تقتضي حكمة الحكيم الخبير دائماً وأبداً ألا يظهر الداء إلا وقد قرنه بالدواء حتى تقـوم الحجة على العباد فلا يأتيه آت يوم التناد يقول : ما أتانا من نـذير ، أو ما عرفنا السبيل ، ولقد بث المولى سبحانه طرائـق النجـاة مـن الـشيطان وخطواته وغاياته ، بين آيات كتابه مقترنة على الأغلب ببيان خطوات الـشيطان وغاياته ، فهـو لا يؤخر عليك – أخي القارئ – وسيلة النجاة لـشدة خطـورة المسألة ، أما نحن – بضعفنا البشري وقلة حيلتنا – فأخرنا عليـك الوسـيلة دون المسألة لنفصل ما أُجمل ، ونبين القول فيه .

وقد تبين ، من خلال استقراء آيات القرآن ، أن المـرض الـذي يلحقـه الشيطان بأعدائه هو على مستويين : الأول مرضٌ خفيف الوطئة ، لكنه لا ينفـك يلازم الإنسان في أكثر أوقاته حتى يصير عند البعض عادةً أو سلوكاً ، وهو مـا يكون من خطوات الشيطان والسقوط في بعض غاياته ، والثاني مرضٌ خطيـر شديد الوطئة ، يُلحق بحامله الشرك والكفر بالله ، ويجعله غويّـاً مُـضلاًّ عاتيـاً متمرِّداً ، وهذا ما عرفناه من خلال بحثنا باسم " الشيطان ، أو أولياء الشيطان " ،

أما المرض الأول فيحتاج إلى علاج خفيف يمنعه ، ووسيلة مستمرة تبعده وتقي منه وهو المستوى الأول من الوسائل ، وأما المرض الثاني فيحتـــاج إلـــى علاج قويٍ يضاده ، ووسيلة محكمةٍ تدمغه وهذا هو المستوى الثاني.

المطلب الأول : وسائل الوقاية من خطوات الشيطان وغاياته :

هذا هو المستوى الأول للمرض الشيطاني ، مستوىً لا يظهر كثيراً للعيان بل يتسلل تحت جنح الظلام ، ليوقع فريسته في الغواية من حيث لا تدري ، تلـــك هي خطوات الشيطان من تزيين وتمنية ووعد كاذب وإنساء وتخويف ومس ، ثم الانزلاق في بعض غاياته مما لا تخرج صاحبها عن الإسلام ، أما إن هو استمر على تلك الغايات – وإن كانت مما لا يُخرج من الملة – فصارت له ديـــدناً فـــي الحياة ، دون أن يعالجها فيخرج منها إلى طريق الصواب ، فقد وقع في المستوى الثاني من المرض الشيطاني ، فصار عاشقاً للإثم ، ربيبـــاً للمعـــصية ، فـــنحن نسعى إذا في هذا المطلب لبيان تلك الوسائل الربانية التي تحمي العبد مـــن هـــذا المرض ، فتمنعه من السقوط فيما هو أكبر منه .

وقبل أن نوضح هذه الوسائل ، نود أن نبيِّن صفة مهمة تجمعها ، وتميُّزها فهذه الوسائل تتسم بصفة الديمومة واللزوم لصاحبها ما حيّ ، شأنها شأن المرض الذي تحاربه ، إذ هو كذاك لا يفارق الإنسان ما حيّ ، وسنلحظ هذه الملازمة في تفصيلنا لتلك الوسائل إن شاء الله .

أولاً : الاستعاذة بالله :

الاستعاذة : طلب العوذ ، وهذا الطلب يتوجه صاحبه به إلـــى الله ، فـــاراً مـــن الشيطان وعلى ذلك يكون معنى الاستعاذة :

الاستعاذة : الاستجارة ، ومعنى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أستجير بـــالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان أن يضرني في ديني ، أو يصدني عن حق يلزمني لربي [1] .

---

[1] - جامع البيان – للطبري – م 1 – ج 1 – ص 61 .

وقد ربط الحق سبحانه وتعالى الاستعاذة بالوسواس الخناس ، فأينما وجد الإنسان وسوسة لجأ إلى الله يذكره ، فالشيطان والرحمن لا يجتمعان في نفس امرئ ، وهذا ما تبيّنه سورة الناس ، والتي تُسمى هي وأختها (الفلق) المعوذتان وغرض هاتين المعوذتين " تعليم النبي – صلى الله عليه وسلم – كلمات للتعوذ بالله من شرِّ ما يُتقى شرّه من المخلوقات الشريرة ، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشرّ ، والأحوال التي تُستَر أفعال الشرّ من ورائها ، لئلا يُرمى فاعلها بتبعتها ، فعلّم الله نبيه هذه المعوّذتين ليتعوذ بهما ، وقد ثبت أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يتعوذ بهذه السور ، ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما ، فكان التعوذ بهما من سنة المسلمين " [1] .

استمرارية هذا الدواء :

يأتي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم في كتاب الله على هيئة تدل على استمرارية هذا السلاح الرباني ، ووجوب ملازمته للمسلم كلما نخسه الشيطان بوسوسة ، يقول تعالى : ﴿ **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [2] ، وكذا في فصلت : ﴿ **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَمِيعُ العَلِيمُ** ﴾ [3] ، وقوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [5] ، فهذه الآيات تأتي كلها بأسلوب الشرط (إما ، إذا) ، والذي يفيد لزوم وقوع جواب الشرط لوقوع فعله ، فمتى أحس الإنسان بنزغ الشيطان ومسه ، لجأ إلى ربه يدفع تلك الوساوس والهمزات الحاملة لخطوات الشيطان ، فيخنس الشيطان بهذه الاستعاذة ، وتأتي آيات أخرى على هيئة أخرى تفيد تلك الاستمرارية أيضاً ،

---

[1] - التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 15 – ج 30 – ص 625 .

[2] - سورة الأعراف ، الآية 200 .

[3] - سورة فصلت ، الآية 36 .

[4] - سورة الأعراف ، الآية 201 .

[5] - سورة النحل ، الآية 98 .

يقول تعالى : ﴿ **وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ** ﴾ [1] ، ويقول : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ [2] ، ويقول : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ [3] ، ويقول : ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾[4] ، فالاستعاذة في هذه الآيات تأتي على صيغة المضارعة التي تفيد الاستمرارية في حدوث الفعل ، فالخطاب يقول : كن دائم العوذِ بربك من همزات الشياطين ، ومن شر الوسواس الخناس ، ومن الشيطان الرجيم ، لا تفتر عن ذلك يقول ابن القيم : " فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد ألا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى ، وألا يزال لهجاً بذكره ، فإنه لا يُحرِّز نفسه من عدوه إلا بالذكر ، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة ، فهو يرصده ، فإذا غفل وثب عليه وافترسه ، وإذا ذكر الله تعالى انخنس ... " [5] .

مواطن الاستعاذة :

وقد ذكر الكتاب العزيز مواطن معينة يجدر بكل مسلم أن يلجأ فيها إلى ربه لجوءاً شديداً وهذه المواطن هي :

1- **الاستعاذة عند قراءة القرآن** : يقول تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [6] .
2- **الاستعاذة عند الغضب** : يقول تعالى : ﴿ **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [7].
3- **الاستعاذة عند تكاثر الوساوس على العبد** : يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** ﴾ [1].

---

[1] - سورة المؤمنون ، الآيتان 97 ، 98 . .
[2] - سورة الفلق ، الآية 1 .
[3] - سورة الناس ، الآية 1 .
[4] - سورة آل عمران ، الآية 36 .
[5] - الوابل الصيب – لابن القيم – ص 50 .
[6] - سورة النحل ، الآية 98
[7] - سورة الأعراف ، الآية 200 .

4- **تعويذ المولود** : يقول تعالى على لسان مريم بنت عمران – رضي الله عنها - : ﴿ ... **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [2].

فهذه أهم المواطن التي ينبغي على العبد أن يستجير بربه عندها ، وإن كانت المواطن أكثر من أربع ، ولكن القرآن أتى منها بجماعها : فقراءة القرآن تمثل الطاعات التي ينبغي على العبد أن يستجير من الشيطان عند الإقدام عليها ، والغضب (النزغ) تمثل المعاصي وطرقها التي يجب على المرء أن يتحصن منها بالله ، والوسوسة تمثل دواعي المعصية وممهداتها والتي ينبغي على المسلم أن يطردها بالاستعاذة ، أما تعويذ المولود فهو يمثل حفظ الله وبركته لكل رزق يهبه الله للعبد ، فهذه أربعٌ : الطاعة ، والمعصية ، والهمُّ بالشرِّ ، والرزق ، لا يكاد يخلو عبد عن واحدة منها ، فهو في لجوء دائم إلى الله عز وجل .

وقد فصلت السنة النبوية مواطن الاستعاذة من الشيطان بما يجعل العبد دائم اللجوء إلى ربه ، وأسوق هذه المواطن على سبيل الاستشهاد بها دون تفصيلها ، فمظانها وتفصيلها عند شراح حديث رسول الله – عليه الصلاة والسلام - :

1- **الاستعاذة عند دخول الخلاء** : فعن أنس قال : " كان نبي الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل الخلاء قال اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث " [3].

2- **الاستعاذة عند الجماع** : فعن ابن عباس يبْلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضره " [4].

3- **الاستعاذة عند سماع نهيق الحمار** : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله

---

[1] - سورة الأعراف ، الآية 201 .

[2] - سورة آل عمران ، الآية 36 .

3 - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب الدعوات – باب : الدعاء عند الخلاء – ح 6322 – ص 532 .

[4] - المرجع السابق – كتاب الوضوء – باب : التسمية على كل حال وعند الوقاع – ح 141 – ص 15 .

من فضله فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنه رأى شيطاناً " [1] .

4- **تعويذ الأبناء والأهل** : عن بن عباس رضي الله عنهما قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة" [2] .

5- **عند النوم والاستيقاظ منه** : فعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أوى الرجل إلى فراشه أتاه ملك وشيطان ، فيقول الملك اختم بخير ، ويقول الشيطان اختم بشر ، فان ذكر الله ثم نام باتت الملائكة تكلؤه ، فان استيقظ قال الملك افتح بخير ، وقال الشيطان افتح بشر ، فان قال الحمد لله الذي رد على نفسي ، ولم يمتها في منامها ، (الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا) إلى آخر الآية ، (الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) ، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة " [3].

تعليق على هذا الدواء :

تُظهر الآيات القرآنية في سياق ما بيَّنَّا قبلُ قوةَ هذا السلاح في طرد وساوس الشيطان ، ودرء مكايده عن الإنسان ، بحيث تجعل الاستعاذةُ العبدَ دائم الصلة بربه ، حصيناً به ، ولكننا نرى اليوم أناساً لا يفترون عن قولهم (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) و ما يشابهه من كلمات العوذ بالله وذكره ، إلا أن لسان حالهم يخالف مقالهم فلماذا ؟

---

1 - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق – باب : خير مال المسلم غنم يتبع به شغف الجبال – ح 3303 – ص 267 .

2 - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء – باب : (يزفون) النسلان في المشي – ح 3371 – ص 274 .

3 - صحيح ابن حبان — كتاب الزينة والتطييب – باب : ذكر الشيء الذي إذا قاله المرء عند استيقاظه من النوم دخل الجنة بقوله - ح 5533 – ج 12 – ص 343.

ليس المطلوب من المستجير بالله أن يردد كلمات الاستعاذة بحيث لا تتجاوز لسانه فقط ، فهذا إنسان فقد معنى هذه الاستعاذة ، فالاستعاذة – كما بيَّنا قبل – طلب الحماية من الله ، واللجوء إليه ، وهذا لا يكون إلا إذا طابق لسان مقال المستعيذ لسان حاله ، ذلك أن المطلوب من المستجير بربه أن يملأ ذكرُ الله صدره وقلبه وكيانه بحيث يضيق على الشيطان مجراه في العبد ، فيربطه ويمنعه من الوسوسة بالباطل ، فإذا طلب العبد من ربه أن يجيره من الشيطان الرجيم بقوله (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فعليه أن يلبي طلب من يجيره بالتزام أوامره واجتناب نواهيه وهذا ما تبيّنه الآيتان الكريمتان : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ (1) ، فالاستعاذة يجب أن تقود بدورها إلى السلاح الأقوى الذي سنذكر في أدوية محاربة الشيطان وولايته ، وقد ارتبطت حرب الشيطان بلزوم الاستغفار المذهِب للذنوب كما في الحديث فعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن إبليس قال لربه بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم ، فقال الله فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني " (2).

الاستعاذة وذكر الله :

لا يقف هذا السلاح الرباني عند حدّ لفظة الاستعاذة بالله من الشيطان ، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى دائرة أوسع تضمّ كل لفظ من شأنه أن يجلب رحمة الله وحفظه وبركته على العبد ، فالذكر بابٌ واسع في شريعة الإسلام ، وألفاظه كثيرة تتنوَّع بين تسبيح ، وتهليل ، وحمد ، وتكبير ، وحوقلة ، واستغفار ، وغيرها ، فهذه كلها ألفاظ وهيئات قولية يحقق قائلها معنى الاستعاذة ، إذ يحصل بقولها اللجوء إلى الله والاحتماء به ، ويقرر المولى عز وجل أن أحد أهداف الشيطان إنساء العبد ذكرَ الله تعالى ، فيفتحُ عليه بهذا الإنساء أبواب الشيطان ، يقول تعالى

---

1 - سورة النحل ، الآيتان 98 ، 99 .

2 - مسند الإمام أحمد – ج 3 – ص 29 – ح 11262 .

﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ...** ﴾ [1]، فالذاكر لربه – بأيٍ من الأذكار المسنونة – هو طارد للشيطان عن قلبه ، مستعيذ بربه من وساوسه .

ثانياً : قول الحق والخير :

يحاول الشيطان دوماً دفع أعدائه إلى الإثم عن طريق مكامن ضعفهم ، فهو يتسلط على لسان المرء المتصف بالانزلاق وسرعة الخطأ ، فيُجري عليه السوء والفحش من القول ، يُغْذي من خلاله ثورة الغضب فيشعلها ، والحق سبحانه في مقابل هذا يركز على سلاح مضاد لهذا الداء ، فيأمر عباده دوماً بلزوم تزكية هذا اللسان بقول الخير ، ويحذرهم من قول الزور ، يقول تعالى : ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ...** ﴾ [2] " يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم - ليأمر عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن ، والكلمة الطيبة ؛ فإنهم إذا لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ، ووقع الشرّ والمخاصمة والمقاتلة ، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم ، فعداوته ظاهرة بيّنة ؛ ولهذا نهي أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة ؛ لأن الشيطان ينزغ في يده ، أي ربما أصابه بها فعن النبي – صلى الله عليه وسلم – " لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار[3] " [4].

وهذا فقه جميل من ابن كثير حيث لم يقصر قول التي هي أحسن على الكلمة ، وكف اللسان ، بل عدّاها إلى كف اليد وما تحمل من أداة سوء ، فالشيطان لا يُجري الغضب فقط على اللسان ، بل يُجريه على اليد أيضاً بالسلاح وغيره ، وقد ربط الإمام مالك بن دينار بين القول الطيب والعمل الصالح فهما

---

[1] - سورة المجادلة ، الآية 19 .

[2] - سورة الإسراء ، الآية 53 .

[3] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب الفتن – باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم (من حمل علينا السلاح فليس منا) – ح 7072 – ص 590 .

[4] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 9 – ص 28 ، 29 .

صنوان لا ينفصمان حيث يقول : " يا هؤلاء : فجَّاركم كثير ، صغاركم وكبـــاركم فرحم الله من لزم القول الطيب ، والعمل الصالح ، والمداومة " [1] .

والله سبحانه وتعالى يأمر بلزوم القول الحسن وإظهاره للناس درءاً لنـــزغ الشيطان ففي الأعراف يقول : ﴿ **خُـــذِ الْعَفْـــوَ وَأْمُرْ بِـــالْعُرْفِ وَأَعْـــرِضْ عَـــنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّه** ... ﴾ [2] ، وفي فصلت يقول : ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [3] ، ولذلك كـــان مـــنهج النبي – صلى الله عليه وسلم – درء أي شبهة أو ظن يحيك في النفـــوس بقولـــة الحق ، وهذا ما كان منه لما قلـــب زوجـــه صفية ليلاً ، فعن علي بن حسين أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته " أنها جاءت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم تزوره وهو معتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ، ثـــم قامت تنقلب فقام معها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا بلغ قريبـــا مـــن باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مر بهما رجـــلان من الأنصار ، فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نفذا فقـــال لهمـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلكما ، قالا سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا" [4] ، يقول الخطابي تعليقاً على هـــذا الحديث : " في هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر مـــن المكروه مما تجري به الظنون ، ويخطر في القلوب ، وأن يطلب الـــسلامة مـــن الناس بإظهار البراءة من الريب " [5] .

---

[1] - مواعظ الإمام مالك بن دينار – جمع صالح الشامي – ص 36 .

[2] - سورة الأعراف ، الآيتان 199 ، 200 .

[3] - سورة فصلت ، الآيات 34 – 36 .

[4] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة ت- صحيح البخاري – كتاب فرض الخمس – باب : ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم – ح 3101 – ص 250 .

[5] - عالم الجن والشياطين – لعمر الأشقر – ص 166 .

وكما أن المؤمن مطالب بقول الحق، فهو مطالب أيضاً بالكف عن قـول الباطل ، أو ما لا يلزم من الكلام ، " ففضول الكلام والثرثرة بلا داعٍ فهمـا مـن منافذ الشرّ التي يسلكها الشيطان إلى صـدر الإنسان ، وإمساك اللسان عن القول إلا عند اللزوم وبعد تفكر وتدبر يغلق هذا المنفذ في وجه الشيطان ، فكم من حرب ضروس سببتها كلمة واحدة ، ولقد كان البيت الواحد من الشعر في الجاهلية يُشعل الحروب ، ويوقظ الفتن بين القبائل العربية ، وحُقَّ للمؤمن أن يتدبر قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – لسيدنا معاذ بن جبل : (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم) [1] " [2] .

المجتمع وهذه الوسيلة :

لقد ساهم غياب هذا السلاح الرباني من بين ظهرانينا أيما مـساهمة فـي انتشار غايات الشيطان ومآربه ، ومن ثم فساد المجتمع وتفككه وسهولة اختراقـه من أعداء الإسلام ، فكم من كلمة خبيثة ما كان لها أن تخرج ، خرجت فأفـسدت وتفاقم شرّها حتى أودى بحياة الكثير ، وقطع أواصر الأخوّة بين كثير ، وكم مـن شخص استهان بإخراج الكلام ونقله وإشاعته ، فكان سهماً في يد أعداء هذا الدين يطعنون به قلب الأمة يقول صاحب الظلال : " ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِـيَ أَحْسَنُ** ﴾ [3] على وجه الإطلاق ، وفي كل مجال ، فيختارون أحـسن مـا يقـال ليقولوه وبذلك يتقون أن يُفسد الشيطان ما بينهم من مودة ، فالشيطان ينـزغ بـين الإخوة بالكلمة الخبيثة تفلت ، وبالرد السيء يتلوها ، فـإذا جـوُّ الـود والمحبـة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء ، والكلمة تأسو جـراح القلـوب ، وتندِّي جفافها ، وتجمعها على الود الكريم ، فالشيطان يتلمس سقطات فم الإنـسان وعثرات لسانه فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه ، والكلمة الطيبـة

---

[1] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – جامع الترمذي – أبواب الإيمان - باب ما جاء في حرمة الصلاة – ح 2616 – ص 1915 ، وهو جزء من حديث معاذ الطويل وقال عنه أبو عيسى : حسن صحيح .

[2] - مجلة هدى الإسلام – منافذ الشيطان إلى صدر الإنسان – أحمد حسنين القفل – العدد الأول – محرم صفر – 1412 هـ .

[3] - سورة الإسراء ، الآية 53 .

تسد عليه الثغرات ، وتقطع عليه الطريق ، وتحفظ حرم الأخوّة آمناً من نزغاته ونفثاته " [1].

ومما يُضاف إلى منع عثرات اللسان – كما سبق – منع عثرات اليد ، وتجنب تواجد علامات الشرّ عليها ، فكم من حادثة قتل سمعنا بها في مجتمعنا ، كان مبدأها تسارع المرء إلى القذف بسلاحه بما ينخس الشيطان فيه ، فلو أننا أمسكنا ألسنتنا وأيدينا عن الشرّ والسوء ، وبادرنا أبداً إلى الخير والحق لكان هذا مفتاحاً حقيقياً لتغيير المجتمع ، وأجمل ما قيل في هذا المجال حديث الصادق المصدوق – عليه الصلاة والسلام - فعن أبي هريرة قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ،ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت "[2] .

ثالثاً : اجتناب كل ما يجلب الشيطان

وبعد أن يتحلى العبد بكل سلاح يقيه غوائل الشيطان ، يجب عليه أن يتم هذه الحماية الربانية المتكاملة بترك كل ما يجلب الشيطان من ذنوب ومعاصٍ وآثام ، فإن الشيطان يلازم من تقرب إليه بشيء مما يحب ، وسنذكر هنا ما ذكر القرآن العظيم من هذه الأمور :

1- اجتناب الإفك والإثم :

يبيّن الحق سبحانه أن الشيطان ينجذب لأولاء الذين يتصفون بالإفك المبين والإثم الكبير ؛ فيصبح لهم عوناً وسنداً ، يقول تعالى : ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ** ﴾ [3] "وقوله تعالى (**تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**) قصرٌ لتنزُّلِهم على كل من اتصف بالإفك الكثير والإثم الكبير من الكهنة والمتنبئة ، وتخصيصه له بهم بحيث لا يتخطاهم

---

[1] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 4 – ص 2234 .

[2] - موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة - صحيح البخاري – كتاب الآداب – باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره – ح 6018 – ص 509 .

[3] - سورة الشعراء ، الآيات 221 – 223 .

إلى غيرهم " [1] ،[2] ولكننا هنا نتحدث عن خطورة مثل هذه الصفات في جلب الشياطين وحضورها ، والإفك والإثم بابان كبيران يضويان تحتهما كل معصية ، فالإفك هو الافتراء والكذب ، وهو منشأ كل كفر وعناد وجدال بالباطل وفساد للعقل ، والإثم هو ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس ، وهو منشأ كل رذيلة وفاحشة ومنكر وفساد للقلب .

إذاً فهذا سلاح يطهر العقل والقلب من غواية الشيطان ، وهو سلاح تابع في حقيقته لما قبله من أسلحة ، ولما بعده مما سنذكر ، فالمرء لا يستطيع أن يسلخ نفسه عن الإفك والإثم دونما لجوء إلى الله ، وتوبة واستغفار له ، وتحصن بالإيمان ، وغيرها من الأسلحة الربانية .

2- اجتناب قرناء السوء :

وبعد أن ينأى العبد بنفسه عما يحيل عقله وقلبه إلى الضلالة مما تكسب يداه ، يأتي دور السلاح الثاني في ما يجب عليه أن يتجنبه ، وهو أن ينأى بنفسه عن ما يفسد عقله وقلبه مِمَّن يحيطون به من رفاق وإخوان ، وهذا سلاح ذو أهمية كبيرة ، فكم للقرين والصاحب من أثر كبير على الإنسان ، وكم هو تعيس إن أطاع قرين السوء فأرداه يوم القيامة ، وهذا ما يصوره لنا الحق سبحانه في مشهد واقعٍ لا محالة تدور أحداثه يوم المحشر بين عبد بئيس وبين شيطان من شياطين الإنس – إن كان هذا العبد إنسياً – أو الجن – إن كان هذا العبد جنياً – يقول تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً** ﴾ [3] ، من المشهور عند علماء التفسير أن الظالم الذي نزلت فيه هذه الآية هو عقبة بن أبي معيط وأن فلانا الذي أضله عن الذكر أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف وذكر بعضهم أن في قراءة بعض الصحابة

---

1 - إرشاد العقل السليم – لأبي السعود – ج 6 – ص 268 .

2 - وقد سبق لنا الحديث عن هذه الآية وعن الكهنة عندما تحدثنا عن أولياء الشيطان في الفصل الثاني من هذا البحث .

3 - سورة الفرقان ، الآيات 27-29.

ليتني لم أتخذ أبيا خليلا وهو على تقدير ثبوته من قبيل التفسير لا القراءة وعلى كل حال فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب فكل ظالم أطاع خليله في الكفر حتى مات على ذلك يجري له مثل ما جرى لابن أبي معيط وما ذكره جلَّ وعلا في هذه الآيات الكريمة جاء موضحا في غيرها فقوله ويوم يعض الظالم على يديه كناية عن شدة الندم والحسرة لأن النادم ندما شديدا يعض على يديه وندم الكافر يوم القيامة وحسرته... وما ذكره جل وعلا هنا من أن أخلاء الضلال من شياطين الإنس والجن يضلون أخلاءهم عن الذكر بعد إذ جاءهم ذكره في غير هذا الموضع كقوله تعالى ﴿ **وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ** ﴾ [1] وقوله تعالى ﴿ **وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ [2] وقوله تعالى ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ** ﴾ [3] وقوله تعالى ﴿ **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا** ﴾ [4] وقوله تعالى ﴿ **حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ** ﴾ [5] وقوله تعالى ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ** ﴾ [6] الآيات إلى غير ذلك من الآيات وقوله تعالى هنا ﴿ **وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً** ﴾ الأظهر أنه من كلام الله وليس من كلام الكافر النادم يوم القيامة والخذول صيغة مبالغة والعرب تقول خذله إذا ترك نصره مع كونه يترقب النصر منه " [7] .

ضرورة هذا السلاح :

---

1 - سورة الأعراف ، الآية 202 .

2 - سورة فصلت ، الآية 25 .

3 - سورة الأنعام ، الآية 128 .

4 - سورة الأحزاب ، الآية 67 .

5 - سورة الأعراف ، الآية 38 .

6 - سورة سبأ ، الآية 31 .

7 - أضواء البيان – للشنقيطي – ج 6 – ص 46 ، 47 .

تبرز ضرورة هذا السلاح في زمان تكاثر الفتن ، وانتشار أعداء الله في كل مكان ، وحيازتهم على القوة الدنيوية ، في مقابل ضعف المؤمنين وتشتت قواهم ، ففي هذه الحالة يعتز الكافر بكفره ويرقى الدعيّ ويصبح أصيلاً شريفاً ويُشار إليه بالبنان ، فيتهافت عليه الخلان من كل مكان طلباً لما لديه من مال ومكان ، فيأتي دور هذا السلاح ، سلاح الرفقة المؤمنة ، واجتناب قرناء السوء ، كي تكون حمىً لأهل الإيمان من براثن الأشرار ، فالمرء بإخوانه يتقوى ، وإنما تأكل الذئب من الغنم القاصية ، فنوصي هنا كل عبد مؤمن بالله ، كافر بالشيطان أن لا ينأى بنفسه عن إخوانه فيسيح في طرائق إخوان الشياطين ، بل عليه أن يعتصب ويعتصم به ، فالوَحدة قوة والتفرق ضعف .

المطلب الثاني : وسائل محاربة الشيطان وولايته :

قلنا إن الشيطان هو كل عاتٍ متمرد على أوامر الله من الجنّ والإنس ، وكذا الطاغوت يندرج في معنى الشيطان إلا أنه يختص بالتمرد على ألوهية الخالق عز وتعالى ، ثم قلنا إن أولياء الشيطان هم كل من سار على دربه ، ونهج نهجه ، واتبع أمره في خلاف أمر الحق سبحانه ، ومنهم من يبقى له ولياً ذليلاً ، ومنهم من يرتقي ليصبح شيطاناً عتياً ، ومن خلال هذه التعريفات ندرك أن محاربة مثل هذه الأمراض لا يكون إلا بإقامة شرع الله والاستقامة عليه ، ومحاربة كل من دعى إلى تلك الولاية والتمرد على أوامر الله ، وسنذكر تلك الوسائل – كما بينها كتاب الله – فيما يلي :

أولاً : التبرؤ من الشيطان والإيمان بالرحمن :

يعلن المولى سبحانه وتعالى أن هذه الوسيلة هي عروة الله الوثقى ، وحبله المتين الذي لا ينقطع بمن تمسك به ، فهو أقوى الأسلحة لمن أراد النجاة وطلب السلامة يقول تعالى : ﴿ ... **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [1] وقد مرّ بنا بيانها في غير موضع في ثنايا البحث .إذاً فأول خطوات محاربة الشيطان هي التبرؤ من

---

[1] - سورة البقرة ، الآية 256 .

ولايته ، ثم تولي الله سبحانه وتعالى ، فالإيمان عاصم للعبد من الزلل في الشرك وغيره من أمراض القلوب كالرياء وعدم إخلاص النية لله " فالشيطان يوسوس للمسلم حتى يشرك في عمله وفي قوله وفي عبادته ، والإخلاص يعصم المسلم من وساوس الشيطان ويطارده ، ليفوّت عليه غرضه في الإغواء والإغراء والرياء ، لأنه يوجه صاحبه إلى معاداة الشيطان والتمرد على أوامره وهواه ، ويعمل قاصداً بعمله وجه الله ورضوانه مرْغِماً أنف الشيطان وطارداً له ، ويوم يغفل المسلم عن الإخلاص يتسلط الشيطان عليه فتضعف إرادة المقاومة عنده ، ويتغلب الشيطان عليه ، لأن الإخلاص لله يقوي صاحبه على الشيطان فلا يقدر عليه ... بل إن الشيطان – أعاذنا الله منه – أعلن أنه لا قدرة له على إغواء المؤمنين المخلصين ، قال تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [1] " [2] ، وقد بين الحق سبحانه أن الإيمان أقوى من الشيطان وإغوائه ، لمن تسلّح به حق التسلّح ، حيث يقول : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [3] " يعني بذلك أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمر الله به ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (وعلى ربهم يتوكلون) أي فيما نابهم من مهمات أمورهم " [4]

فالذين يتوجهون إلى الله وحده مخلصين له لا يملك الشيطان أن يسيطر عليهم مهما أغواهم ؛ لأن صلتهم بالله تعصمهم من الانسياق معه ، وقد يخطئون ولكنهم لا يستسلمون فيطردون الشيطان عنهم ويتوبون إلى الله من قريب [5] .

---

[1] - سورة الحجر ، الآيتان 39 ، 40 .

[2] - تزكية النفس – لمحمد أبو فارس – ص 52 ، 53 .

[3] - سورة النحل ، الآيات 98 ، 100 .

[4] - جامع البيان – للطبري – م 8 – ج 14 – ص 212 .

[5] - انظر : في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 4 – ص 2194 .

ويقترن بهذه الوسيلة أمر لا بد للعبد منه كي يستمر على إيمانه ، وهو ما قرنه الله بالإيمان في الآية السابقة : التوكل على الله ، أي طلب العون من الله في حماية الإيمان عليه فلا يتفلت منه ، وهي معية مطلوبة لكل مؤمن لا تنفك عن الإيمان بحال فقد حُكي عن أحد علماء السلف أنه قال لتلميذه : " ما تصنع بالشيطان إذا سوّل لك الخطايا ؟ قال : أجاهده . قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده . قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده . قال هذا يطول ، أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها ، أو منعك من العبور ما تصنع ؟ قال : أكابده جهدي وأرده . قال : هذا أمر يطول ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك " [1] .

ثانياً : قتال أولياء الشيطان :

فإذا استقر الإيمان في القلب ، واتصل العبد بربه ، زاد إبليس وأتباعه حربهم على المؤمنين ، وأشهروا لهم كل سلاح ، فوجب على المؤمنين أن يكفوا شرّ هؤلاء المجرمين ويبطلوا كيدهم بإظهار سلاح هو أقوى من كل أسلحة الشيطان ، وهو سلاح يضاد كيد الشيطان لإيقاع الناس في الكفر وولايته ، هذا السلاح هو قتال أولياء الشيطان ، ودرء شرورهم عن أهل الإيمان ، فكل منهج في الأرض له أتباع يذودون عنه ، ويذبّون عنه كيد الكائدين ، يقول تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾ [2] " فالمؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه ، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان ، ثم هيّج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله ﴿ **فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾ " [3] .

وهذه الوسيلة هي من عزائم الأمور ، لا يقوى عليها إلا من تسلّح بالوسيلة السابقة ، ويتحدث صاحب الظلال عن هذه الوسيلة فيقول : ثم لمسة نفسية تطالب

---

[1] - تلبيس إبليس – لابن الجوزي – ص 48 .

[2] - سورة النساء ، الآية 76 .

[3] - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 4 – ص 160 .

باستنهاض الهمم واستجاشة العزائم ، وإنارة الطريق ، وتحديد القيم والغايات والأهداف التي يعمل لها كل فريق (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) فالذين آمنوا يقاتلون في سبيله لتحقيق منهجه ، وإقرار شريعته ، وإقامة العدل بين الناس لا تحت أي عنوان آخر ، اعترافاً بأن الله وحده هو الإله ، ومن ثم فهو الحاكم ، (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) لتحقيق مناهج شتى غير منهج الله ، وإقرار شرائع شتى غير شريعة الله ، وإقامة قيم شتى غير التي أذن بها الله ، ورصد موازين شتى غير ميزان الله ، ويقف الذين آمنوا مستندين إلى ولاية الله وحمايته ورعايته ، ويقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشيطان بشتى راياتهم وشتى مناهجهم ، وشتى شرائعهم ، وشتى طرائقهم ، وشتى قيمهم ، وشتى موازينهم ... فكلهم أولياء الشيطان ، ويأمر الله الذين آمنوا أن يقاتلوا أولياء الشيطان ولا يخشوا مكرهم ولا مكر الشيطان " [1]

مكانة هذه الوسيلة في يومنا الحاضر :

تحارب هذه الوسيلة غايات محددة للشيطان هي إيقاع الناس في الكفر ، والتحاكم إلى الطواغيت ، وتلكما مصيبتان عمّت بهما البلوى في زماننا هذا ، فإن لم يكن المجتمع كافراً مشركاً بالله ، فهو يتحاكم إلى غير منهجه – إلا من رحم ربي – وما هذا العلو لتلك الغايتين الشيطانيّتين إلا لغياب هذه الوسيلة الهامة لحرب الشيطان وأوليائه ، فلما غيِّب الجهاد عن ساحة أمتنا ، وجد إبليس فيها كل متَّسع لينشر مناهجه الكفرية ، وغاياته الطاغوتية في مجتمعات الأرض جمعاء ، دونما رادعٍ يردعه ، أو زاجرٍ يزجره ، أو حقٍ يدمغه ، ولقد كانت إزالة العوائق عن طريق الدعوة أحد مسوّغات الجهاد في سبيل الله ، فإن وقف الطاغوت أمام الحق لا يريد لدين الله الوصول إلى أهل الأرض ، وجب إزالة هذا الطاغوت كي لا يعم الكفر ،

---

[1] - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 2 – ص 709 .

ويُرفع غيـر منهـج الله ، ومن ثم ينتشـر الظلم ، ويسـود الفسـاد ، فنـصل إلى حالـة هـي شبيهـة بما نحن عليـه اليـوم فـي عـالم سيطر فيـه المجرمون ، وعاشـوا في مشـارق الأرض ومغاربها فساداً ، فنسأل الله أن يعيد هـذه الوسيلة الربانيـة إلى نصابهـا وبشـروطها كي يعم الحق والعـدل فـي عالم اليوم والغد .

ثالثاً : كشف مخططات الشيطان :

يقول الحق سبحانه : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الـشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ [1] ، فبعـد أن فـصّل الحق سبحانه مسالك الشيطان ، وحذر منها في ثنايا كتابه العزيز ، يجمل طريقة حسنة في إتمام هذا التحذير ، ألا وهو بيان طريق الحق ، وصراط الله المستقيم ، فمن عرف تلك الطريق وسار عليها اجتنب بالبديهة طريق الشيطان ، فبيان سبل الشيطان ، وكشف مخططاته ثم اتباع صراط الله طريقة حسنة – كما ذكرنا – في محاربة غواية إبليس وجنده ، وقد نبه إلى هذه السبيل الدكتور عمر الأشقر حيث يقول : " على المسـلم أن يتعرف على سبله ووسائله في الإضـلال ، ويكـشف ذلك للناس ، وقد فعل ذلك القرآن ، وقام بهذه المهمة الرسول – صلى الله عليـه وسلم – خير قيام ، فالقرآن عرفنا الأسلوب الـذي أغـوى الـشيطان بـه آدم ، ورسوله – صلى الله عليه وسلم – كان يعرِّف الصحابة كيف يـسترق الـشيطان السمع ، ويُلقي بالكلمة التي سمع في أذن الكاهن أو الساحر ومعها مائة كذبـة ، يبين ذلك لهم كي لا ينخدعوا بأمثال هؤلاء ، ويبين لهـم كيـف يوسـوس لهـم ويشغلهم في صلاتهم وعبادتهم ، وكيف يحاول الشيطان أن يوهمهم بأن وضوءهم قد فسد ، والأمر ليس كذلـك ، وكيـف يفرِّق بين المـرء وزوجـه ، وكيـف

---

[1] - سورة يس ، الآيتان 60 ، 61 . .

يوسوس للمرء ، فيقول له : من خلق كذا ؟ ومن خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ " [1] .

ولعل هذا السبيل - الذي هو كشف مخططات الشيطان - هو ما أطمح إلى تحقيقه من خلال هذا الجهد المتواضع، الذي حاولت فيه – قدر استطاعتي – كشف تلك المخططات، وتوضيحها كما بيّنها الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، كي يكون هذا البحث – إن شاء الله – نبراساً يُبرِز طرائق الشيطان، ويكشف حبائله، في قالب علمي بيّن المعالم، واضح الأركان .

[1] - عالم الجن والشياطين – لعمر الأشقر – ص 161 .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وتُسرج بنور علمه الظلمات ، الحمد لله الذي هدانا بنوره ، وفتح علينا من بركات رحمته ؛ فيسّر لنا تمام هذا البحث وكتابته ، وأسبغ علينا من نعمه ظاهرة وباطنة ، فها نحن أولاء نسطر كلماته الأخيرة ، ونخلص منه بعد البيان بالنتيجة ، فهذا أوان نظم ما انتشر في بيِّنات من الدُرر ، وطيبات من الثمر مما خلص إليه الباحث بعد طول السفر بين الكتب والنصائح والفِكَر ، أما بعد فقد انتظم هذا البحث في خمسة فصول اجتمعت كلها تحت لوائه المسمَّى : **الشيطان** ، **خطواته وغاياته – دراسة قرآنية موضوعية ،** وقد جاءت الفصول والنتائج على النحو التالي :

الفصل الأول :وهو بعنوان الشيطان تعريفه ونظائره وصفاته :

وقد بحثت فيه حول تعريف لفظة الشيطان ونظائرها ، وورودها في سياق آيات القرآن ، وحول أصناف الشيطان وصفاته وقد كانت نتائجه على النحو التالي :

1- وردت لفظة الشيطان ونظائرها (الطاغوت ، إبليس) مائة وثماني مرات في كتاب الله العزيز مما يدل على أهمية الموضوع الذي يندرج تحت لواء هذه الألفاظ .
2- تم تعريف لفظة الشيطان ونظائرها من منظور قرآني .
3- يختص الطاغوت من الشياطين بتمرده وتعديه على أخصِّ خصائص الألوهية ألا وهي الحاكمية والتشريع .
4- ورود لفظة الشيطان ونظائرها بنسبة أكبر في القرآن المكي مما يدل على أهمية هذا الموضوع في جانب التربية الإيمانية والبناء العقائدي للمسلم .
5- الشياطين تتصنف في درجات ، منها العاتي المتمرد عموماً ، ومنها من يعتو على حكم الله خاصة ، ومنها مَن وكِّل بكل إنسان لا يفارقه ما حيّ .
6- الشياطين منهم الإنسي كما أن منهم الجني على حد سواء .

7- شياطين الجن مخلوقة من نار ، وهذه الطبيعة بخفائها تثير الرعب والخوف لدى الإنس ، أما شياطين الإنس فمخلوقون من طين .

8- يقرن الله تعالى صورة الشيطان بالقبيح من الأشياء كي ينفر العباد منه .

9- الكِبر هو أول صفات الشيطان ، وهي التي اكتسبها إبليس فدفعته إلى الكفر ، فهو – أي الكبر – رأس كل شرّ .

10- الطرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة ، وعصيان الله تعالى ، وتجاوز الحد في المعصية صفات لصيقة بالشياطين ، ولكنها في نفس الوقت ضعيفة أمام الحق خذولة لأتباعها .

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان : عداوة الشيطان وأولياؤه :

وقد تناولت فيه بالبحث أصل العداوة بين إبليس وأتباعه وشدتها ، وكيف تحصل ولاية الشيطان وعبادته ، ومن هم أولياء الشيطان ، وقد جاءت نتائجه على النحو التالي :

1- العداوة بين الشيطان وبين الإنس والجن مِمّن لا يوالونه ثابتة أصيلة منذ رفض إبليس أبو الشياطين السجود لآدم .

2- يخصُّ الشيطان آدم وذريته بعداوة دفينة إذ إن رفض إبليس أمر ربه بالسجود لأبي البشر كان منشأ تلك العداوة بدافع الكِبر والعلو من إبليس .

3- ومن بين هؤلاء الإنس يتبوأ الأنبياء المرتبة الأولى في مواجهة عداوة الشياطين ، إذ هم أقوى الناس إيماناً وأكثرهم غيظاً للشيطان لأنهم ينشرون دعوة الرحمن .

4- استمرار هذا النوع من العداوة حتى بعد انقضاء فترة الأنبياء ، وذلك مع ورثتهم من حملة العلم ، ومع كتاب الله العزيز .

5- أولياء الشيطان هم أحباؤه ونصراؤه على باطله ، وإذا زاد الولي في نصرته للشيطان فعمل عمله من الغواية والإضلال صار شيطاناً .

6- عبادة الشيطان وعبدة الشيطان : هذا المصطلح لا يقتصر على فئة صغيرة جداً من البشر – كما أراد له أولياء الشيطان ذلك – بل كل طاعة للشيطان

في معصية الرحمن هي عبادة له ، وقد استعمل القرآن هذا المصطلح بشكل واضح في غير آية من كتابه .

7- عبادة الشيطان منقصة ذميمة تلتصق بشكل وثيق باليهود ؛ إذ هم أربابها وأهلها منذ القدم ، والله يصفهم بها في كتابه .

8- أتباع الشيطان وأولياؤه كُثُر في الدنيا والآخرة ، ويحمل الكفار والمشركون لواء هذه الولاية ، وأقربهم إلى الشيطان ولايةً اليهود والمنافقون والكهنة والسحرة والمنجمون .

9- الجدل المذموم ، وإثارة الشبهات حول الحق في عقول الكثير والاغترار بالباطل على المؤمنين من جهة ، والخوف من الشياطين من جهة أخرى هي صفات أولياء الشيطان .

أما الفصل الثالث فقد كان بعنوان: خطوات الشيطان :

وقد ناقشت فيه التعبير القرآني " خطوات الشيطان " من حيث دقة التعريف وبلاغته ، ثم تناولت مداخل الشيطان إلى النفس ووسائله في خطابها ، ثم تحدثت عن تلك الخطوات كما بينها القرآن ، وقد جاءت نتائجه على النحو التالي :

1- هذا التعبير القرآني اتخذ مفاهيم غير واضحة عند العلماء في القديم والحديث .

2- خطوات الشيطان تعبير قرآني ذو بلاغة جميلة ، حيث يحمل في ثناياه رسماً واضح المعالم لتدرج الشيطان في غوايته ، بدءاً ببواعث المعصية في النفس حتى السقوط فيها ثم الموت عليها .

3- ضرورة معرفة هذا التعبير القرآني وغيره من التعبيرات على وجهها الصحيح ، حتى لا نسمح بالتهاون بخطوات الشيطان وبواعث المعصية في النفس ، فهي السبب في كل شرّ بعده .

4- خبث الشيطان حيث يتدرج في غوايته فيأتي أعداءه من حيث لا يشعرون إلا من تحصّن منهم بالأسلحة الإيمانية الوثيقة .

5- أثبت البحث أن الوسوسة ليست خطوة من خطوات الشيطان ، بل هي وسيلة خطاب خفية ذات تأثير سريع على النفس ربما لا يشعر به الكثير ويحمل الشيطان من خلالها خطواته إلى نفس الإنسان فهي من أخطر وسائل الشيطان في إلقاء سمومه إلى النفس.

6- حاول شياطين الإنس من علماء النفس الغربيين إيهام الناس أن الوسوسة قهرٌ نفسي قد لا يستطيع الإنسان مقاومته ، ليبرروا السقوط في المعصية ، والحق أن الوسوسة لا تسلب الإرادة ، بل هي وسيلة ضعيفة لمن عالجها بالاستعاذة واللجوء إلى الله .

7- الإيحاء بالكلام الخفيّ أو الكتاب هو من وسائل الشيطان في خطاب أعدائه وهذه من الوسائل الخفية التي لا ينتبه إليها الكثير ، فهي تتسلل عبر الكتب والموروثات عن الأجداد.

8- الخطاب الصريح من وسائل الشيطان في خطاب أعدائه ، والأغلب فيه أن يكون بين الإنس بعضهم مع بعض ، وبين الجن بعضهم مع بعض .

9- الكِبر والعجب ، وحب الخلود ، وحب الملك هي المكامن الضعيفة في النفس والتي يدخل منها الشيطان على النفس .

10- أخطر خطوات الشيطان هو تزيين الباطل وإلباسه صورة حسنة في عين أعدائه ، والشيطان يستعمل في ذلك أدوات الكذب ، والحلف ، والوعد الكاذب .

11- إنساء الحق وعبادة الله وإشغال الناس عنها بالملهيات خطوة من خطوات الشيطان .

12- يركز الشيطان في خطواته على تزيين الدنيا وحب الخلود فيها وطول الأمل لدى العبد .

13- يأتي الشيطان أعدائه من زاوية تخويفهم من فقدان ما حببهم فيه ، فيوهمهم بأن الإنفاق يجلب الفقر ، والجهاد يجلب الموت وهكذا .

14- الغضب خطوة من خطوات الشيطان ، وهي تتمثل في ثلاث مراحل تبدأ بالهمز وهو الغضب اليسير ، ثم النزغ وهو شدة الغضب ، ثم الأز وهو التعصب الأعمى .

15- مسّ الشيطان للإنسان ثابت في الشرع وهو في كتاب الله على شكلين : الأول مسٌّ نفسي بإثارة المخاوف والاضطرابات النفسية حتى توصل إلى الجنون ، والثاني مسّ جسدي وهو ما يحصل للمصروع .

16- تعمل شياطين الإنس على الشكل الأول من أشكال المسّ ، فتساهم بشكل كبير في إثارة الضغوط في نفوس أعدائهم .

وأما الفصل الرابع فقد كان بعنوان : غايات الشيطان :

وقد تحدثت فيه عن غايات الشيطان في أعدائه ، وقسمتها إلى غايات عامة ، وأخرى فرعية ، وقد جاءت نتائجه على النحو التالي :

1- غايات الشيطان هي ما يريده الشيطان لأعدائه من وقوع في المعصية واكتساب الإثم وهذا يكون بالزلل الذي هو النقطة الفاصلة بين خطوات الشيطان وغاياته .

2- قد تكون الغاية الشيطانية باعتبار غيرها خطوة ، فتؤدي بدورها إلى السقوط في غيرها من غايات .

3- يهدف الشيطان بغوايته للناس إلى نشر السوء والفحشاء والمنكر بينهم ، وإلى إيقاعهم في الكفر ، وإلى جعلهم عبيداً له يصدون عن سبيل الله ، ثم في النهاية يصل بهم إلى غاية الغايات وهي إبعادهم عن الجنة وإيلاجهم في النار .

4- يسعى الشيطان إلى إيقاع الناس في الكفر عن طريق جعلهم يتحاكمون إلى الطاغوت ، وعن طريق جعلهم يفترون على الله الكذب ، وعن طريق السحر ، وهذه الغايات الثلاثة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باليهود ، وعن طريق التنجيم وطلب معرفة الغيب أيضاً .

5- يسعى الشيطان دوماً إلى إبعاد الناس عن الصلاة وعن ذكر الله .

6- قتل الناس بغير حق غاية شيطانية ، وكلما زاد القتل في الناس زاد الشيطان رضىً عن أوليائه .

7- التلوي يوم الزحف والفرار من المعركة دون محترز شرعي غاية خطيـــرة للشيطان وخصوصاً في زمان قوة أهل الباطل .

8- يستغل الشيطان المال الذي هو عصب الحياة ليجعله غاية من غاياته بكـــسبه من طريق الحرام وإنفاقه في غير مرضاة الله ، والإكثار من إنفاقه فيمـــا لا يلزم ، والبخل به عن دين الله ودعوته .

9- يسعى الشيطان إلى إفساد الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها فأمرهم بتغييرها في كل شأن من شئون الحياة ، وخاصة في دينهم ، وخِلقَتهم بحيث يأمرهم بالتمرد على هذه الخِلقة وتغييرها بما يسمى اليوم بعمليات التجميـــل التي لم يرخص بها الشارع الحكيم .

10- يهدف الشيطان في أخطر غاياته إلى تمزيق لحمة المجتمع الإسلامي ونـــشر الرذيلة والفحشاء فيه ، بل إن ذلك هدفه في سائر مجتمعات الأرض ، وذلك عن طريق الخمر والقمار ، واستغلال المرأة بكشف عورتهـــا ، والزنـــا ، والتبني.

11- يحاول الشيطان إدخال الخور والخوف على مجموع المسلمين عـــن طريـــق غايتين شيطانيَّتين هما : التناجي بالإثم ، والاستهزاء بالمؤمنين .

أما الفصل الخامس فقد كان بعنوان : عواقب اتباع الشيطان ووسائل محاربته :

وقد تناولت فيه عواقب اتباع الشيطان في الدنيا والآخـــرة ، وكيفيـــة محاربة غوايته ، وقد جاءت نتائجه على النحو التالي :

1- يبيّن الحق سبحانـــه حتميـــة العقاب لأتباع الشيطان ؛ فهم لا يُتركون ســـدى لا في الدنيا ولا في الآخرة .

2- يعيش وليُّ الشيطان في دنياه شقيّاً ، وحياتـــه مملـــوءة بالـــضنك والـــضيق والهموم ، وهذا ما ينعكس بدوره على تفكيره في هذه الدنيا فيـــصيبه القلـــق والاضطراب النفسي وعدم الطمأنينة ثم لا يأخذ معه من هذه الدنيا شيئاً .

3- يُحشر أتباع الشيطان معه يوم القيامة كما كانوا معه في الدنيا ، ثم يــزدادون حسرة إلى حسرتهم حين يتبرأ الشيطان منهم ومن ولايتهم ، ثم يُخــتم هــذا المشهد بأن يسوق إبليس أتباعه إلى جهنم ليخلدوا فيها أجمعين .

4- خطوات الشيطان وغاياته أمراض تصيب العبد فمنها ما هو الخطير كالكفر والتحاكــم إلى الطواغيت ، ومنها ما هو دون ذلك كارتكاب المحرمات التي لا تخرج من الملة ، ومنها ما هو خفيّ هيّن ولكنــه مــلازم للعبــد كتلــك الخطوات ما قبل الزلل من تزيين وإنساء وتمنية .

5- يبدأ العبد في حربه ضد الشيطان بالعلاج الوقائي مــن بواعــث المعــصية فيحاربها بلزوم اللجوء إلى الله بالاستعاذة ، ومداومة الذكر .

6- الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فيوسوس بالخطوات من موقع قوة ، والذكر يجري في قلب العبد فيضيّق على الشيطان مجاريه حتى يمنعه مــن الوسوسة .

7- قول الحق وفعل الخير سلاح قوي في مواجهة الشيطان الذي ما يفتؤ يقــف على لسان العبد ليوقعه في الزلل ، وعلى يده ليوقعها في ارتكاب الجرم .

8- من أسلحة محاربة الشيطان اجتناب كل ما يجلبه ، وخاصة المعاصي التــي تقرب من طريق الشيطان ، والتزام الرفقة الصالحة.

9- الإيمان بالله والتبر من الشيطان سلاح كل من أراد أن يخــرج مــن ولايــة الشيطان وعبادته .

10- إذا استشرى خطر أولياء الشيطان وزاد بغيهم على أمة الإســلام فيجــب أن يُؤخذوا بسلاح القتال لتقطع أصولهم من جذورها وتُعاد الهيبة لأمة الإسلام.

11- من الوسائل الطيبة في محاربة الشيطان كشف مخططاته وبيانها للناس كمــا فعل كتاب الله عز وجل ، وكما فعل نبينا – صلى الله عليه وســلم – وكمــا يفعل العلماء الأجلاء في كل زمان .

توصيات البحث :

يوصي الباحث :

1- علماء الأمة الإسلامية ، ومربّي الأجيال فيها ، والقائمين على وضع المناهج التعلمية بإيلاء قصة آدم وإبليس اهتماماً أكبر في دروسهم ومناهجهم وذلك سيراً على الطريقة القرآنية ، ولما في هذه القصة من أهمية بالغة في إبراز أصل العداوة القائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بين إبليس وجنده من جهة وبين آدم وذريته من جهة أخرى ، فإن إدراك عمق هذه العداوة يدفع إلى شدة اجتناب الشيطان على شتى المستويات .

2- علماء الأمة ومفكريها باستقاء مصطلحاتهم من النص القرآني وأخذها كما أرادها الله – على قدر جهدهم – فقد أبرز هذا البحث أن عبادة الشيطان بمفهومها القرآني تنتشر بشكل كبير في عالمنا اليوم ، ولا غضاضة في استعمال ما استعمله الله عز وجل ، فلا يخجل الواحد منا بوصف اليهود مثلاً أو النصارى بأنهم عبدة الشيطان ، فليس عبدة الشيطان طائفة صغيرة محدودة تقتصر على بضعة أشخاص في عالمنا العربي كما سمعنا منذ سنوات وعلى لسان بعض علماء الأمة .

3- بالاعتناء الشديد من قبل الدعاة بالتعبير القرآني " خطوات الشيطان " وبيان أن تلك الخطوات التي حذر الله منها وتوعّد متبعيها لا تقتصر على ارتكاب المعصية ، بل هي تبدأ من دواعي تلك المعصية ، فلا يجب أبداً الاستهانة بدواعي المعصية ومقدماتها فهي في الخطورة سواء .

4- بسلوك الطريقة القرآنية في التنفير من الكفار والمجرمين والطغاة حيث يربطهم القرآن بلفظة شنيعة الصورة ، منفِّرة لدى الطبع البشري ألا وهي لفظة بحثنا هذا ، لفظة الشيطان ، فلا يتردد الدعاة بوصف اليهود مثلاً بأنهم شياطين ، وبوصف المنجمين ولاعبي القمار وشاربي الخمر بأنهم أولياء للشيطان ، فهذا سبيل حسن في التنفير من مثل هؤلاء الناس ومن مثل هذه الآثام .

5- وأختم هذه الوصايا بوصية ذات أهمية خاصة بالنسبة لأهلنا المرابطين على ثغور أمة الإسلام في فلسطين ، فنحن في هذه الأرض نواجه قوماً تبيَّن من البحث أنهم يجمعون أخطر صفات الشيطان وأكثرها جلباً للفساد على العالمين وهي : الكفر بالله ، والتحاكم إلى الطواغيت ، والافتراء على الله ، والتعامل بالسحر ، فتلك صفات شديدة الوقع على العالم بأسره ، ولا يردها ولا يوقف أصحابها عند حدِّهم إلا وسيلة إيمانية قوية الوقع أيضاً ألا وهي قتال أعداء الله ودفع طغيانهم بإظهار الغلظة عليهم ، فنتواصى جميعاً على مواصلة الجهاد في سبيل الله حتى دحر هذه الشياطين وكبتها بإذن الله ومعيته فإنه نعم المولى ونعم النصير .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة الأعراف

سورة الأنعام

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا	43	127
2	وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا	68	136
3	قالوا أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا	71	222
4	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله	108	127
5	وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن	112	12 ، 13 ، 43 ، 94 115 ، 116
6	وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك	116	63
7	ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه	121	82 ، 83 ، 115
8	ويوم يحشرهم جميعاً	128	61 ، 69 ، 240
9	وكذلك زين لكثيـــر من المشركيـــن قتـــل أولادهم شركاؤهم	137	127

سورة الأنفال

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً	47	132
2	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم	48	23 ، 31 ، 119 ، 132 ، 134

سورة التوبة

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً	31	178
2	يريدون أن يطفئوا نور الله	32	169
3	ولئن سألتهم ليقولن	65	217
4	لا تعتذروا قد كفرتم	66	217

سورة يونس

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وقال الذين لا يرجون لقاءنا	15	45
2	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم	62	51
3	الذين آمنوا وكانوا يتقون	63	51

سورة يوسف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	قال يا بني لا تقصص رؤياك	5	39 ، 42 ، 201
2	وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما	42	138
3	وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي	100	149
4	وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين	103	63

سورة إبراهيم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وقال الشيطان لما قضي الأمر	22	32 ، 88 ، 135 ، 225

سورة الحجر

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ولقد خلقنا الإنسان من صلصال	26	22
2	والجان خلقناه من قبل من نار السموم	27	22
3	قال لم أكن لأسجد لبشر	33	25
4	وإن عليك اللعنة	35	29 ، 219
5	قال رب بما أغويتني	39	76 ، 89 ، 128 ، 242
6	إلا عبادك منهم المخلصين	40	89 ، 128 ، 224
7	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان	42	89
8	وإن جهنم لموعدهم أجمعين	43	225

سورة النحل

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وأقسموا بالله جهد أيمانهم	38	134
2	تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك	63	129
3	فإذا قرأت القرآن	98	28 ، 88 ، 230 ، 231 ، 234 ، 242
4	إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا	99	88 ، 234 ، 242
5	إنما سلطانه على الذين يتولونه	100	88 ، 234 ، 242

سورة الإسراء

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن	53	201 ، 235 ، 237
2	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم	61	25
3	قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي	62	29 ، 36 ، 65 ، 164
4	قال اذهب فمن تبعك منهم	63	36 ، 164
5	واستفزز من استطعت منهم بصوتك	64	134 ، 211
6	وإن كادوا ليفتنونك	73	45
7	ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن	74	45
8	وقل جاء الحق وزهق الباطل	81	31

سورة الكهف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	قيماً لينذر بأساً	2	87
2	واذكر ربك إذا نسيت	24	136
3	قال لا تؤاخذني بما نسيت	73	136

سورة مريم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	يا أبت لا تعبد الشيطان ...	44	27 ، 52
2	قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ...	46	28

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
3	فوربك لنحشرنهم والشياطين ...	68	20 ، 224
4	ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ...	83	149

سورة طه

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	إذهب إلى فرعون إنه طغى	24	29
2	كلوا من طيبات ما رزقناكم	81	30
3	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي	115	136
4	فقلنا يا أدم إن هذا عدو لك ولزوجك............	117	39، 40، 220
5	إن لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى	118	39، 40 ،220
6	وأنك لاتظمؤا فيها ولا تضحى	119	39 ،40، 220
7	فوسوس إليه الشيطان	120	109 ، 111 ، 124
8	فأكلا منها فبدت لهما **سوءاتهما**	121	160
9	قال اهبطا منها جميعاً	123	220
10	ومن أعرض عن ذكري	124	220

سورة الحج

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ومن الناس من يجادل في الله بغير علم	3	81
2	كتب عليه أنه من تولاه	4	85
3	يا أيها الناس إن كنتم في ريب	5	85
4	ذلك بأن الله هو الحق	6	85
5	وأن الساعة آتية لا ريب فيها	7	85
6	وما أرسلنا من قبلك من رسول	52	44 ، 46 ، 48

سورة المؤمنون

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين	97	146 ، 231
2	وأعوذ بك رب أن يحضرون	98	146 ، 231

سورة النور

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا	21	163
2	وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين	49	175
3	أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا	50	175

سورة الفرقان

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ويوم يعض الظالم على يديه	27	120 ، 239
2	يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً	28	219 ، 225
3	لقد أضلني عن الذكر	29	32، 219 ، 225
4	وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً	31	43

سورة الشعراء

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	فكبكبوا فيها هم والغاوون	94	226
2	وجنود إبليس أجمعين	95	226
3	قالوا وهم فيها يختصمون	96	226
4	تالله إنا كنا لفي ضلال مبين	97	226
5	إذ نسويكم برب العالمين	98	226
6	وما أضلنا إلا المجرمون	99	226
7	فما لنا من شافعين	100	226
8	ولا صديق حميم	101	226
9	فلو أنَّ لنا كرة	102	226
10	قالوا إنما أنت من المسحرين	153	180
11	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين	221	78 ، 238
12	تنزل على كل أفاك أثيم	222	78 ، 238

سورة النمل

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ...	14	26
2	وجدتها وقومها يسجدون للشمس ...	24	128 ، 168
3	قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله	65	80

سورة القصص

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها	15	42 ، 187

سورة العنكبوت

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وعاداً وثمود وقد تبين لكم	38	130 ، 131 ، 167

سورة الروم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	فأقم وجهك للدين حنيفاً	30	198

سورة لقمان

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله	21	169 ، 225

سورة السجدة

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها	13	69

سورة الأحزاب

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	قالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا	67	240

سورة سبأ

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	يعملون له ما يشاء من محاريب	13	67
2	ولقد صدق عليهم إبليس ظنه	20	أ ، 65 ، 67 ، 68

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
3	وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن	31	240
4	قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم	41	55
5	قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد	49	31

سورة فاطر

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً	6	أ ، 40 ، 169

سورة يس

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ألم أعهد إليكم يا بني آدم	60	54 ، 245
2	وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم	61	245
3	ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً	62	70

سورة الصافات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وحفظاً من كل شيطان مارد	7	15
2	احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ...	22	21
3	أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم	62	183
4	إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم	64	24
5	طلعها كأنه رؤوس الشياطين	65	24

سورة ص

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	واذكر عبدنا أيوب	41	153
2	قال يا إبليس ما منعك	75	25
3	قال أنا خير منه	76	25 ، 37
4	وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين	78	29
5	قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين	82	65 ، 164
6	إلا عبادك منهم المخلصين	83	65 ، 164

سورة فصلت

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وقيضنا لهم قرناء	25	130 ، 240
2	ولا تستوي الحسنة ولا السيئة	34	149 ، 236
3	وما يلقاها إلا الذين صبروا	35	149 ، 236
4	وإما ينزغنك من الشيطان نزغ	36	149 ، 230 ، 236

سورة الزخرف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ومن يعش عن ذكر الرحمن	36	19 ، 20 ، 21 ، 168
2	وإنهم ليصدونهم عن السبيل	37	19 ، 168
3	حتى إذا جاءنا قال	38	20

سورة الجاثية

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وترى كل أمة جاثية	28	224

سورة محمد

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	إن الذين ارتدوا على أدبارهم	25	76 ، 126 ، 140
2	ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا	26	77

سورة ق

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ولقد خلقنا الإنسان ونعلم	16	115

سورة النجم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وما ينطق عن الهوى	3	45
2	إن هو إلا وحي يوحى	4	45

سورة القيامة

سورة النازعات

سورة البينة

سورة العلق

سورة الناس

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

1- إبليس ، عباس محمود العقاد ،دار نهضة مصر للطبع – الفجالة ، بدون تاريخ .

2- أحكام القرآن ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، المتوفى سنة 370 هـ ، ضبط نصه وخرج آياته عبد السلام محمد علي شاهين ، ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 1415 هـ - 1994 م .

3- أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، المتوفى سنة 543 هـ ، تحقيق علي محمد البيجاوي ، دار الجيل – بيروت ، طبعة جديدة فيها زيادة شرح وضبط وتحقيق 1408 هـ - 1988 م .

4- إحياء علوم الدين ، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، المتوفى سنة 505 هـ دار الوثائق – القاهرة ، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م .

5- الأدب المفرد ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، المتوفى سنة 256 هـ علق عليه الألباني ، دار الصديق ، الطبعة الثانية 1421 هـ - 2000 م .

6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، قاضي القضاة الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، المتوفى سنة 951 هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الرابعة 1414 هـ - 1994 م .

7- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر- القاهرة ، الطبعة الثالثة 1991م.

8- إصابة السهام فؤاد من حاد عن سنة خير الأنام ، للشيخ محمود محمد أحمد خطاب السبكي ، بدون تاريخ.

9- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الموريتاني المالكي ، المتوفى سنة 1393 هـ ، وتكملته لتلميذه عطية محمد سالم ، طبعة جديدة منقحة ومصححة اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العلايلي ، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت ، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م .

10- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الخامسة 1980 م .

11- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة 751 هـ ، حققه وكتب هوامشه محمد تحامد الفقي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1412 هـ - 1992 م .
12- إلى الذين أسرفوا على أنفسهم ، عائض بن عبد الله القرني ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م .
13- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ، الطبعة الثانية 1407 هـ - 1987 م .
14- الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المستشار علي جريشة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة 1411 هـ - 1990 م
15- البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، المتوفى سنة 754 هـ ، طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل ، ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1412 هـ - 1992 م .
16- بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة وتقديم الأستاذ عباس محمود العقاد ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع – القاهرة ، بدون تاريخ .
17- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، المتوفى سنة 817 هـ ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، المكتبة العلمية – بيروت ، بدون تاريخ .
18- بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمغتربين ، الدكتور يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة – القاهرة ، 1988 م .
19- التحرير والتنوير ، الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ، بدون تاريخ .
20- تزكية النفس ، الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ، دار الفرقان – عمان ، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م .
21- التعريفات ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، المتوفى سنة 1031 هـ ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر – بيروت – دمشق ، الطبعة الأولى 1410هـ.
22- تفسير الشعرواي ، محمد متولي الشعراوي ، راجعه أحمد عمر هاشم ،دار الكتب – القاهرة ، الطبعة الأولى 1991 م .

23- تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية .
24- تفسير القرآن العظيم ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، المتوفى سنة 747 هـ ، تحقيق مصطفى السيد محمد ومحمد السيد رشاد ومحمد فضل العجماوي وعلى أحمد عبد الباقي ، مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م .
25- تفسير القرآن العظيم ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم ، المتوفى سنة 327 هـ ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز ، مكتبة نزار الباز – مكة المكرمة ، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1997 م .
26- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، المتوفى سنة 604 هـ ، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م .
27- تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ، 1945 م .
28- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، دار الفكر – دمشق ، بدون تاريخ .
29- تقريب تهذيب الكمال ، أحمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة 852 هـ ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1416 هـ .
30- تلبيس إبليس ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي ، المتوفى سنة 597 هـ ، حققه وعلق عليه أيمن صالح شعبان ، دار الحديث – القاهرة ، 1424هـ - 2003م .
31- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي ، المتوفى سنة 1137 هـ ، اختصار خادم الكتاب والسنة الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القلم – دمشق ، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م .
32- تهذيب تهذيب الكمال ، أحمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة 852 هـ ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م .

33- التوجيه الإسلامي للشباب ، من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ، الدين وحماية الشباب من الانحراف السلوكي والفكري ، الأستاذ محمد خلف الله أحمد ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، 1391 هـ - 1971 م .
34- تيســير الكريــم الرحمن في تفسير كلام المنان ، العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصــر الســعدي ، المتوفــى ســنة 1376 هـ ، دار الحــديــث – القاهرة ، 1422 هـ - 2002 م .
35- الثبات عند الممات ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ، المتوفى سنة 597 هـ ، حققه على مخطوطتين ومطبوعتين المعتصم بالله أبو هريرة مصطفى بن علي بن عوض ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى 1413 هـ - 1993 م .
36- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة 310 هـ ، اعتنى بتصحيحه وفهرسته مكتبة التحقيق والإعــداد العلمي بدار الأعلام ، دار ابن حــزم – دار الأعلام ، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002 م .
37- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، إعداد المكتــب الثقافــي ، دار الفكــر للطباعــة والنشــر والتوزيــع ، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987م .
38- الجواب الكافي فيمن سأل عن الدواء الشافي – الداء والدواء ، للإمام ابن قيم الجوزية المتوفى سنة 751 هـ ، اعتنى به وراجعه عبد الكريم الفضيلي ، المكتبة العصرية بيروت ، 1423 هـ - 2002 م .
39- الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات ، طنطاوي جوهري ، المكتبة الإسلامية ،الطبعة الثالثة ، 1974 .
40- الحجاب ، أبو الأعلى المودودي ، دار التراث العربي للطباعة والنشر – ميدان المشهد الحسيني – القاهرة ، بدون تاريخ .
41- حزب الله في مواجهة حزب الشيطان ، المهندس وائل عثامان ، تقديم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي ، الطبعة الثالثة بدون تاريخ .
42- الدر المنثور في التفسير المأثور ، الإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هـ ، ضبط النص وتصحيحه وإسناد الآيات ووضع الحواشي والفهارس بإشراف دار الفكر ، دار الفكر ، 1423 هـ - 2002 م .

43- دراسات في القصص القرآني – مقاصده وأغراضه ودفع الشبهات عنه ، عبد المنعم القصاص ، دار الطباعة المحمدية – القاهرة ، 1992 م .

44- درَّة الناصحين في الوعظ والإرشاد ، عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخويري ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، بدون تاريخ .

45- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، المتوفى سنة 1270 هـ ، قرأه وصححه محمد حسين العرب بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، بدون تاريخ .

46- زاد المسير في علم التفسير ، الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي البغدادي ، المتوفى سنة 597 هـ ، المكتب الإسلامي – دار ابن حزم الطبعة الأولى الجديدة 1423 هـ - 2002 م .

47- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية 1415 هـ - 1995 م .

48- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الثانية 1986 م .

49- شبهات حول الإسلام ، محمد قطب ، دار الشروق – بيروت ، الطبعة الحادية عشرة 1978 م .

50- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ، محمد علي الصابوني ، المؤلف – بيروت ، 1980 م .

51- شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، حققه وراجعه جماعة من العلماء وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثامنة 1404 هـ - 1974 م .

52- الصارم البتار في التصدي للسحرة والأشرار ، وحيد عبد السلام بالي ، مكتبة الصحابة جدة ، الطبعة الأولى 1412 هـ .

53- صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، المتوفى سنة 354 هـ ، تحقيق شعيب الأرنؤط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية 1414 هـ - 1993 م .

54- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة 1408 هـ - 1988 م .
55- صحيح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة 1422 هـ - 2002 م .
56- صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم ، اعتنى بها وحققها وخرجها راشد عبد المنعم الرجّال ، مكتبة السنة ، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م .
57- طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الداودي ، تحقيق سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم – السعودية ، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1997 م .
58- عالم الجن والشياطين ، الدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع – عمان ، الطبعة العاشرة 1417 هـ - 1997 م .
59- العوائق ، محمد أحمد الراشد ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية عشرة 1988 م .
60- غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة ، للشيخ القاضي بدر الدين بن عبد الله الشبلي ، تحقيق وتعليق إبراهيم محمد الجمل ، مكتبة القرآن – القاهرة ، بدون تاريخ .
61- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هـ ، راجعه قصي محب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الريان للتراث – القاهرة ، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1986 م .
62- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، رئاسة إدارة البحوث العلمية – السعودية ، بدون تاريخ .
63- الفقه الإسلامي وأدلته ، الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الثالثة 1409 هـ - 1989 م .
64- في ظلال القرآن ، بقلم سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية الثالثة عشرة 1407 هـ - 1987 م .
65- كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، المتوفى سنة 175 هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ .

66- الكتـــاب المقدس ، كتـــب العهـــد القديم والعهد الجديد ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .
67- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، المتوفى سنة 538 هـ ، دار المعرفة – بيروت .
68- لباب النقول في أسباب النزول ، العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911 هـ ، خرج أحاديثه أبو عبد الله محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002 م .
69- لسان العرب ، أبو الفضـــل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، المتوفى ســـنة 711 هـ ، دار الفكـــر للطباعـــة والنشـــر – بيـــروت ، الطبعة الأولى 1410 هـ - 1990 م .
70- مجمل اللغة ، لابن فارس ، المتوفى سنة 395 هـ ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية 1406 هـ - 1986 م .
71- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب الفقير إلى الله عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجـــدي الحنبلي وســـاعده ابنه محمد وفقهما الله ، مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر كتب السلفية ، بدون تاريخ .
72- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، وقف على طبعه وصححه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبدالباقي ، ، دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ .
73- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الإمام أبو محمد عبد الحق بن غانم بن عطية الأندلسي ، المتوفى سنة 546 هـ ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، طبعة محققة عن نسخة أيا صوفيا – إسطانبول رقم 119 ، منشورات محمد علي بيضون لنشـــر كتـــب الســـنة والجماعـــة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى 1422هـ -2001م .
74- المحيط في اللغة ، كافي الكفاة الصاحب بن عباد ، تحقيق محمد حسن أل ياسين ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الأولى 1414 هـ - 1994 م .
75- مختار الصحاح ،الإمام محمد بن أبي بكر الرازي ، دار الفكر – بيروت ، بدون طبعة.

76- مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد ، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة 852 هـ ، تحقيق صبري عبد الخالق أبو ذر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى 1412 هـ - 1992 م .

77- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن بكر بن القيم ، دار الكتاب العربي للطباعة – بيروت ، 1972 م .

78- المرأة المسلمة (رسائل) المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم ، الدكتور عمر سليمان الأشقر خرج أحاديثه وراجعه محمد ناصر الدين الألباني ، دار الجيل – بيروت الطبعة الثانية 1408 هـ - 1988 م .

79- المستخلص في تزكية الأنفس ، سعيد حوى ، دار القبس – بيروت ، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م .

80- المستدرك على الصحيحين ،محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المتوفى سنة 405 هـ ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1990 م .

81- مسند أحمد ،الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، المتوفى سنة 241 هـ ، مؤسسة قرطبة – القاهرة ، بدون تاريخ .

82- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، محمد الفيومي ، المطبعة العلمية ، الطبعة الأولى 1315 هـ .

83- معارج التفكر ودقائق التدبر ، عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ، دار القلم – دمشق الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م .

84- معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، المتوفـى سنة 510 هـ ، دار الفكـر للطباعـة والنشر والتوزيع ، إعادة النشر 1405 هـ - 1985 م .

85- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمـد بن أيـوب أبو القاسـم الطبراني ، المتوفى سنة 360 هـ ، حققه حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، الطبعة الثانية 1404 هـ - 1983 م

86- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث – القاهرة 1414 هـ - 1994 م .

87- معجـــم المقاييس في اللغـــة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المتوفى سنة 395 هـــ ، حققه شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية 1418 هـــ - 1998 م .
88- المعلـــوم من واجب العلاقـــة بين الحاكم والمحكوم ، أسئلة أجاب عليها فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ، (د. ن.) للطباعة والنشر – فلسطين ، 1996 م .
89- مفاتيح الخير والشر ، سلمان نصيف الدحدوح ، دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى 1419 هـــ - 1998 م .
90- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانـــي ، المتوفـــى سنة 502 هـــ ، تحقيـــق وضبط محمـــد سيد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت ، بدون تاريخ .
91- مكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية والرد على ما أثير من شبهات حول حجيتها وروايتها ، علي الخفيف ، مجلة الأزهر – القاهرة ، 1999 م .
92- من كنوز القرآن السحر في القرآن العظيم ، عبد المنعم الهاشمي ، دار ابن حزم – بيروت ، الطبعة الثانية 1419 هـــ - 1989 م .
93- مناهل العرافان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى 1416 هـــ - 1996 م .
94- مواعظ للإمام سفيان الثوري ، قام بجمعها صالح أحمد الشامي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى 1419 هـــ - 1998 م .
95- مواعظ للإمام مالك بن دينار ، قام بجمعها صالح أحمد الشامي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى – 1419 هـــ – 1998 م .
96- موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة ، بإشراف ومراجعة صالح بن عبد العزيز ابن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، دار السلام للنشـــر والتوزيـــع – الريـــاض ، الطبعة الثالثة 1421 هـــ - 2000 م .
97- نحو علم نفس إسلامي ، الدكتور حسن محمد الشرقاوي ، تقديم الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور مصطفى محمود ، مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية ، 1984م.
98- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، المتوفى سنة 885 هـــ ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى 1415هـــ - 1995م.

99- النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المصـــري ، المتوفى سنة 450 هـــ ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيـــم ، دار الكتب العلميـــة – بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، بدون تاريخ .

100- الوابل الصيب من الكلم الطيب ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد بن خريز بن مكي الدمشقي ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة 751 ، مطابع المختار الإسلامية – القاهرة ، الطبعة الخامسة 1400

الدوريات

101- مجلة هـــدى الإسلام، العدد الرابع ، السنة الرابعة ، ربيع الآخر 1406 هـــ - كانون الأول 1985 م .

102- مجلة السنة ، العدد 9 – 10 ، 1411 هـــ - 1991 م .

103- مجلة الأزهر العدد 5 – 6 ، جمادى الأولى – جمادى الآخرة 1403 هـــ - فبراير مارس 1983 م .

104- مجلة منبر الإسلام ، العدد 2 ، السنة 56 ، صفر 1418 هـــ - يونيو 1997 م .

105- مجلة البيان ، العـــدد 162 ، السنة الســـادسة عشـــرة ، صفـــر 1422 هـــ - مايو 2001 م .

106- موقع دائرة الآداب والأفلام بالمجلس البريطاني على الإنترنت - http://www.contemporarywriters.com/authors/?p=auth87#top

107- موقع موسوعة إنكارتا على شبكة الإنترنت http://welfare.nashiri.net/durkheim.htm

108- موسوعة العقائد والأديان على شبكة الإنترنت – www.aklaam.net/ency/encfroid.htm .

رابعاً : فهرس الموضوعات

The conclusion
The Satan, his footsteps & aims- a Quoranic subjective study

Chapter 1: the Satan: his definition, synonyms & descriptions:

The Results:

1- The word Satan & its synonyms (Transpassing Satan, devil) are mentioned 108 times in the Quoranic context which refers to the importance of this subject.

2- The transpassing Satan is a type of Satans who is specialized in persuading the god privacy of legislation & judgment.

3- Satans equally exist within the Jinn & men, but they are sorted into normal Satans, rebellious Satans, transpassing Satans.

4- Satans are created from fire; this material makes their nature invisible for humans & terrifying in same time.

5- The Quoranic expressions tend always to join Satans to awful things in the humans' minds to warn them from them.

6- Prejudice came on the top of vices which caused devil to disbelieve in god & then to be cursed & expelled from God's mercy, this atrocious pride pushed devil & his followers to be disobeyers, suppressors, but so weak in front of the right & so forsakers for their followers.

Chapter2: the aggression & followers of Satan

The results:

1- The arrogance of devil started an unlimited aggression between him & his followers from a side & Adam & his sons from the other side; this hatred was deepened upon time to enclose all the non devil followers among Jinn & men.

2- The prophets who convey the communications of god were the first to be attacked fiercely by Satans which bored their aggression on them.

3- This war against prophets didn't stop with the termination of prophecy, but it continued to be a war against the communications conveyed by them.

4- The disciple of Satan is that who loves him & fights for his domination, this disciple can be a Satan if he devotes himself to make as the Satans do of straying others.

5- Satan worshipping or “Satanism” isn’t devoted on a certain sect or religion, but every one who does what the Satan wants him to do & supports him on mischief is considered as a Satan worshipper, so Jews were known among their history that they are the more to worship Satan.
6- Unfortunately Satan followers are so plenty in this world& in the hereafter.
7- The disbelievers, the Jews, the hypocrites, the sorceress, and the fortune tellers are the most approach disciples of Satan.
8- The argument for error, the deception by false & fearing the Satan are descriptions for the Satan followers.

Chapter3: the footsteps of Satan

The results:

1- The expression “the Satan footsteps” is a rhetoric Quoranic expression which doesn’t only mean perpetrating the sin, but it passes this meaning to cover all the stages of sin beginning of its whispers within the mind & ending with the major sin which is leaving this life with a disbelieving heart.
2- Satan leads a very malicious snaky method in pulling the legs of his enemies into his trap, as he follows very slow gradual weapons which lead one to an other with no since of people.
3- This maliciousness pushed a lot of psychologists to yield for the whispers of considering them as suppressive, but Quoran affirms that those whispers are so fable in front of strong belief in god.
4- One of the dangerous satanic methods in straying his enemies are these chanted words & ideologies through the books of the different eras.
5- Decorating the evilness to appear goodness by using all possible false promises is the most dangerous footsteps for the Satan.
6- Satan tends to plant the compassion of immortality & treasure in the week soles of his enemies.
7- These two delicious lies lead to the purpose of Satan that tends to frighten people & prevent them from striving in the cause of god & spending their property in his way
8- Anger comes upon the dangerous Satan footsteps, because it outrages the man of his sense, and then rushes him into bad deeds.

Chapter4: the aims of Satan

The results:

1- Aims of Satan come as a part of his footsteps; this stage begins as the Satan followers fall in sin.
2- Satan aims through his footsteps to make all of his enemies to fall in evilness, indecency & wrong, then to be unbelievers, who fight against right, then finally to be the eternal inmates of hell.
3- Satan seeks to convert man to unbelief through turning him to his judgment, also through forging lies on god, sorcery & fortune telling, while these indecencies have been strictly joined to Jews.
4- Murdering others with no right, fleeing the army amid the battle are the aims of Satan.
5- Satan strives to make man as a money worshipper by pushing him to gain it & spending it in forbidden deeds, while frightening him from spending money in the cause of god.
6- One of the most dangerous Satan aims is to tear societies by alcohols, gambling & by depriving women out of their shyness to be their apostles to a temptation, seduction, adultery, nakedness &attributing the sons not to their parents.

Chapter 5: the consequences of following Satan &The means of fighting him

The results:

1- Quoran clears out the inevitability of Satan followers' punishment in this life & in the hereafter.
2- This consequence appears on them in the form of depression, life narrowed down, skepticism, anxieties & insecurity in this life, and then they take nothing with them as they leave it.
3- Satan followers are raised up with him at the Day of Judgment, then ironically he renounces them, then finally they are all to gather immortal mates in hell.
4- Man should begin his war against Satan by the prevent means of seeking refuge with god & bringing him always to remembrance.
5- Bringing god to remembrance is disparately important in sweeping away the whispers & suggestions of Satan as Satan sweeps into the vessels of man while keeping remembering god expels Satan & choke his passes.

6- Saying what's better & avoiding what's wrong closes the entries of Satan to the man.
7- As Satan worshipping strengthens man should face it with a stronger weapon which is the belief in god.
8- Fighting the followers of Satan precises when the danger of those followers aggravate against the right followers.

The recommendations:

The researcher recommends:

1- The scholars, the callers for right & the curriculum writers to pay serious attention for the story of Adam & Devil where it has the big role in clearing out how big & clear it is the apprehension between the devil & Adam & his children, so when they realize this apprehension they will avoid splitting in his way.
2- The writers, the scholars to be accurate in expressing out the idioms which stand for important meanings exploiting the tremendous accurate rich quoranic expressions which cover all the extensions & dimensions of the targeted expression.
3- The sermons addressors, the teachers, & the goodness callers not to underestimate the cereous consequences of misunderstanding the quoranic expression "the footsteps of Satan" as every one should consider the beginnings & callers of disobedience as dangerous as the sin it's self.
4- Finally, I emphasize on the importance of continuing the noble strive against the Zionists in Palestine as it's the stronger way to suppress the enemies of god, the followers of Satan, especially those Zionist Jews who carries the most dangerous Satan descriptions of forging on god, seeking judgment to the Satan & sorcery.